طال شوقي إلى زيارتكم

أيها السائلون عن خبري





هذا
كتاب
هز القحوف في شرح
قصيد أبي شادوف
للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد
ابن خضر الشربيني
رحمه الله تعالى
وعفا عنا وعنه
آمين

فهو موشح بأبيات الشما

فاسألوا عن حبالكم خبري

كتاب هز القحوف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان * وخصه بعموم الفضل والامتنان * وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان * وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخص اضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كحوامر الريف وارذال الجدران * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من افضل جرثومة العرب بن عدنان * المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم افنان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت واوان * وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه ان سماعى ملى من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا اختلاف * المشابه فى رصه لطين الجوالس ورجيع ذكره فى بعض المجالس * قصيد ابى شادوف * المحاكى لبعر الخروف او طين الجروف * فوجدته قصيدا يا له من قصيد * كانه حمل من حديد * او رص من قحوف الجريد * فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته * ولا يمكننى الا طاعته * ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ * او غبار العفاش وزوابع السباخ * يحل الفاظه السمجة * ويبين معانيه الذميمة * ويكشف القناع عن وجه لغاته الفشروية ومصانيه الفشكلية * ومعانيه الركيكة * ومبانيه الدكيكة * ومقاصده العبيطة والفاظه المويطة * وان اتمه بحكايات غريبة * ومسائل عبالية عجيبة * وان اتحفه بشرح لغات الارياف * التى هى فى معنى ضراط النمل بلا اختلاف * واشعارهم المغترفة

من بحر الخبابيط * واشتماق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط
ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق * في القاهرة ومصر وثغر بولاق * وذكر
فقهائهم الجهال * وعلمهم الذي يشبه ماء النخال * وفقرائهم الاجلاف واحوال
الاوباش منهم والاطراف * وذكر نسائهم عند الهراش * وملاعبتهن في الفراش
التي هي تشبه نط القرود * او بربرة الهنود * وان اورد بول كلام المتن يعني
اذا ذقته ايها السامع يحكي طعم البول * واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه
ايها الناظر فكانك قد قطفت زبل الغول * واذا نظرت الى اشعاره فكانها
رص القلقيل * واذا تاملت عفاشة كلامه فكانك تلوك زبل الخيل * وان
اصرح فيه ببعض نكتات غزليه * وحكم هباليه * على سبيل المجون والخلاعه *
والدبدبه والصقاعه * حتى يشتهر شرح هذا القصيد * من دمياط الى الصعيد
وارجو ان لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد * وقل ان يخلو سامعه
من تواتر الالفاظ التي كالولايش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش *
فهو وان مر على المسامع يمر كالريح * وان مجه الطبع كالمرض للصحيح * كما قال
الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدر الوضيح *

اذا حققت ان اللفظ صوت * وان الصوت معنى يا فصيح *
فحقق ان تاليفي كلام * تلذ به المسامع وهو ريح *

وفي المثل في البحر سمك يمشي نارا فلو كان الماء يطفيه * فالهذا كلام
اسمعه والانظيه * ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات * كانها بول البنات * فاقول

كتاب قد حوى فن الولايش * كتاب قد اتى مثل الفرايش
كتاب فيه اوراق وحبر * وقول صادق مع قول لايش
وفيه يا اخي من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفايش
والفاظ به تحكي لبولٍ * عليها رونق مثل العمايش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل العمايش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلايش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تامن سريعا من طرايش

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد * وحل معانيه التي تحكي قحوف الجريد
فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن في هذا الفن
والظاعن * فيا له من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك * ولو نقش على
عامود الصواري لتحرك * ولو مس به حجر لتشظى * ولو ألقي في اليم لتكدر
فهو جدير بأن يرقم ببول الجحوش على جدران الكانش * وحقيق بأن
يسطر على بيوت الاخلية ببول العرانش * وأن يلقى على روس المزابل *
وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير في الكثافه
لكونه في معنى أوصاف الريافه * وليس له شبيه في الثقاله * لكونه في وصف
ذوي الرذاله * واعلم أن كل شرح لا بد له من اسم يناسبه * وعلم عليه يقاربه *
(وقد سميته) هز القحوف * بشرح قصيد أبي شادوف *
وأطلب من القريحة الفاسدة * والفكرة الكاسدة * الاعانة على كلام فيه
من بنات الافكار * وأسطره في الاوراق من فشار * وان يكون من نحو
الخرافات * والامور الهبالات * والخلاعة والمجون * وشيء يحاكي كلام ابن
سودون * فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة * ولا يميل الى قول
فيه البلاغة والبراعة * لأن النفوس الآن متشوقة الى شيء يسليها من
الهموم * ويزيل عنها وارد الغموم * (وفي هذا المعنى شعر) *

ففي مذهبي أن الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من صنع طرفا من التمسخر والخلاعه
* والدبدبة والصقاعة * ولهذا قال الشاعر *

مات من عاش بالفصاحة جوعا * وحظي من يقود أو يتمسخر

وقد تساق الارزاق * لمن لا يدرك الخط في الاوراق * ويحرم
صاحب البلاغة * ولا يجد من القوت بلاغة * ولهذا قال الشاعر *

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذوو الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرماني لاجل فصاحتي * امنن علي من التيوس أكون

وقال البوصيري الأديب رحمه الله تعالى مواليا

رب الفصاحة عديم الذوق يقفا بلم * والابلم التيس مصدر ومتعظم
يارب ان كان حرماني كما تعلم * امنن علي أكون تيس ابن تيس ابلم

(وقال ابن الراوندي)

يا قاسم الرزق كم ضاقت بي القسم * ما انت متهم قل لي من اتهم
تعطي اليهود قناطيرا مقنطرة * من اللجين وحلي مالها قدم
اعطيتني حكما لم تعطني ورقا * قل لي بلا ورق ما تنفع الحكم
فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويداري وقته بما يناسب لاحواله * ويكون حذرا من دهره وصولته * ويرقص للقرد في دولته * ويعاشر الناس على قدر احوالهم * ويدور معهم وينسج على منوالهم * ويندرج في مدارج خلاعاتهم * ويظهر في مظاهر براعاتهم * كما قال بعضهم وداهم مادمت في دارهم وحيهم مادمت في حيهم * واحسن العشرة مع بعضهم * يضحك الكل على بعضهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فقال الملك علي به فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزلته وصيره ارفع من وزرائه واجرى عليه النعم فلما رأى نفسه في هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة * فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلي في بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له في ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك احد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف اخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤي هذا الصليب

تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم يقول *

(كان والله تقيا صالحا * منصفا عدلا وما قط اتهم) فاجابه آخر بقوله (كان لا يدرى مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم)

فالسلامة فى مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس * وان يكون الشخص متنقلا فى اطوارهم * دائرا تحت فلك ادوارهم * كما صرح بذلك فى بعض الابيات

فطورا ترانى عالما ومدرسا * وطورا ترانى فاسقا فلقوسا

وطورا ترانى فى المزامر عاكفا * وطورا ترانى سيدا ورئيسا

مظاهر انس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما ذكرنا به ورقصنا * والشخص يغلب عليه علمه وفنه * والزامر لا يخفى ذقنه * وقبل الخوض فى بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طبعهم الكثيف * واخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيله * واسمائهم المقلبه * وكفوفهم المشقلبه * وقصائهم المشرمطه * واشعارهم المخلبطه * ونسائهم المزعجات * وما لهم من الدواهى والبليات * فنقول

اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار * وملازمتهم لشيل الطين والعفار * وعدم اكتراثهم باهل اللطافه * وامتزاجهم باهل الكثافه * كانهم خلقوا من طينة البهائم * كما قال ذلك الناظم *

لا تصحب الفلاح لو انه * نافجة اريا جها صاعده

ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده

فهم لا يخرجون من طور الجعافه * لملازمتهم المحراث والجرافه * وهز كفوفهم حول الاجران * وطردهم فى الملق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطهم فى الحصيد والقلع * وغطوسهم فى الجلة والطين * وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين * اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت * والنقر والبنتوت * والساقية والفرقله * وشيل الطين

والجلّه * والعياط والغاره * والطبلة والزمّاره * والجدوة خلف قفاه
ومزراقه وهزّ ردّاه * وحزامة الليف * والتبن والشنيف * وخلقته
المشرمطه * وصورته المخلبطه * وطربوشه الدنس * وزرّه الغلس *
وطرده للغارات * والدواهي والبليّات * ومشيه حافي * في الحر والحلا
* وعياطه في الظلام * يا لسعد او يا لحرام * فتجتمع عليه القوم * ويقع
منهم على البلاد الهجوم * وهم سعد او حرام * ويخرج اليهم الآخرون باتمام
* فيقع بينهم الحرب والعناد * وتخرب بسببهم البلاد * وتقطع الطريق
على العدو والصديق * ويترتب على ذلك المفاسد * وتمتنع عن بلادهم
الفوائد * وكل هذا من قلة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء اخلاقهم *
وعدم اتفاقهم * اذ كلهم في الظاهر مسلمون * والقتل عندهم مثل الديون *
وايضاً عندهم قلة الوفا * وعدم الانس والصفا * لا يؤدون القرض *
ولا يعرفون السنة من الفرض * ان عاملتهم اكلوك * وان نصحتهم ابغضوك
* وان افتيت لهم الشرع رفضوك * وان التجأت لهم الجانب مقتوك * العالم
عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * امورهم معاند * وليس عندهم فوائد *
عندهم قابض المال * اعز من العم والخال * سود الوجوه * *
اذا رأوا معروفا انكروه * كما قال الشاعر في المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابداً * فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدوا الصياح بلا ضرب ولا الم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا قاموا افراح * لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح * وشدة
الاضطراب والكرب * وربما وقع فيها البطح والضرب * وشاهدنا كثيراً
من افراحهم * وما يقع فيها من عدم نجاحهم * وستأتي كيفية افراحهم
واعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم * واما اكرامهم للضيوف
فهو هز الاردية والكحوف * والجلوس على المساطب * ونفش اللحى والشوارب
* وان حصل منهم الكرم بالاضطرار * يكون العدس والبيسار *
والكشك الحامض بالفول * او نوع من المدمس والبقول *

ولو سكن الشخص منهم مدة في مصر ودمياط * لم يكتسب من اللطافة
قيراط * وبعض اكابرهم المشار اليه * والمعول في الامور عليه * اذا
طلع مصر لمقابلة الامير * او قضاء حاجة من الوزير * ترى عليه لبس
محبوب * ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب * وأمورهم ليس لها انضباط *
وأحوالهم شياط وعياط * وورودهم عند الاسحار * التفكر في الغنم
والابقار * وتسبيحهم في الظلام * هات النبوت والحزام * وحط
العلف * وهات الكلف * قال الشاعر في المعنى *

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * طلق لثورك جاءك المحراث

لا يرحمون صغيرا * ولا يوقرون كبيرا * عوراتهم عند الاستنجاء
على الفساقي مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعون لحساب
المال في المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * اولادهم دائما عريانين
* وتراهم في صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرأفة متروكة ذليله
* كما انه يكتب لطرد النمل بلا امرا * ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة
من قلوب مشايخ القرى * (ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعي
رضي الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وبهاؤك * وقال
سيدنا عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك
بسكنى المدن فان المقت اذا نزل في بلاد الريف طوفانا يكون في
المدن كخلخال الرجل (قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب
حروفها كانت قبر فالساكن في الريف معدوم الذات لانه دائما
في انقباض وطرد * وجري وكر وفر * وحبس وضرب * ولعن وسب *
وهوان وشحار * وشيل تراب وحفر آبار * وخروج للعونه على جهة السخرة
وتعب شديد بلا اجره * واذا كان ذو فضل ضاع فضله * او ذو عقل
ذهب عقله * او ذو مال اغروا طيه الحكام * او ذو تجارة نهبوا في الظلام
فالحق عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحكم الله ليس لها اندفاع *

وَلنذكر طرفاً يسيراً من اسمآئهم وما يكنّون به فنقول امّا اسمآؤهم فانها كاسمآء العفاريت اورقع الشلاتيت فيسمّوا جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعبط ومعيط وقسيط وشلاطه ولهاطه وشقليط ومقليط وصفار وهوار وجمار وعمران وشعوان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقفندر وجنان وبنان ومحمّد بكسر الميم والحآء المهملة ومحمدين بكسرهما ايضاً وغير ذلك من الاسمآء وان كانت لا تعلّل فان اسمآءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسمّوا بالفال كما اتفق ان رجلا ولد له غلام فسمع رجلاً آخر يقول يا اعمش العين فقال نسمّيه عموش فسمّي بذلك واتفق ان رجلاً ولدت زوجته انثى فسمع رجلاً يقول لاخر هات الزبل فقال لامّها نسمّيها زبيلة فسمّيت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة او فجلة او نملة او قملة وقال بعضهم في هذا المعنى (ووزن زبلة لا يهم عجله * ونملة ورملة وفجله) وقد ذكرت بالتسمية ههنا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته ولدت غلاماً فسمع رجلاً يقول لآخر دم الحس قفاك فسمّاه بذلك ثم ولد له ولد ثاني فسمع رجلاً يقول لآخر شاربك في الخرا فسمّاه بذلك ثم ان دم الحس قفاك كبر ونشي وكذلك شاربك في الخرا بلغ من العمر عشر سنين فارسلها والدهما الى الكتاب فقرا دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك في الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق في يوم من الايام ان دم الحس قفاك قال لاخيه شاربك في الخرا اقصدنا يا اخي الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شاربك في الخرا مليح السمع والطاعة فتوجّه دم الحس قفاك هو واخوه شاربك في الخرا الى ان اشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهر في العوم واخوه شاربك في الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك اخاه شاربك في الخرا فتضايق شاربك في الخرا واشتد به الامر واشرف على الغرق

فالتفت اليه دم الحس فقال فرأى شاربك في الخرا في شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت ابطه واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا ان دم الحس فقال سبق والا كان شاربك في الخرا غرق (ومر رجل) فرأى ولدا يضرب اباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حقا ان لا تنهره ولا تؤذيه وان تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدي وانا الآخر لي عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمي ويعلمني القرآن وان يرشدني الى احسن الصنائع وهذا سماني دبوس وعلمني لسان المحبوس وصيرني بين الناس خلبوس افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له ما اسمك فقال جمره قال وامك قال شرارة قال وابوك قال لهب قال وفي اي واد انت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان اهلك قد احترقوا فقيل مضى الرجل فرأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى عنه (والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته وفي كلام اهل العلم والتأديب كل احد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فابو شعرور وابو معرور وابو عفرور وابو دعموم وابو شادوف وابو جاروف وابو مشكاح وابو دماح وابو بطاح وابو بقر وابو مطر وابو هودج وابو خرق النورج وابو صلام وابو شقرير وابو قشقوش وابو قسيم وابو جربن وابو طعيمه وابو بليله وابو زغلول وابو سيسي وابو جاهل وابو فصاله وابو زباله وابو بعبوص وابو عوص وابو لبده وابو غده وابو زعيط وابو معيط وابو بربطع وابو زعزع وابو تيتع وابو شعيشع وابو صابر وابو خنافر وابو هبول وابو هوير وابو طرطر وابو عوكل وابو حوقل وابو عسقول وابو ذبابه وابو زغابه وابو طريف وابو قدح وابو عريش وابو كريش وابو فتشه وابو دشيشه وابو قزق وابو قلوط وابو جلاط وابو جيص وابو كانون وابو معلد وابو جعباط

(ويلقبون) عمران القليط وعمير القرط ودقموري وقنديسه وشحيبر وبعيبر وعنطوز الباب وشلاطه محلاب ومحمد القلاب وكسبر النقليه وبربوعه الهبله ولهاط الزبله ومشالي الجله ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظة هاه وهيه وايش مالك واي مالك واياها مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعرم وبعرم وهبطله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبايه وعطايه وعليوه وحليوه وهديه وبليه وابده وغنم وشنه ولة وبلمه وسرره وبروه وفيوه وخربوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام رميح وام عرام وام زقام وام شقيره وام صقيره وام شواهي وام دواهي (ويلقبون) بجلابيه وكرسايه وغاشوله وقاره وفقاره وغاره وغايره (فهذه) اسماء والقاب وجودها كالعدم وانما هي الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه تقول له تجي لك من الحيط (كما اتفق) ان رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى تعشي فقالت ابنك يجري كل انت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يا بوعنطوز (واما اولادهم) فانهم مثل اولاد الهنود او اولاد القرود دائما في شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس غارق في الجلة والتراب ونومه في المدود وشربه من المترد واكله من نجلة ولعبه حول العجله يشخ ويخرى في ثيابه دائما في سخامه وهبابه عمره في الدناسه واقته في نجاسه واذا درج في الحاره لا يعرف غير الطبلة والزماره والطرد وراء الثور والعجل وسخامه في الجلة والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائما في تنغيص خالي من التنظيف وكلهم تخوف من خوف الريف (واما نساؤهم) عند الجماع فانهن في حكم الضباع

يدخلن الافران ويصر من فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر
لهم روايح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش
وما تيسر من القصل والعفش بعد اكلهم الدمس والبيسا حتى يصير
الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهى تتشقلب عليه فيظهر
من بين الاثنين روايح الجلة والطين وتعطيه رجليها وينظر الى
عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه جتك
داهيه احيه جتك مصيبه احيه جتك غاره فتخيها بليه وجماعها
رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الحماره او فى الغيط
جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابة لمعه
وكذلك الرجل تحقيق فى اعظم الدناسة وعدم التوفيق (واما اعراسهم)
فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا
بالعريس دوره وهم فى غارة وغوره وعايط وصراخات ودواهى
وبليات وزعيق وعفره وصياح وغيره والكلاب تنبح والشعراء
تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت
والاولاد تنط بالشلاليت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما
هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل
من ذلك الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد
ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على نخ او
حصير او برش من اراش البير ويأتوا له بالعروس كانها فحل جاموس
منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا
بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف
النظره وقد لطخوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا
وصارت هذه الفعلة مثلة بين الملا وهذا من اقبح افعالهم واتعس
احوالهم اذ لا يجوز هذا فى الشرع ولا يقول به اصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها
على شئ عال ويأتى اليها الطبال وينشدوها الاشعار مما هو مناسب

لها بالاعتبار * شعر يا عروسه يا ام غالى * انجلى ولا تبالى
انجلى يا وجه بومه * زاعقه وسط الليالى (وجهك بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال
لك مسيخه شعر يربط * فوق راسك لا محالى) (تشبهى به ام مجبر * دائره وسط التلال
يا عريس قم خذ عروسك * واطلع بها فوق العلالى) (وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى
واسخرى له وانجحى له * بالدواهى والهبال) (تصلحى له يا عروسه * تم امرك بالكمال *
(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم رجل فلفوس بيده شعله
من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى امان هاتوا يا نساء
يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمى
نصف او نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه
التيوس وينادوا قمح والا شعير والا سميسم مقشور غزير فان كانت
مليحه قالوا قمح زربيع او سمسم مقشور وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت
فوق الجسور ثم انهم يدخلوهما الى المخزن او البيت ويخرجوا لهم بشئ من
عكار الزيت ويرسلوا لهم شئ من التبن او القصل ويصنعوا لهم وسائد
محشوة من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم بالحجارة على الابواب
فان اخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت البلاد
وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك
والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز
باللبن يشبه طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الكتاب حيث قال
فى القصيد * ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوا المسارح
نصفها بالشنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للضوء برا الزريبه * بقاشى يقول اشعر وشى يقول قامح
وصبحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا نقال العيش مسبول سايح
هداديه تخبط على نقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل الملايح
وجلس بجنبى ابن جر وابن كل خرا * وابن الغفير وانا ارواح روايح
اى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هولاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم

لان الاعادة فى ذكرهم ليس فيها افاده فقد أفردت ذكرهم بمؤلف فرجعهم
ثم انهم عند الصباحيه يجتمعوا المشاة فى الظهرتيه ويجعلوا بينهم وبين
العريس حكومه لا قدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض
ويرمحوا فى طولها والعرض ويقولوا احكمنا عليك يا فلان قوم هات
العيش والمش ورطل دخان ويأكلوا ويشطلوا ويشيلوا ويحطوا
ويأتوا بحجارة الدخان مثل ارباع الكيل ويصيروا فى عياط وشيامط
الى الليل ويسموا هذا اليوم الهروبه وأمورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة
ايام يخرجوا العروسة بالتمام ويكشفوا وجهها ثانى مرة ويجعلوها
للناس شهره ويأخذوا ايضا النقوط من الناس واحوالهم فى انعكاس *
(ذكر وقائعهم) حكى ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا النزهه
فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده منشرمطة ولابس خلقه مقطعه
ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من
النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة
البرد وهو فى حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل
فقال له يا ملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب
والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من
يرشده للعباده والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج
لا يعرفون غير النورج والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا *

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه
بالعلم والبستناه ملابس النعم تتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته
وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير ايها الملك
اما سمعت قول الشاعر لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر فى ضرعه
من كان من جميزة اصله * لا ينبت التفاح من فرعه وقال آخر
الطبع والروح فى جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكي ان رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل انشد يقول

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكي ان جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى اعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا لضيفي فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون ابدا ولا اسلم لكم ابدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر
اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر البان اللقاح الدواسر
واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها واظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف فحوف كانهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
هل في الانام رأيتم * فحا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) ان امرأة

ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دني الاصل تعلم العلم فدبرها ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه * وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال الخ * وكذلك يا ملك الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دني الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغذيك صدقة عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا بمحتسب المدينة مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية ان ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف الرذل واخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الرجل بياع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل رديء الحال والفعال وقال له ماذنبي معك وانا شفقت عليك واطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وابوك قال فلان قال وامك قال ريحانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا الومك ابدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى سبيله * وفي هذه الحكايات يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لابد من اخذه وتعليمه ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه

والبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم
فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين
الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه الملك
في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك
في الفلاح فانه الآن بقي على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل
والحرف وتخريج الضمير وبيان الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره
وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني انه صار
لك قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال
له مرادي ان اضمر على شيء وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك
وقلع خاتمه واطبق عليه يده واتى اليه وقال له انظر ما في يدي قال
فاقام الاشكال وقال في يدك شيء مدور قال نعم قال وهو خالي الوسط
قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال اظن والله اعلم
انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك
فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل
التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر احوالها كما هو
عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد
اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وامامهم شيخ كبير قد
طعن في السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو امام
القوم قام اليه واكرمه واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه
لعله من اهل الصلاح لانه ما في هذه القرية اكبر منه ثم ان الامير
صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة
وان يجتهدوا وينفقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال
فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له
انا اريد ان انصحك ايها الامير وارشدك الى شيء تفعله فان انت
فعلته فاقوا لانفسهم وسددوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ

فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا واعلى قدرا فقال ان كان مرادك
النصيحة اهدم دا الجامع اللي في وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه
للصلاة اللي يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم تفرقوا
للزرع والقلع وسدوا المال ولو اني طاوعتهم يا امير وصرت كل يوم
ادخل الجامع كان انكسر على مال السلطان وما نفعني طول عمري ما اخلي
دي الصلاة اللي يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع ابدا قال فتحير
الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل طال
عمرك وساء عملك ثم انه علق في رقبته الاوطية واركبه حمارا معكوسا
ونادى عليه حوالي البلد بعد ان ضربه ضربا موجعا واخرجه من القرية
على اسوء حال (ومما يحكى) ان ابا نواس جلس يوما هو والخليفة
هرون الرشيد في محل المداعبة والملاطفة فاحضر بين يدي ابي نواس
صحن من الفستنانك المحشو بالسكر وصار ياكل هو والخليفة فقال
الخليفة يا ابا نواس هل يمكن ان احدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم
يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم فانهم اناس نشأوا في اكل
الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من الماكولات
الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بد ان تحضر لي رجلا منهم
في هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرا
يمشي في شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكي سارية الجبل من طوله
وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر
الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها انكشفت عورته واذا بال بال
عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى راسه
لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط
وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة ياكل فيه وهو ينظر الى
الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة لا يدري اين يذهب وياكل وينظر
الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس في هذه الحالة عرف انه

فخف من خوف الرغيف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير في نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن انه يريد ان يأخذ الرغيف منه فحطه في عبه وقال له يا جندي انا ما معي شئ تاكله غير هذا الرغيف وانا ان اعطيته لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر فيه جنادي كثير مثلك ودور مثل دورنا وخايف من الجنادي لا يقطعوا راسي فقال ابو نواس في نفسه الحمد لله الذي اوقعني في هذا فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تفزع فما لي حاجة برغيفك ولا انا جيعان وانا مرادي اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وانا الاخر لما تغديني وتبيض وجهي ازورك باربع بيضات وان فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا واجعلك صاحبي ولا تخلي احد يقطع راسي لاني خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه ابو نواس وقال له امض معي في هذه الساعة اغديك واوصلك قال فسار معه وهو لا يدري اين يذهب حتى اقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى الديوان وكثرة العسكر بهت وحار في امره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت وذا المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شئ وضمانك علي فقال له يا جندي اخاف العرض على ربي من الحساب ليحاسبني على ضرب البهائم ونيك الحمير في الغيط لاني ما خليت حماره في الغيط بلا نيك من خوف لا اهجم على نسوان الكفر يمسكني المشد يقطع راسي وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجي يوم القيامة وهو حاملها وانا نكحت دواب كثير حتى الكلاب والقطط لا اقدر احملهم في هذا اليوم وانت تشفع لي عند ربي بما معي في هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد

السلطان فقال له يا جندى انا ما رايت مثل هذا المحل ابدًا ولكن
ما يكون الخليفة قال هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد
الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان
يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس واراد الهروب
فلما سمع الخليفة كلامه سال عن القضية فاخبروه بها فضحك
وارسل يطلبه قال فاخذه ابو نواس واقبل به على الخليفة وهو
فى دهشة وحيرة مما راه من كثرة الجند والعسكر حتى وقعت بين
يدى الخليفة فقال انا فى جيرتك يا رسول الله يا ابو زعيل يا ابو قنطور
يا مشايخ الكفر خلصونى قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام
فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فراى الخليفة جالسًا
على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له انا فى جيرتك يا خطيب
المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من اى البلاد
انت فقال له انا من كفر ابو زعيل وانا شيخ الكفر وعندى بيت ملان
تبن وقصل وعندى عنز ومركوب احمر وحياة راس الساميين
وعندى فرختين وديك وشونتين عظم وقحف طويل مثل قحفك
دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من احضرك عندى قال دا
الجندى صبيتك لا جزاه الله خير وكان مراده ياكل رغيفى دا ثم انه
اخرج الرغيف من عبه واراه للخليفة فقال له الخليفة انت جيعان
فقال له يا خطيب صبيتك اوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة
ما تشتهى قال العدس والبسار هات لى عدس ومرد بيسار
ورغيفين ذره وانا اخلى ام خطيطه تدعى لك فقال له الخليفة
اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت
بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفًا عليه ان يقع
من وراء ظهره فامر الخليفة ان يقدموا له الصحن الذى فيه الخشنانك
فقدموه اليه فلما راى الصحن قال يا خطيب المسلمين اعطنى من دا المترد

كوزه العب بها في الكفر انا وابو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه
الخليفة وقال كل منهم كوزه فقال يا خطيب المسلمين الكوزه تتاكل
فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ الفلاح واحدة ووضعها في
فمه ومضغها فلما استفرث حلاوتها في جوفه صار ياكل اربع حبات
سواء ويجعنها في يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ
وهو في حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون
هذا الذى تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين بطول عمري اكل
العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ما ريت مثل دا ابدا
الا اني سمعت في ايام معكه جدتي تقول نعيم الدنيا الجمام والله اعلم ان دا
هو الجمام اللي يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك
يا فلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما
اروح الكفر ازودك بحمل جله ومحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات
وانت الاخر ما تحرمني من نعيم الدنيا دا لما احضر بالهدية فضحك الخليفة
من كلامه وانعم عليه واذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (ولقي)
بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له
دي بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال
له ببداهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليداتك في الشتاء *
(وجلس) بعض اهل الارياف بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي
وقال له يا ابويه فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام
الماضي ديك والعام دا ديك اخنايا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب
ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كانه مات له ميت *
(وولدت) لشخص منهم حماره فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت
فقال له وسبعت فقال له ما جاب الله فقال له جحيش كيفك سوا
بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحفيا (وعطس رجل منهم ايضا)
فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك اللي عطسك ولو شاء لفطسك

واخرج العطسه من قبر قراقير اللي خلفك فقال له الفلاح يا فقي لا
عدت تنسانا من دي السورة تقرأها علينا في المساء والصباح واعطيك
ايام المقات اربع بطيخات وتقرا السوره لام معيكه وتهديها لابو زمل
فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس)
جماعة من اهل الارياف يتحادثون في احوال الزمان اقباله وادباره *
فقام رجل منهم يقال له ابو عفره وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب
بها الارض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح اللي ولى وراح ولا بقي في
الدنيا خير ولا عاد يجي زمان مثل زماننا اللي كنا فيه وما نحصل ايام
الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يا ابو عفره احكي لنا على زمن الفرح
اللي شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دعموم
وكان معي ابني فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجري مثل الكلاب الشعرانه
وانا نافش وعلى ردا من محر الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع
وجبة صوف خدتها بخمسة جدد الدراع ولبده خدتها بعتماني
وانا مزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت بسير وسكين
خدتهم من سوق هربيط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسي
شد مسنير خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد وشوت
كنت سرقته في زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ
الكفر كانت سرقته ام زعبل من واحد حضري دخل دارنا اللي على البركه
بالامارة يشتري بيض ورحت انا والجماعه نشتري مصالح العيد على
الطريق اللي تطلع على الكفر بتاع ابو عنطوز نمشي عليها كيف كلاب الغنم
وكنا لقينا واحد دبح جدي بالتحاين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابي
على راس صاحبه وهو عمال يسلخ فيه فقال لي ما تطلب يا شيخ الكفر انت
واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدقماق وحياة ام زعبل
ان كنت ما تكارمني اليوم وتتوصى بي الا ما عدت تدبح جدي ولا كلب
فقال لي يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له اطلب السقط

اقسمه بيني وبين اصحابي كل واحد يأخذ تلته فاخذت منه السقط
بعد عياط وشياط وضراط وحياة لحاكم يا اولاد كفرنا بنص فلوس
جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ
ونورد على الجذع ان اليوم اطبخ واغرف وانا معمود في الكفر ولولا ما كان
اعطاني السقط وقسمناه احنا الثلاثه كل واحد خذ بجديدين ولكن
واحد من شركاتي غار علي وخد رجل زايد وانا سرقت ودن من اودان
الجذع وطلبت اشرف سنه من اسنانه اعلقها لابني عفرو على راسه
تمنع عنه النضره انغلبوا على شركاتي وقالوا لي يا ابو عفرو لا تخون
الامانه ان جات الاسنان في حصتنا خد ما تريد فتركت الاوده وخدت
حصتي في طرف ردايه وكل واحد من شركاتي خد حصته ولففت بقي
على كتفي وبقينا كيف الكلاب الشعرانه وانا اعفر بين الكيما والكلاب
تجري وراناعلى ريحة اللحم وكان حزفي شخاخي وحياة لحاكم ومن خوفي
من الكلاب لا يأخذوا مني السقط وكنت امشي على ردايه حتى غرقته شخاخ
ولما دخلت الدار شفت ام زعبل حسنا العين قاعده في جنب مدود
الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت
شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق راسها
طرحه كبيره مثل الردا اخذتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج
اخضر واحمر مصبوغ جينا وبريسيم سابل للخوران وفي رجليها حجل نحاس
مطلي بقزدير وفي يديها اساور نحاس اصفر وفي اودانها خلق طارات
فدخلت عليها مشنعر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من
شاف يهم خرى على روحه فقامت ام زعبل ومسحت يديها من الجله
ولاقتني بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما لاقتها
ولاقتني ولاطعتها ولاطعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان
يعني ديك القضيه وانتم تعرفوا اني حدق وشاطر وما يطلع من حنكي
عيب ومّا انتم شفتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فاتني اغني لها بالمواويل

اتعلمت الغنا من ابويه وجدّى وانا فصيح قوى فقلت يا ام زعبل ربنا يخلّى لى شلشولك وقامتك انا بانظر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اوذانك وانا رايح اغنى عليه فقالت لى يا ابو زعبل وحياة شاربك اللى كيف شارب الكلب الا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا نسمعنا قصيدتك اللى نقول لها فى الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبى يستفيد

آلا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

تبيع الورد فى الصبح * قميصك زين الطرحه * عسى ابعدا نضركم لحه * تجمع عندنا الجلات

آلا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

آلا يا بو قميص هربيط * عسى ابعدا نضركم فى الغيط * واذى لك قدح محيط * واذى لك شمال كرات

آلا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

واعطى لك شمال خبز * واعطى لك قدح جميز * واجعل لك على مبز * قطره دخن فى العشيات

آلا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

انا حبك كما العجله * ويا زينك حدا الجله * تعالى الغيط بلا مهله * ونتفرج على العجلات

الا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يا مليح حميض * واقلى لك كمان بيض * بزيت حار من حد الزيات

آلا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

انا خشى ان اقل تعال * تعا ونى على ذى الحال * تعال امشى وضل عال * اروح بك دارنا وبيات

الا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

ودمش لك انا القبه * وجيب لك فول من القصبه * وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزات

الا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

وجيب لك عدس مع بيسار * وكشرعيش مع فولحار * وجيب لك مسرجه زيت حار * تنور لك كما القمرات

الا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

وخطك جنب مذودنا * والاجنب جلتنا * وورّيك بوز بقرتنا * وهى تقرش من القصلات

الا يا بو حلق طارات ❁ تبيع الورد بارطالات

وان شا الله اروح طلحه * وجيب لك يا مليح فرخه * وفى الدار ان ترى الشخه * عليها صب من بولات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وخليك كيف ابو بربر * وتتملقش وتتشطر * وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لي كما الكلبات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وتعطيلي وتتبكه * وحطو فيك واتكه * وانا ابو عفر ابو دكه * ابيع المش في الحارات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وانا شاعر وشيخ الكفر * نشد قصيد كيف الزمر * وقومي وارقصي بالعفر * ودا يوم عيد ولمطنات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه * ونتغدا ونتعشه * ونعزم دار ابو كرات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ونختم قولنا الاباس * نصلي على النبي يا ناس * ويشفع لي وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات

الايا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هي وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا بو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اول وتاني وقالوا غدا يسمع بك نصراني البلد ويقربك وتبقى تجلس جداه ركبه بركبه ويقول لك يا عرص تقول له يا سيدي وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطاني شي انعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لي يا بو عفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقي معي فلوس وانا فشلان فقالت لي من خلى شي لعقب الزمان ينفعه انا خليت في الصومعه اربع بيضات خدهم ولا تقل لحد فان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره في نعمه كبيره هات لنا بيضه مرسين وبيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر نزعفر به تياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى بانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شوية زيت حار ادهن بها شعر راسي وتدهن ببقيتها دقنك وشواربك

وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمان
فخذت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا فى كرش الجدى شوية
فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام
بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وبحوفى السنا
والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره
لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمردبينهم وكل يوم
ما عاد يجى مثله فقالوا له اصحابه زمانك يابوعفره ولى وراح ومابنت
الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يوردلاستاذه
المال فانزله فى محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الامير فلما جاء
الليل قال الفلاح فى نفسه يا ترى يابو معيكه الامارة لما يختلوا بنسوانهم
كيف يفعلوا ولكن انظر كيف ما يفعل استاذك مع امراته ولما تروح
الكفر احكى لام معيكه تعمل ذلك العمله مثل ما تعمل الامارة وتضيك
ام معيكه بذلك العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى
وانت تنظر طريقة ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان انا بقيت
مثل الامارة وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاذ البلد ثم انه
صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة
قال فرايت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى يقولوا عليه
الناس وعليه الفرش يلمع وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير
يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما يعرف بيقولوا ايه شردم بردم بالتركى
ومرة بالعربى الى ان اشتهى منها قضا الحاجه فخذ من جنبه وردة
ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور وعملوا
ذلك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح
اخذ الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته
ام معيكه ومعها زلعة ملآنه ماء من الفجيره فسلمت عليه وجلست هى
واياه فى منادمة مثل منادمة القرود او برية الهنود الى ان سالته

عن المدينه وعلى استاذ البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا
صنعت غير الشخاخ فيها لانهم لا يشخوا الا فى نقرم وهى مبنية كيف دارنا
ولا مليح كما فى الامراة استادنا تشن وترن وعليها خلقان ملاح كيف
نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر وعلى راسها الخف مثل الخفى
اللى البسه فى ايام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى
ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر
مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها الفول الاخضر وفى سيقانها حجل
كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنصين فلوس جدد ولابسه
شايه خضره الله اعلم انها صبغتها ببرسيم وبا محسنها وقت ذاك العمله
اللى يعملوها الرجال مع النسوان فخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها
حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا ابو معيكه مثل الاماره
فقالت له يا ابو معيكه احكى على اللى شفته من امراة استادك فقال لها
لما رحت المدينه وطلعت للاستاد فحطنى فى مطرح فيه طاقه تطل
على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقت
انخنس كيف الكلب فرايت الامير استادنا قعد على خشبه سوده مربوطه
بشراميط لها اربع رجلين كيف عريش المقاتة اللى نعمله ايام البطيخ
فى الغيط وقعدت امراته على خشبه كبرها مثل جرافة الغيط وبقا
يكلمها بكلام الجادى يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى
انتهى منها ذاك العمله فخدفها بنواره حمره مثل نوار ابو النوم فقامت
تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له ام معيكه
وحياة شاربك اللى مثل شارب التيس لاعمل لك مثل عمل الاماره وتنغش
على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى
دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود للحماره وانا اقعد فى مدود
البقره فقعدا ذلك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت
والشراميط واثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للنعيس

الناصية فقضاء الحاجة بعد أن صار ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب
شياط وعياط وسؤالات عن البقر وعن العجله والتور والجله وغير ذلك
أراد أن يرميها بشي مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب
طوب محروق فخذه وحدفها به فوقع في وسط راسها فعلقها وسال الدم
فصرخت باعلى صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر
فاقبل هو وطائفته وسأل عن القضية فاخبروه بها فاخذه وضربه
ضربًا موجعًا واحضروا للمرأة جرايحيًا فقطبت رأسها ومكث يعالجها
شهرًا كاملًا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النجس وقلة عقله
الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات
في البلد (واتفق) ثلاثة انفار من مخوفة الريف ارادوا الطلوع الى
المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأى فيهم
اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس واحنا
فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا
فقالوا له اصحابه يابو دعموم احنا ما نعرف شي بالتركي ولا غيره فقال
لهم انا تعلمت التركي زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصراني في
ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا التركي فقال لهم
اذا طلعنا المدينة نروح للحمام اللي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه
ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقرة غويطه يشخوا ويخروا فيها
وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا نقف ونلتف في بردنا وتتموا افرنا
اقول لكم قرداش محمد قولوا اه نوار اقول لكم محاكم شي بر منقار قولوا
يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعماله دول جنادى غرب
يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى
في مصر مثل الامارة ويشيع خبرنا عند الكفر اننا امارة نرطن بالتركي
فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام ابدًا فقالوا له اصحابه
دى شورة صواب يابو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر

وسألوا

وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد
والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا في البرك والابيار فقال
لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان يأخذوا بردهم ليستروا
بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم
غصبًا عنهم وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفه وايورهم مدلية
ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس او المعز او التيوس حتى بقوا داخل
الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا في المغاطس
مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت
منهم الارض وهم في حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا
الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على
الاكتاف وارادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب
الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش
محمد فقالوا هاه نوار فقال لهم معاكم شي برمنقار يعني جديد فقالوا
يوق يوق يعني ما معنا شي فقال لهم صاحب الحمام اي وقت يا تيوس
تعلمتم التركي المعكوس وبقيتم اماره وما هذا التركي الذي يشبه الخرا
اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجرة[2] بزياده قال ثم انه
امر اصحابه بصكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا من عنده
وتداركوا في الاجرة وقد اقترضوها من اهالي الكفر وخلصوا بردهم
وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد
ينادي في الاسواق على رجل يستحق القتل فظن انه ينادي العونه
يا فلاحين ففر هاربًا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب
الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونه
والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفًا من العونه
والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) مرة
على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى الصلاة للجمعة

[2] يعني وقفهم
يعني رغيف
٥

فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافة او الى عروبة صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس في بعض الصفوف
الى ان اقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليهم وهو
مرتاب وخائف ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع
ضجيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد انها هرجة وقعت بينهم قال فصاح
الفلاح يا ال سعد يا ال حرام الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو
يقول خذوك القوم يا بوكتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتى وصل الكفر
فلاقاه اصحابه وسلموا عليه فراوا احواله متغيرة فقالوا له ايش اصابك
ودهاك يا بوكتكوت فقال لهم يا ما قاسيت في دي السفرة كانوا القوم
مرادهم ياخدوني ولولا اني سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا
قتلوني فقالوا له ايش الخبر يا بوكتكوت فقال لهم وقعت هرجة كبيرة
ولا سلمني الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكي لنا على ما جرى لك
فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرايت ناس كثير رايحين زي قطايع
الغنم فقلت لابد ماهم رايحين لضيافة او لطروبة فرحت معاهم حتى وصلت
دار كبيرة فيها حجارة طوال منقامة زي الدعايم بتوع العريشة اللي نعملها
في الغيط وعليها قناطر مبنية زي قناطر الصابون وفيها حبال مدلية
زي حبال التيران في كل قنطرة حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار
خشبة عالية لها سلالم زي سلالم الغرفة اللي نعملها على البيوت من الكرش
والطين ونلطخها بالوحل من اولها لآخرها وللخشبة دي لها راس كبيرة
زي الناطور اللي نعمله في المقات وقصادها عريشة صومعة زي
العريشة اللي نحرص عليها الذرة والحمص في الغيط ولها سلالم فطلع
فوقها جماعة وقعدوا فيها ساعة وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه
وقال كلام ما احد يعرفه الا واحد خرج من حاصل في جنب الدار عليه
عمامة كبيرة الله اعلم انه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم
بقلب قوي ووجه كاشر زي وجه تيس الوسية وما صار طالع على السلالم

لم يسلم حتى قعد على السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق
راسه ونضر للناس اللى تحته وبهت فيهم وكشر عن انيابه وهو ساكت
غضبان كل من شاف شواربه شخ على روحه وحيات بحاكم ولا عمرى شفت
اقوى قلب منه ولا اشد حيل ولولا انه راس صابيه ماكان عمل دى العمل
وطلع وخده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه اللى
على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له
كلام كتير فانحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض
شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو ساحب السيف
يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا
على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نبوتى
وخرجت هارب وماسلمنى الا الله وبركة الشيخ ابوطبل فقالوا له اهل
الكفر والله يابوكتكوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا قتلوك
وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم
ياشيوخ الكفر ماعدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل
هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لايدرى الصلاة ولا الجامع
من قيام المرحبه (واتفق) لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن
فى ازقة المدينة فلقين رجلا من قحوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى
رأسه قفص ملآن من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان
فقالت احداهن للاخرى ماتقولى فى اللى ياخذ الفراخ من الفلاح ده
فقالت الثانية وانا اخد ثيابه وقالت الثالثة كل ده ماهو شطاره
الشطاره فى اللى تبيعه بيع العبد او المقداف والجرافه (فان الاولى
التى التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة فى الثمن فمضى
معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثانى
من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر
حتى اجى لك بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها

من الباب الثانى ولم يزل الفلاح جالسًا على الباب ولم يأته احد ورأى
الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابد
ان دى دار كبيرة وسأل عن المرأة التى اخذت الفراخ فقال له الناس
يا سقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجال ونسوان
داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربًا كبيرًا نافذًا من الباب
الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو فى
هذه الحالة اذا اقبلت عليه المرأة الثانية وقالت له ايش صابك ودها
يا مسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك
دى العاهرة وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح
وحياة عيونك يا مليحة ما معى غيرهم فقالت له امش معاى الى بيتنا
وانا اعطيك شى من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى
وانا لاخر لما ارقع الكفر ازور لك بحزمة ملاح وحزمة بصل وشوية قرع
تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين فرخ جله قال فاخذته
وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسألت عن صاحبه
فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض
المنتزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه احدًا سوى رجل كبير بواب
فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرأت فيه بئرًا من الماء تملأ
منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت
وبكت بكاءً شديدًا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحة فقالت له
يا فلاح كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ما
تخافيش انا انزل واطلعهم لكى من البير فقالت له تعرف تغطس فى الماء
فقال لها دى صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنة اللى
خرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى فى حبل البكرة ودلينى
فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البير الى ان وصل الى
الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها

(هذا ما كان منها) واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى المآء
ويفتش فى قعر البئر حتى كل وملّ واسودّ جلده من برد المآء وكانت ايام شتاء
ولم ير شيئا قال فلما اشتدّ به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه احد
فبينما هو فى هذه الحالة اذ اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح
يصيح فى البئر وينادى طلعينى يا صبيّه طلعينى يا مليحه دا ما هوش
مليح منك وداعيب عليكى وانا متّ من التقتيع والبرد فقال له الخدم
انت انسى ام جنى فقال لهم انا بوزعبل بن جنيجل بن كلب المش فقالوا دا عفريت
لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل فلاح وحكى لهم
قصته قال فدلّوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا انه انسى
ح لوا داحرامى وقع فى البير فنزلوا عليه بالضرب والصفك وطردوه
وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف اين يذهب
(قال فاقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد صارت الاولاد
تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه
بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له اعرف الى الله يا مسكين
يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك فى دى الحالة +
وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها
يا مليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وثيابى وحزامى الليف وشدّى
ومركوبى وما عدت اصدّق كلام نسوان ابدًا فقالت له لا تظن انى
من عواهر مصر انا عمرى ما خرجت من بيتى غير النهار ده ولما رايتك فى دى
الحالة شفقت عليك ومرادى اعمل معك جميل وآخذك الى بيتى والبسك
لبس مليح وخليك شلبى ظريف واعملك مملوك وحطّ لك خنجر فى حزامك
وعلمك التركى وبقى تقول شندى بندى على فلاص جيعاص فقال لها
الفلاح انا فى عرضك يا مليحه تعملينى جندى وتعلمينى التركى وانا على
الحلال من ام شحيبر كل من عاد يقول لى كانى مانى فى زمانى قطعت راسه
ولو كان ابو عو كل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى

قال فسار معها الى ان اقبلت الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها اتته بماء ساخن وغسلته باللّيف والصابون والبسته قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصته وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق واعطته بابوج جديد وبحرمه فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك حد فى الكلام بالحاقه وشدد عليك قل له كرته هريف بولك تمه ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمه دى اصل التركى اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر زمن الا وانت صنجق ويبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح انا فى جيرتك يا مليحه تخليني ابقى صنجك ويصير لى سطوه فى الكفر وكل من قال لى كلمه اقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بربع كشك وعشر طيور بحلة من اللى تعمله ام شحيبر واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل وبلطه وافرشها بالتبن والقصل وتبقى تنامى فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شحيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها اخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده انواع الاقمشه من الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوى الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجه كانت معها وقالت له يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأته المراة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحاله فقال له ستك بطلت علينا فهز راسه حكم ما اوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثانى ولم يتكلم فتضايق

التاجر من عدم الكلام وقال بجيرانه من التجار ما هذه البلية في هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركي قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ اقبل عليه رجل عسكري فقال له التاجر بالله عليك يا سيدي تكلم لنا هذا المملوك بالتركي وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندي بالتركي فهز راسه فاغتاظ منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح وقال له كرتر هريف بولشيه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا في جيرتك يا بوزعبل فضحك عليه الجندي وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ جميع ما عليه واراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو في انعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع رجل من الارياف) الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذي في الكنيف وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دي نقره غويطه طويله اخرا انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجري من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم * (وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فادركه الغائط فتحير ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخرء كلما اردت ان اشخ فدام دكان يمنعوني

الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة ما يخرا فيها احد الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه او نقرم تخرا فيها والا تخرا على روحك فقال له وحياة دقنك ما معايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض خدهم ودلنى على محل الخرء وابقى ازورك بعشر بيضه وجانب كبر قال فاخذ منه النصفين ودخل به الى جامع واتى به الى بيوت الاخلية واوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقرم غويطه تنح واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظن فى نفسه ان الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فاكد مع الفلاح وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو ان زوجته لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسا فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذ اقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتنحنح له اول وثانى وثالث والفلاح يقول انا ما يقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول له يا انجس الفلاحين ايش قطن قطن وانت فى بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحه الا انك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب

(وطلع رجل آخر المدينة) فصادف رجلاً من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكاً صغيراً مقلياً يسميه اهل مصر بسارية له لذة في الطعم قال فصار الفلاح يشف منه ولم يعرف ما هو ثم قال في نفسه دا شئ عمرك ما اكلته ولا رأيته ولا بد يا ابو قربيطم اظن انها الكنافة التي يقولوا عليها تطلع في المدينة ويأكلها الامارة وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم ابو عنطوز تنفش الصوف وتبقى زي الكلاب الكواشر ويبقى بينهم يحصل زي تيس الوسية ويقولوا لك يا ابو قربيطم قل لنا ما اكلت في المدينة من الطعام اللي ياكلوه الامارة تقول لهم اكلت الكنافة فما يصدقوك ويقولوا تكذب يا عرص قال الصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها وتحطهم في لحفك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه حط في لحفه شياً يسيراً حتى طلع على الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زي الكلاب السعرانة وهم دذوف وشحيبه وزعيبو وبعيبو وترو فر وقنافد ولعالق وزرارة ونبايك الحمار وسلموا عليه وقالوا له يا ابو قربيطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينة وما اكلت فيها فقال لهم المدينة مليحه قوي وفيها جنا دي كتير قوي وفيها الخيار الاصفر خذت منه بجديد وخذت بجديد مقلي وخذت من اللي يقولوا عليه الحضر كرشه اللي يبيعوها على الخشبة العاليه العريضه زي الجرافه واكلت وتنعمت واشترقت حتى خذت كمان وحياة لحالهم بجديد ترمس مملح واكلت فول حار فقالوا له يا ابو قربيطم كثر عليك مال السلطان وعمايلك دي ما تخلي رزق وانت عمرك بتصرف ولا تحسب حسبا الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كمان اكلت الكنافة اللي بياكلها الامارة قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع لحفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راو صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حربي وزغرطت النسوان وقالوا له يا ابو قربيطم بقيت زي الامارة وغدا انشا في الكفر

يشلش عليك ويقول بقى ابو قربطم سعيد وياكل ما تاكل الاماره ومتى
ما بلغه الخبر شنعك المقداف او الجرافه وانت تكتم السر ولا تقول
لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافه ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم تكتموا
الخبر وتحلفوا الى على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيح بذا القضيه
فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة) يبيع بيض
فاشتراه منه رجل جندى وقال له امض معى الى المنزل خذ الفلوس
فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيفا فدخله ليقضى
حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف
فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما يحل
لك من الله تاخذ بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما اكلمك
تنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس فخرج
الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح وصار يضربه
بالمحرمة التى فيها البيض حتى كسره على راسه وسال على لحيته وشواربه
والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا (وطلع آخر المدينه)
يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان ياتى الى رجل
صيرفى لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده
فسال عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال
للولد بالله دلنى عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على
بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح
على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى منها
المقصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى
على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله
يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة
فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره
(ومما اتفق) ان قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزوره قيمها

عدم الذوق ويفتخر عليه بملعوب حكم ما تلعب اولاد الفن قال فلما
تى وصل الى مصر واجتمع بقيمها فى عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم
مصر ما تهدى يا قيم الشام قال اريد ان العب معك فى عدم الذوق
وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون
قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامة فى غداة غد ان شاء الله تعالى
نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت فى عدم الذوق وتبان
شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته فى عدم الذوق
وحضر قيم الشام وقال له العب واجتهد فى عدم الذوق قال فذهب
قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على اكتافه
وشق بها بين الناس فى الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك فى ثياب
الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه
واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر
بقى شى عندك من عدم الذوق غير ده تفعله قال لا فقال له دى ما هى
شطارة لان الناس استعدموا ذوقك لكونك اذيتهم وشوشت عليهم
وانا افعل اعجب من ده وهو انى اخلى الناس يستعدموا ذوقى بالورد
والنسرين والريحان واشباههما فقال قيم الشام هذا شى له ريحة طيبة
وزى ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر
لقيم الشام تعالى معى وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعا
حتى اقبلوا على بتاع الزهور فاخذ قيم مصر منه شيئا يسيرا من الورد
والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى اقبلوا على ميضاة
المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخلية فصار
قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين
والريحان ويقول له خذ يا سيدى شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك
واعطينى ما تيسر فيتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه
ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا فى خرا والا فى نيازو وصار يدخل

ورواية اخرى (والا شم ورد) ٢
٥

على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقر على نفسه قيم الشام انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه الماكل والمشرب ثم انه ساله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك عما حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافلة فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرايت في جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تاكله وآخر نزولك يا اخي ما فعلت في البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوما وانت نازل في البئر من غير شيء فكيف طلوعك وانت حامل حجر طاحونة اشهد لك انك قيم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك انصرف عني قال فاخذ خاطره وانصرف بعد ان كتب له محضرا بذلك انه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) ان اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفني * قلت اني فيك اصف * (كل ما فيك ثقيل * قم عني وانصرف)

وقال آخر * وثقيل تبسما * اصبح الكون مظلما * (حط في الشرق رجله * مالت الارض واشما)

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

قال

قال الشاعر * لأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * وتروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلا الى القاضي وادعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما الدابته فأحضر القاضي الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش على فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح أتابيك ياقاضي ثور وانت اذا نزلت غيطي ياهل ترى اضربك اكسر قرنك ولا أخليك تطلع سالم ولا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبحك الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) ان رجلا فلاحا دخل على الأمير حماد بن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا ثور * والناس حواليك عجاجيل * لما تعمل برو تكهاش * يولوا الكل حفافيل *

ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما ان الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لايم حاله وناسب جهله وهباله * اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت أم زعابر في المعازيل تطحن وتعجن ونغزانا المغازيل * وحولها شغت شربه من عجاجيل *
وهم ينطوا وهي تلعب حناجيل *

والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هبتول وهو مشتق من التحنجل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل اي يجري جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام في رأيت

محبوبتي هذه وهي ام زغايد في معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحين والعجن
وتغزل فيه ايضًا وحولها الجحول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تحجل بينهم
وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه
الشيء منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينة) لقضا حاجة من استاذه
فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا كيف حال
المدينة فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا بوعوكل اشبرقت فيها فقال
لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابيه التي يقولوا عليها للحضر خذت منها
بجديدين وسمعت واحد ينادي في المدينه حلو وبارد يا تين فخذت
منه عشرين جميزه بانطا بجديد وحطيتهم في متردوعفصتهم بيدي
وشربت عليهم جرة موية من البحر فقالوا له هنيالك يا بوعوكل لكن
تصنيع وتبعزق ولا تخلي فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال
السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا
فضاضي وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له) يا فلان عملت السنه
كعك في العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطيت
فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك
وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شيء عندك منهم قال بقي
معي واحده آخشبها الجارة من كمرد نديط الى كمرهر بسط (وارسل
بعض الامراء) غلامًا له فلاحًا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك
بسمسم وهات عليه زعتر نعطر به فاخذ النصف فضة واشترى بأربعة
جدد كعك واربعة جدد زعتر من عرد ق ووضع الجميع بين يدي
الامير فلما رآه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه
الى بلاده (وارسل بعض الامراء ايضًا غلامًا له فلاحًا) وقال له خذ
دي الدراهم واشترى لنا دبة (يعني بطة جلد يوضع فيها السمن والعسل) فتوجه
الغلام الى الرميله وسأل عن بياع الدبب فدلوه على القرداتي فأتاه ورآه
يلعب بالقرد والدب والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه

وقال له مرادى تشترى للامير دبة مليحه فقال له القرداتى عندى واحده
مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما
القرد والكلب والدبة حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام
وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرا هناك وعنده جماعة من الاكابر
جالسون فلما رآهم القرداتى قام بيده فى الطار وسحب القرد والدبة
والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى
ان خدامك ده جانى واخبرنى ان مرادك تشترى دبة تجيبك بها
وبالقرد والكلب تنظر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره
فامر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين
عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من عنده وتوجه الى بلاده
واحسن الامير للقرداتى وامره بالانصراف فانصرف (ورأيت)
رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا
قال له ايوه فقال له ايش هجا بربق فقال له بره به قاف واو فقال
له ايش عرفك ان فيها واو فقال دا انتى عليها النقطه اللى فوق الواو
فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع
ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا بو دعموم فقال شعر مقعص لا له
اول ولا آخر * لقد اقول جنيش خلوث برانت * منزلنا يا طالعة القمر وشن *
فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارون الرشاد اللى وقع فى الجب
لقفه التمساح نزل عليه الوحل فى جامع الطيلون اللى النار برد وسلام
فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن ابو طالوب جرى له زى ما جرى
(وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرا الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا
راسى فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكى
لك انا باشكى لربى وجع راسى ثم انه ركع وصلى واتم صلاته ولم يبال
بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل آخر) من الفلاحين
فاحرم بالصلاة وقال يا رب خلى لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا

وَطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح أنا سمعت هذا الكلام من أبويه وجدى قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله أطلقنى فضحك وأطلقه ثم انه أتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف ما لصحته من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا بويه البقره روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخذ شجيره يحلبها فى المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه وامسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدى انزل عنى حتى أتم صلاتى ثم انه تشهد وأتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدى يقول حديث عن ام عازبه جدتنا القديمه من لا يستقيم دقنه ما يربى ابنه واولاده الصغار مثل اولاد المعزه وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجدته وامثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يا رب بلحيتى وجلتى وقفاى ومركوبى لا تردنى يا رب خايب لا من رحمتك ولا من رجاك الله وكبر وركع وصلى وأتم الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخل الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد (وصلى فقيه ريف بجماعة) فلما قرأ الفاتحة وانتهى الى آخرها قال ولا الضالين فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له بل انت كفرت (وحكى) ان رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال فقال الامام هذا اللفظ شنيع كيف يمر جماعة راكبين فيلك

جنتهم طيراً ابابيل خلتهم مثل القطير ثم ركع وركع الآخر وأتما صلاتهما
التى لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب
فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يا رب انت تعلم
انى ما ضرطت بخاطرى الا غصب عنى سامحنى يا رب ثم انه تشهد وسلم
(وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضاً فاخذ قرص جلة ووضعه
تحت جبهته واتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف)
فلما تلبست بالصلاة جاء كلب واخذ من جانبها رغيفا فامسكته
وقبضت على اذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه واتمت
صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ فى الكتاب فجاءت امه واشتكته
للمؤدب وقالت له يا سيدنا الولد ده بيئذينى ويشوش على وانا اصلى
واذا ركعت شلح ثيابه وشخ على فقال له المؤدب احق ما تقول امك
قال نعم يا سيدنا فقال له ما السبب فى انك تؤذيها وهى فى الصلاة
فقال له يا سيدنا لان عبادتها باطلة لا فيش ولا عليش لكن اسألها
انت ما تقول وما تقرأ فى صلاتها فقال لها المؤدب انت تحسنى الصلاة
فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امى وجدتى وجدة جدتى
فقال لها اقرئى الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
اذا جاءك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال
لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة فقال
الولد اسألها يا سيدنا ما تقول بعد الصلاة فسألها فقالت اقول
زى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله
قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرتى يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد
وقال له امرتك ان تخرا عليها فضلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها
وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر واراد ان يقرأ دعاء
الافتتاح قال لفحت وجهى للى شرع السموات والارض لا انى لا حنيفا ولا مسلما
ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن اى ملة انت قاتلك الله الا بعد

فقال انا من بني عقبة فضحكت عليه ثم تركته ومضيت (واما) احوالهم فشهيرة واضرابهم كثيرة واموره لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط في الدين ونحو ذلك فنقول (سئل فقيه ريفي عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ما معنى اقلعي فقال هذا الجاهل اي سيري مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للولي قل انكحتك بنتي خطيطه البيضة اللون الشقرة الشعر التي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط ان ان تكون في طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك قراها وتنسج لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت شكاعها ونكاها وهراشها وفراشها وفرشحتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوي عمت بركاته ونفعنا الله به في الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوطه فجلسنا تحت المستوقد منه بعيدا عن العجول نتذاكر في العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محتزم على بشت من الصوف من غير قميص حافي الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال اسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدي ان قلتموا لي عليه ورديتم جوابي عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا علي الجواب طردتكم من البلد فاني فقيه البلد وامامها وخطيبها وما عمر حد غلبني ولا عرف سؤالي قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل عما بدا لك فقال يا فقهاء الازهر الصلاة لها كام عنصر وفاين عنصرها الاولاني وعنصرها الاخراني قال الشيخ عفا الله عنه فقال له رجل من اتباعنا الصلاة لها تلتمايه وستين عنصر الاولاني

من عناصرها رجليك والثاني ايدك والثالث طيزك والآخر في ذقنك قال فسكت واحتار في امره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يا ابو جحول فقال لهم طول عمري اسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حد جاوبني عنه الا دوله وانا اقول لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبوني قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا مترد بن لبن دشيش وخبز ذرة فاكلنا ونمنا في مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا واخذنا خاطره وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا الشديد حذقه اجابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصاد كلام (وسأل بعض الفلاحين) اخانا في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهي رحمه الله تعالى فين هي قبلة طيزك فقال له ذقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا ان مما اتفق في بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يقاومه في العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده في منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسألهم بحضرتك سؤالا فان اجابوني فانا من تحت امرهم والا يكون لي الخيار عليهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا ليسأل العجمي عما بدا له فقام العجمي بين ايديهم وسألهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لابد ان تجيبوه عن سؤاله والزمهم بتلك المسألة لميله للعجمي ومحبته له فقالوا له امهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأي في دفع هذا العجمي ورده الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأي عندي اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف ونخوفهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا

ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع الى الوزير ونقول
له هذا شيخنا وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط
الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة
فرأوا رجلاً من اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين
كبير اللحية على رأسه قحف طويل وعليه جبة من الصوف الى ركبته وهو جالس
في حانوت ياكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة
واحدة فلما رآهم ظن انهم يريدون اخذ البيضة منه فأخذها ووضعها
في قحفه من داخله واراد الهروب منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في جيرتكم
ما اشعر فقالوا له لا تخف يا فلاح ولا تخش من شيء فقال لهم انا خايف
تخذوني لاستادي يقطع راسي وانا عمري ما ضيعت ولا اطلعت من
غير السنادي وانا كنت جيعان وجبت معاي اربع بيضات شويتهم
اكلت تلاته وفضلت معايه واحده خفت منكم وشلتها في قحفي وانا
على مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك
خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين اللي عليك وغديناك وبسطنا
فقال لهم انا الاخر كل ما امرتوني به فعلته من ام فحت بير او هدم حيط
او شيل طين او حمله عملتها لكم في ساعه وان كنتم رايحين في عركة خلوني
معاكم وهاتوا لي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا الف راجل اطحنهم فقالوا
ما مرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي يسالك تجيبه
على سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابداً الا بالاشارة حكم ما يكلمك بالاشارة
فقال لهم خذوني للمعرص ده وان طلبتم اضربه خبطه بلكاميه قتلته
ولو كان عند السلطان والوزير وانا ياما قتلت وياما سرقت وانا علي
مال السلطان وعلي اني ارد العجمي ده مغلوب (قال) فأخذوه والبسوه
لبس الفقهاء وعمموه على قحفه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه
فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخليها لانها بيضة فرخي
واول بيضها ولما اجوع اكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم

حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم واعظم منزلتهم فقالوا
له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى متأدبا جلوس
طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كانه قاعد فى
زريبة بقر فلما رآه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه
لولا انه من العلماء الاجلاء ما احتقر المجلس ثم ان العجمى اشار اليه بالسؤال
يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فاقام الفلاح
له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على
الارض فاخرج العجمى من عبه علبة وفتحها واخرج منها فروجا صغيرا
ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح البيضة من عبه والقاها الى العجمى
فعند ذلك هز العجمى راسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء
قد اجابنى عن سؤالى الذى اشرت به اليه واشهدكم انى صرت من تلامذته
ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا
وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعدما نزلوا
الى منزلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال لهم
الفلاح يا خسارة عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا ترد والناموس اناهم
انا لما قعدت قصاده وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب
وشاور لى بصباعه كانه يقول لى اصحى لنفسك والا خرقت عينك
بصباعى ده فاشرت له انا لاخر اقول له ان لم تصح انفسك والا
خرقت عينيك بصباعينى دول ورفعتهم له فرفع ايده الى السما
كانه يقول لى ان لم اطيعه والا صلبنى فى السقف فحطيت ايدى انا
الاخر على الارض اقول له ان ردت تفعل معى ما تقول خبطتك فى
الارض خبطة طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه اخرج
لى فروج دجاج صغير يوذينى انه ياكل كل يوم فراخ وانه متنعم فى
الماكل والمشرب فاخرجت له من عبى انا الاخر البيضة المسلوقة
اوريه انى متنعم فى اكل البيض المسلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله

قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي . وسألوه عن الجواب
فقال لهم طول عمري اسأل العلماء بهذا السؤال واناظرهم فما عرف احد جواب
الا شيخكم هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم
اتيت له اولا اصبعي اشير اليه بقولي ان الله واحد احد فاشار الي
باصبعين يشير الى انه ليس له ثان فرفعت له يدي اشير اليه انه رفع
السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لي وبسط الارض على ماء
جمد فاخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه ان الله يخرج
الحي من الميت فاخرج الى البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي فاجابني
جوابا شافيا فما رأيت اعلم منه فعرفوا ان العجمي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على حد قول القائل (سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب)
فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) ان رجلا أعسلت
لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف
فقال ايها الناس الى كم تلهوا في الحصيد وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم
اللوم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر
ولا تعويق واعلموا يا اهل بلدنا الي وراه عدو ما وراه هدو فوالكم الله
يا قوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا لا يجيكم العدو من جنب النقره
فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان يا منان
انصر شيخ بلدنا عمر بن قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل فصلى بهم صلاة فيها
لا فرض ولا سنه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا
ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم
تنقوا الزرع الوسيه والا صبحكم الكاشف بداهيه وبليه فغدا
تسرحوا للعونه والسخره وفيقوا للغنم والبقر وافتحوا ابياركم وفيقوا
لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب
النار على ايش يا حبايب تحرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله
من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم

(وخطب آخر) فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط
في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا للخطيب وعدوا
انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أن يسرق واياهم فولا
اخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى أتوا الى غيط رجل من القرية
وأخذ كل واحد منهم عمرا كبيرا من الفول وأخذ هو عمرين ثم دخل الجامع
يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال ايها الناس قال رجل
من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا واياك في
السرقه خذ كل واحد منا عمرا واحدا وانت خذت عمرين فقام اليه الفلاحون
وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه
ريف) بعض العلماء وقال له مرادي اقرأ الاجرومية على مذهب الشافعي
فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رحمه الله تعالى)
رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدي
شيخ الصحافيين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى انظره لك
فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي مختصر مسلم
فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قالت
فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن
فقال لهم انا فقيه الريف اقرى الاولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم
لطوله فقلت لعل احدا اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظوه
بالسرعه فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من
الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة في
بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له
القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضي وعندي
مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وضحك عليه وطرده
(ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على ابي حنيفة رضي الله عنه ورجل
الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام في هيئة حسنة

وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر في مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابي حنيفة ان يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) ان اثنان اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يتذكرون فبينما هم في المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم انه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون او يتذكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في اي كتاب فقال له في كتاب عندي يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت جيل اسناده ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت في نفسي اسأل عن فقيه البلد وانام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انظره على الكوم العالي في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حماره الميت حكم ما ذكر لي اهل بلده وهو في حالة رذلة وثياب دنسة حافي القدم تعس الناصية فسلمت عليه فرد علي السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو في كرب كانه يغازي القوم قال فجلست ساعة انظر في حاله واذا برجل اقبل عليه من اهالي قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامرأتي انت طالق بالثلاثة وسألت فما حدثتها الي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى تنكح زوجا غيره

وأنا خاطر عما تردها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال
فالتفت إليه وقال له إن كان مرادك أخلصك من اليمين ما آخذ إلا
كيلتين شعير فقال له أعطيك ما تطلب فقال له خذ امرأتك وقت
السحر وروح بها بركة الماء التي في المحل الفلاني وخليها تشلح ثيابها
وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل
الماء فرجها فإن الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال
الله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا
الرجل أخذتني الغيرة في دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت
له قاتلك الله وعلمك وفقهك ونهيت السائل عن هذه الفعلة
وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل ما قال
لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت أني لا أبيت في هذه القرية لأجل
هذا اللئيم ثم مضيت إلى بلد أخرى ونمت بمسجدها إلى أن طلع النهار
وتوجهت إلى سبيلي (وقال بعض فقهاء الريف لتلامذته) قد ظهر لي في
القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك أنه وجه ضعيف
لأنه محكي بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر
بنواحي الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد
به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية
ليسمعوا قراءته إلى أن وصل إلى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وأنت
تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا وإلا قتلناك قال فقام رجل منهم
وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل إلى فقي بلدنا الحاج مخالف الله
ونسأله فإن قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه وإلا قتلناه قال
فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجمل من طوله
أو عمود من عواميد الصواري من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر
منها الجلود وهو ملتف بحرام أبيض دنس لا غير فلما حضر وجلس

اضربوه بالقضيبة فنظر يمينًا وشمالًا وقال اضربوا حتى ابين لكم
واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على احرامًا
فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بشر عنه
عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو
السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم
طلعت العرش سماوات التى خلقها الله تعالى فرأيت اول سما فيها بقر وثانى سما
فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها
كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصنافًا من الحيوانات الى ان قال
وشفت السماء العاشرة مليانة غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم
تحوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه
خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فاخذ الرغيفين
ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض
فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب
عنها بسرعة نظمًا ونثرًا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من
غير معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء وراوا سرعة
جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا ان فيه رائحة
المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره
لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم ياخذ له حرفًا من حروف
الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فاخذوا
الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس
فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا فى بعض الكتب الخنفشار
وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى ارض الصين
يعقد به اللبن قال الشاعر لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار
وقال صلى الله عليه وسلم واراد ان يذكر حديثًا باطلًا فقالوا له امسك
ها معك فحسبك الله انما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك

في الكذب عليهم وأما الكذب في الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم
قاموا عليه وابطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا ان العلم امانة
وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول
المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء
العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من اهل العلم عن وصف كلب اهل الكهف
فقال لا اعرف وأبى وان وكان من العلماء فقال له ابي سئلت اليوم
عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرف ولم يبلغني في وصفه شيء
ثابت فقال له ابوه لاي شيء توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا
ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا
شديدا واصبح ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدي
فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى
لقمان ابنه) فقال له يا بني اذا سألك الناس فقل لهم لا ادري فانك
اذا قلت لهم لا ادري لا يسألونك حتى تدري وان قلت ادري سألوك
حتى لا تدري (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم خازرين
يريد بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له
ما معنى ميزاب قال الذي ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن
فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقطا لنفسه ظلا في اي سورة فاطرق
ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضي وقال له
اصلح الله مولانا القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي
ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فاني اصلي ولا اشرب الخمر فقال له ابوه انه
يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئا منه قال له القاضي
اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم (علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا)
(ان دين الله حق * لا تغيره ارتيابا) فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها
من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظ فيه آية
أخرى وهي (ارحم صبا كئيبا * قد رأى البعد عذابا) *

ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهو فى القرآن فانظر ايها المتأمل الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفى الله شك فقال فيه قولان فكم تحسب عبارته وبعضهم اجاب عنه بان فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى فرأى اهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها معرفة وخشبة وسكين من حديد وفار ميت معلق فى عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد انى اسأل فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو ايضا مثلهم حامل قفة فيها معرفة وخشبة وسكين ومعلق فى رقبته فارا ميتا وراهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن امر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث رأيته فى كتاب عندى واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثنى يحيى بن يحيى عن سفيان الثورى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومعرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتنبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينه وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمعرفة ووقار تصحفت بفار واما سند الحديث فهو حدثنى يحيى بن يحيى عن سفيان الثورى فتصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية وابطل هذا الامر وسعى فى خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فاخرجوه من البلد بيد امير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله

قوله بعض العلماء صوابه العبارة انه اباه فهو الذى قال فيه قولان وكان ابوه جاهلا ريفيا وكان هذا العالم كلما يتكلم يقول قال الوالد قال الوالد فتشوق تلامذة ولده الى رؤية هذا الشيخ الوالد لكثرة الرواية عنه وقالوا لشيخهم ولده لا بد لنا من رؤية الاستاذ الوالد فاحضره والبسه شعار العلماء وقال له لا تتكلم انما تسكت للمشيخة وما دمت قاعدا فى المجلس تقول بس بس بس اشارة الى انك شيخ واذا سألك احد سؤالا قل فيه قولان فالتزم هذا الجاهل ذلك فاستفهم بعض التلامذة بهذا السؤال وهو أفى الله شك فقال ذلك والحكاية مشهورة ٥ كاتبه

قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شئ يباع
فيه فاذا هو خمر قد صبوه في اناء ويناول رجل منهم للناس ويقولون
هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه اعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل
الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة واقيمت
الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله من القضية
ومن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدي
ان المؤذن الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نصراني احتجنا اليه
لمرض اصاب المؤذن ورأيناه صيتًا فاقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق
بالشهادتين واما الخمر الذي رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم
عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين
وارباب الوظائف واما رفع رجلي التي رأيتها فقد اصابتها نجاسة
وانا داخل المسجد وادركتني الصلاة فقلت ارفعها واصلي على رجل
واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل التلويث
للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى القاضي فدخل عليه
ليسأله عن هذا الامر فوجد غلامًا يلوط فيه فتحير في امره وقال له
ما هذا يا مولانا القاضي فقضيتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له
لا تعجب ان هذا الغلام يدعي اهله انه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه
قاصر فاخذته لاختبره وقلت ان فعل وانزل فانه يكون قد بلغ الحلم
والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المني وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا
من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله
انتم وقريتكم جميعًا وحلف انه لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض
فقهاء الريف الجهال القضاء فارسل الى من ولاه هدية وارسل معها
مكتوبًا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندي ان الواصل لكم هدية
خروفان وسبع موجتين الافندي خروف وسبع موجة والنايب خروف
وسبع موجة قال فلما وصل القاضي مكتوب امر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية

(ونظيره) مكتوب فنين الذى ذكره سيدى على بن سودون فى ديوانه
الذى ارسله الى اهله من الصعيد قال فى عنوانه يصل ان شاء الله تعالى
الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقيه ويسلم ليدا اهل بيتنا فنين
وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخيل من الاوراق سلام
لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من مقود زرافه ولو كان
طاق او طاقين او طاقات من كل بد وسبب وفى هذا المعنى اقول لكم شعر

ان كان ابى ما مات وامى تعيش * فبلغهم ياريح منى السلام مات
وروح قل لهم انى مع الناس فى البلد * ويا ما جرى لى بعدكم من نكبات
وانكم فى غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا لا حيله فنين مات

والذى نعلمكم به ان كنتم للشمع طالبين باحيا انى ارسلت لكم صحبة القاصد
على جوز وز فقس الصيف من ديك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف
بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلموا اخراف ارسلتم تطلبوا احبل تنشروا
عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا
كشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته ما يوصل لكم
حتى يبرد وطلبتم نيد وما قلتم لى بعسل او بلا شى وطلبتم قليلات
والفلاحين ما يزرعوا الا قرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من جهه
وبلغنى ان امراتى حبله من بعدى فلا تخلوها تولد حتى اجى وان ولدت
قبل ذلك لا يكون الا صبى وسموه دار الخطيب فانى دخلت دار الخطيب
ورايت فيها من الطعام شى كثير اعجبنى وجرت لى فيه حكايه ولكن
ما تقولوها لاحد ابدا تبقى فضيحه وذلك انى اكلت يوم بطيخ ونمت تحت سلم
العتب فى بيت الفلاحين فتخريت فى ثيابى وانا معذور بزياده فان
البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت قميصى ونشرته فى السطوح فقام بالامر لقد
ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتى رجفه خلتنى ضعفت
ضعفه لو ضعفها غيرى كان مات وعرفت انها ما هى بشارة خير وانها
تدل على موت امى وابويه والحمد لله الى كانوا قدايه وانى صليت وصمت لله تعالى

الى

اللى ماكنتْ فى قميصى ولو كنت فيه كنتْ اتكسرت فقلت حوالينا ولا علينا
ولكن من الرجفة وجعتنى عينى اللى تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من
دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان انا والخولى
فرايت فيه نخل شى طويل وشى قصير وشى ما يشبه شى فقلت له دى ايه
قال لى توت ودى ايه قال لى غلة ورايت يا بويه نخله كل ورقه قد الصفه
اللى تتخت امى فيها فقلت ودى ايه فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له
الموز يطلع فى البستان فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين
قال يطلع فى طاجن الجبان وانا كل يوم اجى واطل من الطاقه وعمرى
ما شفت فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت للخولى وراهنته من
امراتى للحله لامراته اللى بلا حبل بانه يحمل امراتى يوم وانا احمل امراته
يوم فلا تخلو يغلبنى وياخد امراتى وابقى يتيم وكانى وودن الشيطان
مسدوده اصبحت اكتب لى محضر واخد خاطر الجيران ما راوا نخله جبن
مقلى فى طاجن الجبان والذى نعرفكم به انى لما طلعت البلد ولقيت الصابون
غالى فحت الحماره البيضه واشتريت لى حمار سوده على شان ما تتوسخش
وكان كلام كتير فانى لو كتبت لكم اللى فى خاطرى لكان كلام يجى من حد
عندكم لحد عندى وبعد السلام على اهل الحاره كل واحد باسمه كتير كتير
بتاريخ صبيحة يوم الجمعة الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا
السابع والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرفش اللى تقولوا عليه
بالامارة مطرت المطره واهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب
كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين
والف يقول فيه السلام من الفقى ابو على اللى اسمه محمد على حضرة صاحبنا
اللى يطالع فى القرآن زى ما يطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم يا الفهامه
ويا ما له علينا شهامه اللى يبيع الكتب المنظومه من الكلام زى قصة الجاه
والتوذد والورد فى الاكمام حاوى الكتابه فى السطور ومن يعرف كتاب
الفخ والعصفور وانا فى شوق واشتياقه لا يحمله جمل ولا ناقه *

ولاحمار ولاحمادين ولابغل ولابغلين ولازرافه وفي هذا المعنى اقول لك كلامه
السلام عليك يا سيدي والرحمه * سلام من هو لا ياكل بعدك لقمه
الا صابم عن الزاد وهو زى الاعمى * وانا قصدى اشوفك ولو في الضلمه
وانا كنت اريد اجيك وحياة راسك ماهو فيني الاسر موجتى مقطعه
وانا اقول لك شوف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت بداه عليه
ويا ما فى لو الى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من
العجايبه وانا امبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاودنسيته
الله يسامحك ويسامحنى الله الله لا غالب الا الله والسلام عليكم ومن
من كان نواجيه ناتف على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو على واسمه
محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابو عماره اللى يبيع فى بلاد الفول
والمش والزيت الحار يوصلها لبولاق وواحد يبقى يوصلها لسوق الكتب
اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام
الذى يشبه الوحل وامثال هؤلاء الجهال كثير * ولقد احسن الامام
حجة الاسلام ابو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الا صياحا ونفض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيض واصفوا رياحة * وقلبهم بالسواد مظلم
فلان ترى فى الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم

اى اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فأسأل الله السلامة منه والبعد عنه
نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ونظمهم)
قيل مرّ بعض اهل الارياف بجماعة من الظرفاء ينشدون الاشعار فى معنى
العشق فقال لهم زيدوا يا مغنيين القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتونى
نشيد مليح قلته وانا احرث فى الغيط لكونى عشقت ام معيكة وكنت دايم
اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت فى ام معيكة فانشد
يقول مواليا * (ماضنال قميصى يشحطط من ورا الحرات * حتى انثنى صيده رايحه
بتبات (فقلت يا ام معيكه ارحمى من مات * قالت انا رايحه اخرا واجيت بتبات)
اقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافى الذى ليس له اول من آخر وقائله
ابلد البشر او من اغشم البقر وتفاعيله بأحتياط متخبط خبط متحيط خباط
وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط
ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضنال) هذه كلمة يستعملها اهل الارياف
وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها ما زال فبدلوا
الزاى ضادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل والضلال او من الضئيلة
وهى الحية قال الشاعر (فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع)
ومصدرها الفشروى ضل يضل ضلا لا فهو ضال ومضلول (قميصى) على
وزن حريصى او خبيصى واشتقاقه من القمص اى قمص الحمار يقال حمار قامص
او من بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قمصا فهو قامص
ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من
الشحططة او من الشحوطة اى ينسحب وينجر على الارض يقال شحططه
اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط صحيبك ورخه الفقر قلّه * واكويه بالنار حتى يلتقى عله
حتى يلين وينقى قرص من حيله * فوم اطعمه عدس وبيسارا وبسله

والشاهد فى قوله شحطط صحيبك وشحطط على وزن ضرط بتشديد الراء
وضرّط فيهما مناسبة من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط

وجرّ على الارض او في جورة او في نقرة رغا ضرطا من شدة ما يحصل له
من المشقة والم التشحيط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحرات)
اي من خلفه ووصف قميصه بانه صار يجرّ خلف المحرات لاحد امرين
امّا لانه غلب عليه الشقا وكثر الحر والتعب فخلع كمّه من يده كما يفعل
الحرّاثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك
لتروح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحرّاثين واما غيرهم فانه
في الغالب لا يحرث الا عريان او عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة
فهذا يدل على انه كان من اكابر الحرّاثين ويحتمل ان قميصه كان منشرمط
فصار يجرّ خلفه وينشبك في الشوك والحلفه او يقال انه قلعه ووضعه
على كتفه كعادة الحرّاثين فصار يجرّ خلف المحراث ومن شدة تعبه من
الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مرقة بلمة من الارض
حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها
محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال شاعرهم

تضال عمرك يا محرات تاعب جماعتك * الى يوم الحشر ما انت مفارق

فالحرّاث دائما في تعب شديد وهم مزيد وليس في الفلاحين اتعب منه
خصوصا اذا كان في معاناة الحراقة السلطانية وهو اقل عقلا من
غيره لانه في النهار رفيق الاثوار وفي الليل رفيق النساء في الدوار فلم
يكمل له عقل * ومثله في قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره
رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب
الاطفال قبول شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه
نا ... الشتيمة الى المؤدب بقوله يقول لي الولد ده دم الحس فقال يا سيدنا
والولد الاخر يقول لي يا ابن القحبة يا سيدنا ويقول لي دم احرق عينك
يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال
طبلة وزمارة ومرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبلة وافرقهم
بالزمارة واضربهم بالمرقلة (ورايت في بعض الكتب) ان مؤدب اطفال

كانَ يُعلّم الاطفال القرآنَ فى غرفة له فاتفق الاولادُ على أنْ يبنوا على باب الغرفة حائطاً ويمنعوه من الدّخول اليها ففعلوا ذلك ليلاً ولمّا اصبحوا جاؤا الى المؤدّب وقالوا له انّ الغرفة هربتْ بالليل قال فشدّ وسطه وغدا فى طلبها وما زال فى البرّية يمشى حتى قاربَ الليلَ فلم يجدْ شيئاً ورأى صومعةً فيها راهبٌ فسأله هل رأيتَ غرفةً فيها الواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه احمق لاعقل له ثمّ قال له نعمْ انها مرّتْ على الظهر وانت لا تلحقها ولكن بتْ عندى الى السّحر وانتَ تلقاها فقبل منه ذلك القولَ وصعد عنده وقد هلكَ من الجوع والعطش واضرّه التعبُ فاحضرَ له الطعامَ فاكل وشربَ حتى شبعَ ثم اسكرهُ ونوّمه وقام اليه وجرّده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهبُ والبسه ثيابَ الرهبان وشدّ له زناراً وتركه فلما كان وقتَ السّحر نبّهه وقال له ويحكَ انّ الغرفة رجعتْ الى البلد فقم وادخل البلد تجدْها قال فقام ومضى الى البلدَ فرحاً مسروراً فلما رآه النّاسُ قالوا له انتَ صرتَ راهب قال لا والله الا انى بتّ عند راهب وقلتُ له نبهنّى وقتَ السّحر فايقظ نفسهُ وتركنى قال ثمّ انه رجعَ الى الصّومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك يا راهبُ نبّه نفسى حتى أدوّج البلدَ وخذْ نفسكَ اجعلها مكانها صدقةً عنك بحق المسيح قال فصار الراهبُ يضحك عليه حتى أيس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكانَ ايضاً بعضُ مؤدّبى الاطفال) اذا وقفَ يصلّى وركعَ اخرجَ رأسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجدُ ويتمُّ الصّلاة (وقوله حتى اشتهى صبيّه) اى لم يزل على هذه الحالة الشنيعة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرّت عليه هذه الصّبية وهى ضدّ العجوز وصبيّه على وزن بليّة او زنيّة مشتقة من الصّبوة على وزن اللّبوه او من الصّابون او من مصيبة فشغلته بحبّها وفتنته بجمالها وسبا هواها لاسيما وهى من ملاح الريف

وخصوصًا اذا كانت في وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهي متضمخة بالجلة
وتلك الروائح (وهي رايحه بتبات) اى والحال انها مروّحه من الغيط
الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا في الغيط
ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك
ثم انهم يروحوا بيوتهم اخر النهار او في نصفه على قدر تمام اشغالهم
فيجدوا العدس والبيسارا او المدمس قد طاب امره وحسن طعمه
فياكلوا ويتمتعوا بنساءهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن
وغيرها بالجله ونحو ذلك (فقلت يا ام معيكه) اى انه لما اشتغل بحبها عند
ما اقبلت عليه وهي مروّحه من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين
توقع القلب في اشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل
(عيني نظرت وشبكتني من عيني * ما يقتلني الا سواد العين) وقال
الشاعر * نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل ضناها
فآها كيف تجمعنا الليالي * وآها من دفرقنا وآها
فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون
لمن يحبونه ويبذلون له الارواح فضلًا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله
لان احداق الملاح تذيب اخشا العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق
ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب * ولله در معن ابن زائدة
حيث قال * نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على اننا نذيب الحديدا
* وترانا عند الكريهة احرا * رًا وفي السلم للغواني عبيدا
وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب
كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهي على وزن ركه او حكه او دكه
او لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علمًا عليها لكثرة ما كانت تمعك
شعرها على جذور الشجر عند اشتدادها كلان الشعر من طوله وقلة نتفه
وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد
اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصًا في زمان الصيف *

ونقص

وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين
اذا التقتا تولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة
من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنج
فقلت لها ماذا الذى قد رأيته * فقالت طواشى كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فاسفق ايا هذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك
ومعكوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف موالياً

قومى امعكى يا خطيطه شعرتك بالخيط * لما اجيلك هديه طورتين مخيط
واعطيك وحيار اسى نعل من زهر نيط * واجى لعندك وشل رجليك جوّا الغيط

ومقول القول (ارحمى من مات) اى تعطفى بالرحمه والشفقه على من اشرف
من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت او بالحاق المستعجل وهذا
على حد قولهم حزين وواعى لانه مع كونه فى حالة تعب وارتكاب نصب من
الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذى يفضى الى الموت
فكأنه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقى
لحالى وانظرى ما انا فيه من معالجة اخوانى الابقار ومقاساة الحرث
بالليل والنهار وانت صبيه نضيفه وتكرهى الشعرة المنتوفه فاسمحى لى
بسجتين فيما بين العلمين وازوّك الشيخ ابو قبه ولو اخذتيا البشت والجبه
والا يحصل لى من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت مرحاله هذه القصة * وابتليت
بهذه البليه * ورأت الذى لها مثل الذى عليه * وشبه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذوماً فى قاع قبر * وأجوار صائحاً عليه * فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذى اوجبها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه
وهى فى تلك المشقة العظمى والداهية العميمه وهى حدوث الخراء عليها بلا انكار
ومكابده دفعه مع المشقه والاضرار لانه ثقيل فى الضرم خفيف فى الكم
اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى فى لباسه (قالت) اى على سبيل الوفاء بالوعد

ولم تدعه يقاسي ألم الحبّ والنكال (أنا رايحه آخرا) وفي رواية خاطري
آخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الأولى أولى لتأكيدها من
جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارئ لها أيضا
والمعنى إن مرادي أفرغ نفسي من هذه القضية في نقرة أخرا فيها مثلا
أو فوق سطح أو في جنب شجرة أو في الغيط أو نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين
القاطنين في الارياف فإن المرأة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط
الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأي نقرة وجدتها بالت وغوطت
فيها لأن دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر
سألت بني الارياف ما بيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم
فالرجال من باب أولى ثم إنها أرادت بقولها هذا تفهيمها إياه حالها وغرضها
كأنها تقول له إني إذا أتيت إليك وصرت بين يديك ربما تصايقت من
هذا الأمر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما أزيل هذه الضرورة
ويفرغوا الأولاد من لعب الكوره أوفي بالوعد ولم الشتات (واجيك بتبات)
أي بأمر ثابت محقق واجابرك فيه وأصله بالثاء المثلثة غير أن هذا من
الفاظ الأرياف فكما أنهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق
فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية أخرى
اجيك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وإن كان مناسبا
للمقام إذ هو شعر كلا شئ فعلى الرواية الأولى يكون المعنى أنا قولي ثابت في
المجئ إليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لأن نساء
أهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى
ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لأنه مناسب لثقل الكلام وركاكته
وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن أن
يكون قوله رايحه بتبات أي هذه الليلة وقولها اجي وابات أي الليلة الثانية
كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وإن كان هو عينه في باطن الأمر

هذا نتيجة الفرق بين ثبات الاول وثبات الثانى فان الاول منسوب
لقول الرجل والثانى لقول المرأة ولعلها ارادت بتاكيدها فى البتا عدم
عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء
بالوصال ويكافئ العاشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصبية
فى نفسها هذا المحب لا يرضيه منى الا ليلة على كمالها يتملى بتلك المقابح
ويشم تلك الروائح وهى اى ارجلة الغبط وارقد انا واياه فى الفرن
او فى مدود الحمارة او على الجرن اوفوق الجلة الناشفة لان نهاره كله
فى الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه فى كد المعيشة
وتعبها وهولها ونصبها قال الشاعر (قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن)
(فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن) (هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن)
وتاكيدها فى البتا يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يهيئ لها ما يناسب
حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحوه ومصدر
بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرى لفظة الخرا فيها لغات ذكرها
صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه
الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى * ومن اشعارهم الفشروية

وقلت لها بولى على وشرشرى * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينية لبركة الفيل
وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلام الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا
القائل لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل
بجمالها وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهى والبليات
كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق
برضت من الافلاس فهو فى اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حتى للجوع جسمى حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب وازن من صبر فى واذل من يهودى

وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حذقة وعشق علقة * فهي اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعبين على التمام * فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة الجميلة ويكون معه او مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح في محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجله البليات ويكون حريصا على امواله مشفقا على حوايجه مسرعا في قضاء اوطاره حتى يقضي منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبي وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا

واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب ميسرة واموال فهو لا يحتاج الى تعب في جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر له الدراهم يحضر عنده على احسن حال واتم منوال قال الشاعر * (فتوة الفتيان من عشقوا * ذهب بيتره او ورق) (واذا باب الرضا قد اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا) * (هكذا قد قال في تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا)

واما عشق الحذقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه انه مسكين عاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاءك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللوطي الا فراسة * وما تحت عين العلق الا منيجه

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان اجد وجها مليحا * التوى في الفضة خفة * (او اجد هذا وهذا * لم اجد في الحي غرفة)

او اجدها يتك جمعا * التوى في الحارة زقه * (فلهذا طول عمري * تائب من غير عفة)

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيء الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع او صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والفناء في

ينثره في ورق ذهب او ورقه

اشدّ المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرهًا لا برضا قال ابو نواس

اذا رقد النداحى خلّ عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

ولعلّ الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى علىّ وشر شرى اى ان محبوبته لما رأته عالقًا بها كعلوق النار فى الحطب او الزنبور فى الخشب علمت انه لا يفارقها الا ان يقضى مراده منها لعدم ذوقه وصفاعة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصك ولا بشئ نجيس فلاجل ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمت انها تريد البول عليه او على لحيته حتى تملأها ولكنها فى وهم منه وحيرة فاكد عليها بالقول وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولى علىّ وشر شرى) اى انى لا ابالى بما تفعلينه معى من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لانى عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفى هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * بالله اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا ابالى بالبول علىّ وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شأن عريض القفا وبليد الطبع ان يكون (للنائبات صبور) وان لا يستحى ولا يتملق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر (يعرض قفاه للهموم جميعها * وذا السوء الطبع فهو بليد) وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شئ يعمل من الخوص والحلفا يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف والمحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولًا ومبالًا ومبولة ومبلة ايضًا وهى ما يبل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شئ اكتفى الناظم بقوله بولى علىّ ولم يصرّفها فيقول بولى علىّ بولًا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب الفشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلة وهو ان كلمة بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا

اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان في حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولي ويقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

(بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول) اى وانا ابول عليها ايضا لمناسبة بولها بولي لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

ملكة الحسن جودي باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى

افسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اى اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اى بولي على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربي ولحيتي وما جاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهي من لغة الارياف وقد وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق وهي مشتقة من الشر او من الشر او من الشرور او من اولاد ابي شرشر وهم جماعة جود قلا او من الشرشرة وهي آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح في حزامه اذا سرح في الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفي شرشري جناس مذيل وهو شرشر واكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب ان يقول له بل على وطرطر لان المراة اذا بالت شرشرت بمعنى ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا بحكم اتساع الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ابره ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال ذكر فهو في الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو ان يدهمهم على حين غفلة اذا شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه

ويزنوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت
امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا
في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم انا اكشف
لكم الامر وهو اني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في
الارض فهو عنترة وان كان منتشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد ما
فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجدها عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة
مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تحظ عليه بسال
فصوره في وسط الكنيف بهمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صفيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض
او من العرضية وهو ما يلف على الرأس بلغة الرياقة ويسمونه ايضا الكر
او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو
الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام
في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانتشارية التي يلبسها
ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي نوشة صغيرة يطبخ فيها
اهل الرياقة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا
دائما تابع للرأس ولا يفارقه ابدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال
الشاعر الرأس يتبعه في السير اربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا
وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب الانسان اذا كان بليدا جامد القلب
قال الشاعر صادنا بك يا بحر الوفا وقفا * فعاعنك نطع واقف وقفا
وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب
الانسان من البلايا والمشقات وقد ينتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه
على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر (كن حليما اذا بليت بغيظ *
وصبورا اذا اتتك مصيبة) (فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبة)
ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبود وقيل بمعنى صابر

وعلى هذا ايضًا يكون صبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر او من الصبّارة
التي تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشكل مرآها
وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا
المعنى وقد صرّحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها
في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي مع الشرر

الى اخرها هذا وقد اتى لفظ العبرانية بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات
وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى
بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له
مارًّا في بعض شوارعها فسلّم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له
يا شيخ بركات قد اجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له
الشيخ بركات لا بد ان امدحه انا الاخر واثني عليه وكان صديقه هذا
يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق ابوابه
وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون احدًا عن ابوابهم
فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي
في نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا
وان كان ولا بد فعرّفنا حالك نخبره به فأخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جا يسلّم ما قدرنيش * من عجوز خلف دار * كالأسود الضاربات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت
الورقة في يد الملك وقرأ البيتين امر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى غرة
ذاته وبلادته وثقل نظمه ورؤية لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد في الجائزة
على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم اجيزك
جائزة تناسب نظمك هذا ثم البسه برذعة حمار وامر ان يجعلوا في فمه
اللجام وعلى ظهره الثفر كعادة للحمير ثم امر ان ينادى عليه في المدينة

هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة * قلنا ولهذا ذكروا ان الشاعر لا يهدى قصيدته للملك او غيره حتى ينظر فى الفاظها ثم يهذبها ويعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع فى محظور مثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الجمل وقوله عبرايه اى بريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله (جاسلم ما قدينى) اى اتى بريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فصيرها هم وجماعة من الاعلى من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزة على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب من هذا المعنى) ان وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل * اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجاب الحداد بقوله يبكى عليه فتى او ذى بهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له انا وامير المؤمنين انا صنعتى تكفينى ولا حاجة لى اليه فتركه وانصرف * وقد تطلق العجوز على الخمر اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام فى حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز * وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تاخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها

فضربها كليب بسهم فقتلها فذهب الحساس والتقت الفئة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما * وذكر بعضهم ان فتنة النسا التي لم يوجد في الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوز (واما حيلهن) في القيادة وجمع النسا منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يعفو لها في يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكي وتنوح فقلت لها ما الذي دهاك فقالت لي يا سيدي وقعت لي اسورة من ذهب في هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابي ونزلت البئر في طلب الاسورة فاخذت ثيابي وانصرفت وتركتني عريانا ففتشت في البئر فلم ار شيئا ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى منزلي عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغي التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهي والمصائب * فان قيل لفظة قدرشي في نظم الشيخ [illegible] التي تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاي شي لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدرشي وكان حقه ان يقول جا بسلم ما قدر وكان هذا اولى واخصر في اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطّع فان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشي ابلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى الناظم زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام [illegible] القافية فلا تطالب الناظم ببلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن [illegible] العيروية البيتان الاتيان) وسببهما على ما قيل ان جماعة من الارياف جلسوا ينشدون الاشعار وبينهم شيء من الحلوى والتمر فمر بهم رجل فلاح [illegible] الهم وللحزن على وجهه قد لاح فلما رآهم في هذه الحالة انه [illegible] عليهم بلا سؤال وقال لهم ذكرني زمان العشق للملاح وتوسل اليهم بلا [illegible] ان يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لا بد مما رمى عليكم انغاص اذ [illegible] شعرا الريف ثم انشد يقول

والله والله العظيم القادر * هو عالما بسرايري وخبايطي
ان عاود القلب المشوم ذكركم * لاقطعوا من مهجتي بصوابعي

هذا الكلام من بحر الملفطة والمعاني المشرمطة وتفاعيله متخلبطة متخابطة وعرضه بيقال من زفتة لشربين وطوله باحتياط من الجرف لدمياط واما شرح معانيه المسخبطة وحل مبانيه الملخبطة فقوله والله والله العظيم القادر يريد القسم غير انه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقيا على وقوله هو عالما بنصب عالما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسب لهؤلاء الاقوام وقوله بسرايري وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يسره الانسان من خير او شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطي على وزن عبايطي مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى * قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط * وقوله (ان عاود القلب المشوم ذكركم * لاقطعن من مهجتي بصوابعي) هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه من التقلب قال الشاعر * وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب * والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا وان للخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة ومعنى الكلام ان هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على انه بسرائره وخبايطه اي ما اسره من الافعال القبيحة بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنط في الدور وقط الزرع و

ومُوالسته على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التى
يفعلها هو وضرع من اراذل اهل الرياقة وقوله ان عاود القلب المشوم
اى ان رجع الى محبتكم بعدما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل
لكم بالمحبة ويسرح لكم فى الغيط فى الحر ويصالحكم با آزبل ويسرق
لكم الجلة وترسلوا له القفه يملاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك
ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم
ويقلعه لكم وانتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذى فعله
فهو الاخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبته
قليل من الخير بان كون الجميل وقوله ذكركمو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغة
الريفية كما تقدم اى تحرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعوه من مهجتى اى انزعه
منها بصوابعى وفى رواية بضوافرى والمعنى واحد لان الضوافر
تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت
الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو فى حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه
فما وجه كلام الناظم قلت الجواب ان هذا قطع معنوى لا حسى بمعنى
انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه لقطعه بصوابعه
او بضوافره كما تقدم * ومن هذا قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب لاكويك بالنار * وان كنت عاشق لازيدك ‖ يا قلب حملتنى العار * تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتى فيه شئ فان القلب ليس فى المهجة وانما هو فى الصدر مما يلى
الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة
لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول
خبايطى والثانى صوابعى او ضوافرى وهو ضد الوضع العروضى ولا يساوى
قشرة بيضة وناظمه اثقل من حجارة الميضه خرارة قائلة من ارباب
القحوف المقلوبه والمناسبة مطلوبه (مسئلة هبالية) لاى شئ ذكر
القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى اذ من شأن القطع ان
يكون بآلة محددة وكون القلب كما لا يحتاج قطعه بالصوابع ولا بالضوافر

قلنا الجواب المشروح ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه اخف في الالم من السكين اولان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذ لا يمكن ان يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون في الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتي بسكينة قابض عليها بصوابعي ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اي مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اوان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين او قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفي عن نفسه الريبة او انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتي بصوابعي وسكينتي لكان اولى للجمع بينهما اي الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبل لم يساعده الوزن على هذا المعنى التقيل فاتجه الجواب وبان الصواب * ومن اشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمي كيف كحلاتك * وحبل طور ابن خالي كيف مدلاتك

يامن بجنتي قلبي في وحيلاتك * ياريتني فرمن جله بين اذياتك

هذا القول العكيس والنظم الخسيس والمعاني الغلسة والالفاظ المتابلة من خرافات الاسرائيليه والتشابيه التي خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو ان ثبتت اوزانه وتلخبطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق من الخانكه لبولاق وعرضه بيقين من باب زويله لسويقة السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمي كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهيه الجارح للقلوب عند سماعه فكأنه يشبه الزينة وهذا من العجب العجاب ان هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها ولعشقه اياها وشبيه الشئ منجذب اليه والطيور على اجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن في بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا

وان غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا اوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمي ولم يقل فرخي لكونه كان فقيرا لا فرخ له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل الفشروي لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل في عينيها اراد ان يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا من الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيئا اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا الف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنه في قوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع وقال آخر

يقولون في البستان للعين نزهة * وماء غدير صفوه غير آسن

اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحت تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كحلاتها به لكونها دائما في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها انها تعلم من ذلك انه محب لها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه كحلاتها فقال (وحبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالي والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمى ايضا مفصصات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع او اقل منه وحبل الثور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غير ما يكون ملتفا على اذنيه

فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشيء والتغالي فيه لانه لما عشقها ورأى هذه الدلالات مرجحات على صدقها ولم ير في بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه ملاحتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه العقيم واما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارة ثور ابن خاله وحبله وكذلك قرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيئا يدل على الملاك حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وثقافة وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا في هذا المعنى

الى معه مال لو طلب الثريا نال * والذي بلا مال صكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هات تبلغ الامال * ما كان معك مال طردوك الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون التاء المثلثة في الثور بالطاء او بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يا من عجنتي قلبي في وحلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعني انها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا انزل المطر في الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل بيقال ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند اهل الريف ثم انهم يجعلونه جوا اليبس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها في هذه الحالة اخذت قلبه وعجنته برجليها في هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على انه لا يجوز من المحبوب ان يملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه في الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سوالا كان قائلا قال له الشيء ليس له تصرف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها القتك ورقتك وقلبتك في الوحل فما لا فتلك

عن الوحل لا تلمها فتمنى ان يكون قرصا من الجلة بين يديها واضاف
الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة انها
كانت تعجن الوحل في محلها حتى يكون ملكها وان الوحل كان في زمنها
بيقين كما ان الجلة والزبل فيها ايضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلاتك
وقوله (ياريتني قرص جله بين اديانك) حينئذ تاكيد وبيان ان المحبة
التي كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله
ياريتني قرص جله الى آخره بابدال اللام راء في ريتني من لغة الريافة
واصلها ياليتني وقد وجدت في القاموس الازرق والناموس الابلق
والمعنى اني اتمنى ان اكون بين يديها قرص جله من هذا الوحل الذي عجنته
واكون وحلا ابن وحل اي وحلا بطريق التمني وابن وحل بطريق التشبيه
فاتجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جله وهو شيء
خسيس اشارة الى ان العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا
التشبيه الحقير المشابه لمحبته التعيسة وتمنى ان يكون قرص جله بين يديها
وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما في عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهي
دائما في هذا الامر فاتى لها بما يناسب حالها وما تحبه واعز ما يكون عندها
الجلة والوحل فما اخس هذا العاشق وما ارذل هذه المحبوبة وقوله بين ادياتك
هذه لغة اهل الريف والمعنى اني اتمنى ان اكون قرص جلة تقلبيني بين يديك
من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلي في قرص الجلة حتى انك تذكريني من وقوعي في
يديك وتمس ذاتي اصابعك فيحصل لي الراحة ويزول عني الم المشقة
ولو ان صورتي انقلبت قرص جلة فاني لا ابالي من النجا ولا اسام من الحساب
لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك * ويقرب من هذا المعنى قولي
(وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت لي مرطها وثيابها) لكن هذا تمن ظريف في محبوبة لطيفة
(مسئلة هبالية) لاي شيء اقتصر في العبارة على الوحل وكان حقه ان يضيف اليها
ايضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا) للجواب الفشروي انه اذا كان الوحل
ثابتا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا ملام

وقوله هباب على وزن تراب اوكلاب اوسراب مشتق من هبوب الريح اومن هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتني كلابها * فقلت مجيبا قد ملانى هبابها

(وهبهب) وادٍ فى جهنم (وفى الاحياء) للغزالى فى كتاب ذم الكبر والعجب من محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثنى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم وادٍ يقال له هبهب حق على الله ان لايسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه ومصدر الهباب يقال هب يهب هبابا وسمى بذلك لكونه يهب من الاقران (وقوله ابن عمى) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب يخاطب العم بلفظ الاب وهو مشتق من العمى اومن العموم ومصدر العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذى هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لاتليق به وهى عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته واوجز فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد مأخوذ من السودد وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا نك الكحل مشتق من المكحلة اومن الكحال اومن تذكرة الكحالين قال الشاعر (جبال الكحل تفنيها المراود * وكنز المال تفنيه السنين) (وفى الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يجد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وجبل طور ابن خالى الجبل مشتق من الجبلى اومن الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور اومن الطارة التى يصيد بها السمك واما بالثاء المثلثة وهى اللغة الفصحى فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك

وللسافية ايضًا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون

مولانا * الثور والبقرة ذي العام ومن قبله * في مصر والشام مع غزة مع الرمله

فدى بتحبل وتولد عجل او عجله * والثور في الساقيه يا كل بفرقله

(وقوله) ابن خالي الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخلاء او من الخبل او من الخال او خيال الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذي يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس

يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا (وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن مثلة او المدلة مشتقة من الدل والدلال قال الشاعر (له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

او هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الجوران او الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة (وقوله) عجنتي العجن مشتق من المعجنة او من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان بالبقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا اي من طبعه وخصاله تشبه الوحل بخسة خبيثة (وقوله) يا ريتني قرص جله القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص او من القراصة او من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجلة فيها ايضا وهي مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اذياتك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر جاءت لنا باذيات تشير لنا * تمشي الينا سحيًا بالرجيلات

(وفي نسخة اخرى) يا ريتني قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد في النسا

وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل ومن الرجلة قال الشاعر اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والاقرجل كالترجل اذ ورد ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب القرن وحبل النور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضا مواليا)

سالت عليك فالواشت ملتاية * مسحت دمعي بكرسايه وجلاية
وسلت وجهي لرني قلت مولاية * جاب لي دغيف ومحوره وقناية

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستود من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقل ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت عليك فالواشت ملتايه) يريد به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لا يفارقه طرفة عين فان من احب شيئا اكثر من ذكره ولو انه في اعظم المشقات واصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تخلع اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا زاد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلام هات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انه عاشق ومحبوبه اسمها فرجية

فقال له نعم يا سيدى فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه
وذكرت الفرجيه فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها
فرجيه ومن هذا المعنى ما ذكرته فى بعض القصائد من قولى
شكوت ما بى فقال الصحب اجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يا رعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من ملل
فجس نبضى وقال الحب فارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل
وقال انت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل
الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه
وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفى اى مكان هو لاجل الاجتماع
به وبلوغ المطلوب منه فسال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا
لسؤاله ان محبوبك الذى تسال عنه شت اى ذهب وراح من التاية
وهى محل يجعله الجاسة على شكل دائر او نصف دائر من القلقيل والطين
وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه
اوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه التاية فيقال تاية
الجماسة وتاية الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن
الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة
والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء
الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة
او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة
القاطنين بهذه التاية فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله
وادركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكم سايرى وجلاية)
اى حين علم ان محبوبه سافر وشت من التاية ولم يعلم خبره وكان ذهابه
من التاية لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا
ياخذوه عنه رهينة او انه راح فى طلب عجلة او بقرة او ثور فنت فى البرارى

لينظر ما ذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق واسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضاً (كما اتفق) ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * يكون لسانك في تقبتي
نسيمك غطى ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي
فان لم تغثني بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتي

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبراً عن حاله مسحت دمعي بكسر الدال المهملة جرياً على اللغة الريفية اي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السائل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرسايه فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضاً بجلابيته اي انه استعار له ممسحتان عوضاً عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وايضاً فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائماً في قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالخسة علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمنديل او بمحرمة لكان هذا بعيداً عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادراً لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه او في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادراً كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سال عنه اهل الثابة وهم دائماً في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضاً في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماسة في الغيط دقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة

اوفي القلقيل اوفي الحشيش اونحو ذلك فان قيل لاي شئ مسح دمعه
بكرسايه وجلايه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كمه او بشئ كان
عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط
اوكان عريانا كما هو داب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه
ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر اوقناة
اوشيل زبل وجلة اونحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا
القبيل اوانه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن ان
الكرسايه والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشوا من
هذه الامور فمسح دمعه بها اوانه من الخضوع الفشروي والتذلل
لمحبوبه اوانه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه
ودموعه بكرسايه اوبجلايه ليتحقق انه محب له وانه تعاطى لاجله
اخس الاشياء والاولى ان يقال ان هذا من باب المناسبة لحال
العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ
من حين ولادته الى ان يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك
واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة
ونحو ذلك فهم خرا ولاد خرا فكان مسحه بالجلايه والكرسايه فيه مناسبة
بهذا الاعتبار فلا يؤنب عند المسح بذلك كما هو عادة ارباب التايات
واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما
مسح دمعه وافاق لنفسه وتيقن ان محبوبه بطول رجوعه اليه وراى
نفسه جيعان ولم يرا احدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من بتن الشعير
والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين في افخر
ماكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح
لاسيما اذا كان في حالة حفر البئر اوشيل الطين اوفحت قناة اوشيل
الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البئر اوشيل الطين
اوالعشق الذي هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها

وقد ابطا عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه
لانهم يقولون الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله
النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت انت انت وانا انا فسلط عليها
الجوع وقال لها من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان للجوع
على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه
وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تاكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال في مناجاته لربه
(وشلت وجهي لربي قلت مولايه) اى لما طال على الزمن في حالة بكائى
وفي مسح الدموع واشرفت نفسي على الهلاك من الم الجوع وغيره كما تقدم
شلت وجهي لربي اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت في القاموس الازرق
والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اى رفعه وقوله لربي
اى لخالقي ومربيني ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة
النظم واما الهاء في مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال
اطلب منك يا ربي ومولاى ان تيسر لي ما اكله والتهى به عن الانتظار
لهذا المحبوب الذى اذهل عقلي واجاع نفسي واسال مخاطي ودمعي
فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جابلي رغيف وعجوره وقثا)
اى بحر لى انه لما اعطاني مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتي
وحصل لي غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل
استجابة الدعاء لها شروط ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح
في وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهي مسح وجهه بالكرساية والبلة ووقوفه
ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرفعه جنب المدود والجرن وايضا
هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف والعجورة
(والقثا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد

ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد اجيبت دعوتكما ان بعد اربعين عاما

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلة والرغيف والعجورة والقثاية وهذا الايناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان ياكل القثاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع ان فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع فالكرشا واحد الكرس والجلاية واحد الجلة والعجورة والقثاية كذلك وذكر القثاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى جناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال واما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب السؤال هو ان يسال الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من الشيل او من السولية او من السالة ومصدره السؤال يقال سال يسال سؤالا والحب مشتق من المحبة او من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت) امى وانا صغير تقول يا شئ من شئ بطنى على بطنه والمدلى يحل شغله ولم افهمه الا بعد مراجعة امى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات او من الشيتة التي تستعملها النساء لحرز الكتان والتاية مشتقة من التوهان او من وادى التيه وقوله مسحت من المسيحة على وزن المرقة او من المشيحة على وزن دحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلا كذلك من معناها والكرساية من التكريس او من كرس الزريبة وقوله شلت وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن او من الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجورة من العجر او من العجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا

والقتاية مشتقة من القت الذى يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام
حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من انواع البديع المقابلة
لانه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف
والبجورة والقتاية وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله
بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم
ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم الفشر
من غموم وهموم ومعانى عليها الخراطوم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك
الا بالشوق (ومن اشعارهم مواليا)

رقاص طاحونتنا يشبه لخلخالك * ورحينا في الزريبة فات انتحالك
الا وكلافنا يقول لى يا صبى مالك * طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط *
وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر
من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبه من باب النصر للصليبه ومعنى
القافله الحويطه وحل معانيه العبيطه الله قوله (رقاص طاحونتنا يشبه
لخلخالك) اى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه
رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير
كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع
والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة
فيكون هذا الصوت الذى شبه به صورة خلخالها ناشئ من بين الحجر
والرقاص ولهذا عرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع اوقارع
ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه
نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف اى صوت
رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين
الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس في كل رجل حجلا
كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس وعجب

عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعل الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه اولاجل دوران الثور او الفرس فانه ما دام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا الطحان لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن في الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب في السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف * والطف ما سمعته في طحان هذان البيتان

طحانة قدرها جمالا * فما يطاق السلو عنه (ورق خصرا فلت شعرا * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعته في محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوه (كفلي اضعف خصري * فاعينوني بقوه

اقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فمدحه فاتضح الجواب وبان الصواب ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بني الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ما ذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى تخيل له ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاخبر عنها وقال (وحينا في الزريبه قالت اشمالك) يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته وانها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت

الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطابا للرحاله واما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهاما منها ماهى فيه فى هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتى ان نصب اللام وخفضها لا يضر فى الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا فى الزربية فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اى لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله * ثم انه لما علم من حالها انها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من الحمار اراد ان يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقى والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فاتى باداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لى يا صبى مالك) وفى نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك) اى ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذى يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما راى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار فى حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدته محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار واذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا راه فى حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من الخمول وشدة النحول قال له يا صبى مالك او والك

على الرواية الثانية لغة بعض أهل الريف والمعنى واحد أى ما حالك هذا الذى
انت فيه وما سببه مع ما اسائلك الخطب وانما خاطبه بلفظ يا صبى لكونه
اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها او انه كان من صبيان البلد
اى من شجعانها وقد اذله الحب واغله الغرام والمعنى انك لست مختصا
بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه
ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو اعظم الاثوار واكبرها فان حاله
الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب
وما كابده من النصب وما اكله من الضرب على اضلاعه وما حصل له من
شدة او جاعه وهذا من باب التسلية والتاسى بالغير كما سبق واراد تسليته
بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح انه فى الغالب لا يضرب الامثال الا
بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر الات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس
ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا
الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد
حاله يشبه حالك واتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تجنيس لبيان
عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه الا يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه
لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر
الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله اثقل من الجبال
* واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طاحونتنا الرقاص آلة يصنعها
النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب او الحديد
فاذا دار الحجر وقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص
على وزن القمص او من قربه فى البحر الغربى يقال لها رقص ومصدره الرقص
يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص * والطاحون على وزن الماعون والمحون
مشتقة من طحن القمح او من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن
طحنا فهو طاحن ومطحون * والخلخال مشتق من الخلخلة او من الخلال
او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة * والرخا جمع

وهي حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الأعلى يدور على الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال) ابن دريد رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحًا منصوبة * للحرب فأعلم انني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحًى كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بأرض الحجاز او من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر

لراحة مشتقة من رحائهم * تروحني لما اروح الى رضى

والزربية مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويحلبوا فيها وربما بالوا فيها ايضًا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربًا * والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يومًا بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

البدر فيه خنس بيّن * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدره العلف يقال علف يعلف علفًا وقوله يا صبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة او من الصابون او من قناطر الصابوني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحًا (مسألة) لأي شيء اتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه ان يأتي بالعجلة ايضًا او بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب) المشهور انه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم

فى غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس بن فلطس الذى قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاى شئ حصر الناظم الرحى فى الزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هى معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم وربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحا لاجل الطحين او يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها فى غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا المثال (ومن اشعارهم مواليا)

رأيت حريفى بفرقله يسوق تيران * لو كان اصفر على راسه كما اللبسان
ياريتنى كنت احذوه من الحران * او كان لى شلق فوق راسى من الكتان

هذا المواليا من بحر التحريف ومعنى التحريف التقدير من سمنود لابى صير * واما معناه الخارج من الادراكات الجارح لقلوب ذوى المروآت الذى يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفى بفرقله يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية اى شاهدت ببصرى لا بيدى ورجلى حريفى اى محبوبى وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفى اى صديقى او صاحبى او محبوبى ويقول له يا فلان تعال حرفنى او لاقشنى يا ابو واسعه او هارشنى يا ابو عرضه او حارفينى يا مليحه او يا ابو كاره او يا ابو كرم ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستأتى كيفية لقشهم على المرد والنساء فى الارجوزة الآتية فى آخر الجزء ان شاء الله تعالى * وقوله بفرقلة يسوق تيران يريد به التعالى فى وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التى هو فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به ومشتاقا له (كما اتفق) ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضربه فانشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس ايما اشق يحلك * ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

فانظره

فانظر الى دقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبًا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سوّاق ولا يستغني الفلاح عن عشرة السوّاق ولا السوّاق عن الفرقلة ايضًا والفلاح عنده الثيران في مقام الاولاد كما ان السوّاق عنده الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائمًا على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به محبوبه من امر تعاطيه الفرقلة واشتغاله في سوق الثيران وانه عنده من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لو كر اصفر على رأسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف في تقديره ان لهذا المحبوب كرًّا وهو الشد الذي يلفه على رأسه يشبه في لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له كرًّا اصفر على رأسه يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكر فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدًا يلبسه لا يكون كله اصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط من عقدة او معصفرة كما يفعله اهل الرياقة لاولادهم فان قيل لاي شئ شبه كر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر او نحو ذلك (قلنا الجواب واضح) وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سوّاق بفرقلة فكان الانسب ان يشبه كره بما يعرفه والا لو فرض انه شبه الكر بشئ لطيف او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيهًا لطيفًا بعيدًا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم ان محبوبه دائمًا يمشي بحدوة في رجله اذا احتاج الى حرث الارض او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (يا ريتني كنت له حدوة من الحدوان)

اى ياليتنى فابدل اللام راء على لغة اهل الريف اكون دائما حذوة فى رجليه ولوكان بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجليه الخشنة وكعبه المقشف * فانظر الى قلة عقله وصفاعة لحيته حيث جعل نفسه حذوة من الحذو ولت بل هو جذى من الجذيان * وارذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم فى المدرجات

ياليتنى كنت لمستداسا * اوكنت فى اقدامه مداسا

فتمنيه فى الشطر اشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحذوة لانه محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (او كان لى شلق فوق راسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف والكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حذوة من الحذوات فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب رأسه به اذا اشتد وجعها من الم الصداع او الضربان او الدوار والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله (فان قيل) اذا كان هذا العاشق قصد ان يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان يربطه به رأسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما فى تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع الفشروى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق احد من العشاق فى التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه والحذوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى ما لا طمع فيه على حد قول بعضهم

الا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق ان يكون حذوة ولم يتمن ان يكون وطا مع انه المناسب وربما كان الطف واظرف من الحذوة واعلى تمنا

والحذوة

وَالحَذْوَة فيها يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله
خصوصًا فى ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لايليق به الا الشى النفيس
فالجواب قلنـــا الجواب عن هذا البحث الفشروى ان هذا المحبوب دائما
يمشى الى الحرث والحراث لايليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحذوة وايضا
هى اكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى شروص ودجوع
وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر * والقذارة اوفى واوفر *
فتكون بمقامه انسب * واوفق بحاله من الوطا واقرب * وايضا هى المعهودة
والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لايسرح ولايروح
الا والحذوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان
الاولى لهذا العاشق ان يتمنى ان يكون له حذوة لانها عند المحبوبة
المألوفة فهى احسن من الوطا وايضا العاشق من شأنه انه يحب ما يألفه
محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق
بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرمًا بها ومشغولا بحبها

اياربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق
الناظم ان يقول (اوكان لى شلوث فى وسطى محزم به) لان الشلوث كما تقدم
حبل من الكتان او الليف والحبل لايكون معدًّا الا للحزام او لربط
شئ ونحوه واما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنــا
الجواب عن ذلك ان الشلوث وان كان معدًّا لما ذكر الا ان الغرض للناظم
خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى اعلى مكان

٢ سوها برونا كما فى تزيين الاسواق ه

٩ الذى احفظه الغانيات ه

وأشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وايضاً يمكن الجواب
بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا
في شغل دق الكتان او فتل الحلفه فيجعلونها مقام الكر ويربطون بها
رؤسهم ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم واما اذا جعلنا
الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله
فوق راسي من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب
(شرح لغات الابيات) قوله حريفي مشتق من الحرفة او من الحرافة او من حروف
الهجاء او من حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح في القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفاً فهو حريف * والفرقلة مشتقة
من الفرقلة على وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبيل الزبال
ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق ان الاصل في وضعها الطراشة
التي تلعب بها الخلابيص في المتاجر وعملت الفرقلة قياساً عليها وكان اسمها
في الاصل فرقعة وان الذي صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع
فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل
واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام
هاء التانيث وجعلوا مجموع ذلك علماً على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة
كما قالوا مثل ذلك في بعلبك ومعدي كرب ونحوهما من المركبات المزجية
فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاي شيء ترك الناظم الاصل
واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا في بعض مسائل ذكرها العلماء
قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصاً فان الطراشة
من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب
سواقاً للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم
ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فتوق

مشتق

مشتق من السوّاق او من الساقية او من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة قال الشاعر
يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسوّاق وسقس لقدره *
والكرّ ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراويا او من الكرب او من كرّ الشئ اذا حله يقال كرّ عرضية فلان اذا حلها من على رأسه ومصدره الكر يقال كرّ يكر كرًّا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه اهل الريف وينزعوا ورقه ويقطعوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويسقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسمّوا مجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون
(زهر الكتان مع اللبسان هما لونان لا كذب) (كيهود فى دير خلطوا * بنصارى كهم عرب)
وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فسا الكلاب ورقه ايضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه بعض منافع مذكورة فى منافع النباتات او من بئر اللبسان وهى بئر مشهورة فى ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل فى علم الصنعة الالهية ويقال ان هذه البئر هى باب الكنز الذى تأتى اليه الحبشة وتأخذه فى آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحذوان على وزن الجروان واحد الحذوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع الشقا واذهاب الحفا والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحذو يقال حذا يحذو حذوا وقيل مشتقة من الحداية وهى طائر معروف من الفواسق الخمس التى جوّز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شأنها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هنا اذ وعنا سبة

وهو أن الحذوف اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته
اذا شرع صاحبها في المشي فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه
(فائدة) ذكر صاحب القول المعاب في وصف الغراب واقعة عجيبة
وهي أن بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيئاً
فعبس في وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر
فمرّغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحداة القت عليه شيئاً فنظر فيه
فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوي جملة من المال فأخذه
واتجر فيه وصار في يسر الى ان مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد
عطائه وفضله على خلقه * ورأيت في القاموس الازرق والناموس
الابلق ان الحذوف مشتقة من الحدادي واستشهد على ذلك بشاهد فشرق
فقال (والحذوف اشتقاقها قد صححوا * من الحدادي فاستمع ما رجحوا
والحدادي على وزن الجنادي جمع حداية * والشلق مشتق من الشلوق
او من الشلقة او من الشاقول الذي يوضع فيه ربع الميقات ومصدره
الشلق يقال شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية
الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن
يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل لاي شيء تمنى ان يكون محبوبه شلق
كتان ولم يقل شلق خوص وحلفة او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى
من شلق الخوص والحلفة او لعله من باب استعمال العاشق والمحبوب
بنزع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى
بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدي لناسب ان يأتي بشلق الحلفة
لكون الصعيدي يألفها ولهذا يقال صعيدي مصاص حلفة او كان خواص
لناسب ان يأتي بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال
وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودسهم وفشارهم وحل
لغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذي يشبه الخرا الذي لا يعرف الا
بالذوق * ولا بد ان نأتي بطرف يسير من شعر من يدعي النظم وهو جاهل

ويقول

ويقول الشعر وهو ذا اهل (فمن ذلك) ما اتفق أن هارون الرشيد جلس يومًا عند زوجته زبيدة يجري ذكر ولدها الامين وكان بليدًا جدًّا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنًا لبيبًا عارفًا في النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدري النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدي أشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة في النظم والنثر وان شاء الله تعالى في غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على ابي نواس فقال لها الخليفة حبًّا وكرامة في غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التي وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابي نواس فاجابها لذلك واعتزل في محل خالٍ عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته البارده حتى عمل ابياتا يأتي ذكرها انشاء الله القليل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابي نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدي الامين فقد صار ماهرًا في الشعر بارعًا في النظم فقال له ابو نواس اسمعني ما قلت فانشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسي

فقال ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد يقول

نقاتل الاعادي * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنه اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو في السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وسأله عن السبب فاخبره بالقصة كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه رأى في شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر

نظمي ونباهتي فيما انظمه فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجواري ولم يبق احداً عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياته واتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعري فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

(يا قاعدة في الاربع * ما مثلك في الابلم) * (شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل) *
(والسمن فوقك سائح * مثل الحصان الابلق) * فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجري فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدي ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدته زبيدة بلادته وسكتت *

(واسمج من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشي وكان اميراً بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيري رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس محشوا بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف المعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف * لقد اضرت به اشرار من اللكعاء

يا رسول الله ما عاد في حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا اصغير ولا كبير
يا رسول الله كن لي منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء

يا رسول الله اخنا من رعيتك
يا رسول الله اخنا من جملة امتك
يا رسول الله اخنا في جيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك * اجرنا من النار لها سعراء
وانا امدح نبي ربه اشتحاره وعزه

يا ما غزا الكفار بعسكره وعزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه * وقد رأى من ايات ربه الكبرآء
ضاهيت بها همزية الابوصيرى
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وانظر الى الصير هو مثل البورى
والاجبل مصر مثل الطور * ولا الصقر الصايد مثل البومآء
انا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمى فى لحيته يلقى موسا
ومن له فى الادب رتبة او ناموسا
لابد ان يميز بين الجاموسا والناموسا * واولاد الحلال ما هى مثل اولاد الزناء
نظمى هذا ما هو مثل نظم الناس *
نظمى هذا مثل درة فى كاس
ومن يستمع نظمى يقول دهاس
قد فقت فى النظم ابو نواس * انا مرجان والحبشا لى آبآء
انا مرجان والى اسكندرية هو
واذرى بحور النظم بالكلية
ومن عارض نظمى يلقى بليه
انا اصبحت مثل الشمس المضيه * ونظمى مثل نظم ابو العلاء
نظمى مثل درة فى حوت
لهفى على فتى عارف منحوت
هو ابن المخاض مثل بنت للحوت
ولا النمل الساعى مثل البق * وانا اصبحت مثل القط اصطاد الفارآء
انا اصبحت ما لى فى نظمى نظير *
ولا ضاهى قولى لا كبير ولا صغير

وانا اعطانى ربى للخبير

انا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من البحر

واختم قولى بمدح طه الزين

ياسعادة من زاره فى حنين

وقبل حجرته وشافه بالعين

وقال له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبى البليد ان نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصنع مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار * ورأيت له ايضا نظما اثقل من الجبال وانجس من ماء الخرارة قد حكى فى ترتيبه القليل في الرقص وفى رؤيته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله به وبركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها (كميت من الكرم ختامها مسك

ودارت علينا سقاة فى يدها كؤس * كل ساق منهم يحكى لنجمة الفلك

وياما شفنا من خمرتنا ورأينا من سكرتنا * امور محتكات ومرتبكات ربك

وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب * وادركت جبالنا من اطوار ادراك

مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارض * واين الثريا من الثرى ولعمرى بعيد الدرك

مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبا والقسوس وابناء الترك

مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل السك

ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكى

ومن اوصافها كما ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو

ومن اوصافها ان من مزكوم على دنها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك

ومن اوصافها ان صبت فى قارورة صبا * تشاكل الامر وراح الطرا من حسنها يحكو

ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسانا مثل سناه الملك

وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك

فذونك مداعتنا لاتحول عن شربها * ففي شربها يا خالى البال الحك والدك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمسيتى هذه بصلاة وسلام * على نبى عربى جاه بالحمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما حطوا الجحاج * عند سيرهم الحمول وفكوا
فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قلب طولها فى عرضها * وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال للنائب نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لايبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال (شين الشرع لها شاره * ونقطع مثل المنشاره)
ماتقول ايها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان محك عليه واشار بكلامه اليه وانا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى كلم ايها النائب وصاح اى الصاحب فقال (سعيده كامزاره * وتحت طبيخ البيسارة) قال فهام القاضى طربا من كلامه وسره شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوات سفره قد حضرت وودع النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لاياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قطعيا وكان من الاولياء العارفين غير انه كان يغلب عليه الحلاوة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعا ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام منى نهاضنه * لحبيب يحث دون بغاضنه
اسمه السلسيلى والشيخ محمد * زادك الله فى الانام رياضنه
انت فى ذا الزمان قمح وعزيز * وسواك الانام مثل النقاضنه

انت ارسلت فى الكتاب بتسال * عن عريب فانها من بياضه
وهنيد زادت من الكل عجبا * بسواد العيون لا بالغلاصنه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهد فاما تمتلكيني قراصنه
وانا اسمى زانه فى الشيخ محمد * الضم القول اطرزه بالفصاصه

فلما قرا الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها الفقيه يقراها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التى رايتها لبعض الشعراء البلداء فى رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المجرفه والمعانى المقلحفه وهى هذه

احمد الله لطيف اللطفا * فى ابتدائى بمديح صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدى مرثية * فى امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرئيل عكفا
بعد ما مات بلغنى موته * عندها دمعى بعينى ذلفا
ودموعى من عيونى قد جرت * مثل ما تجرى سواقى مرصفا
قلت لما موته قد جاءنى * صائحا يا اسفا يا اسفا
مات من فى الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت ان تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * ونبات الارض حقا قد جفا
كمثله وسط المدينه سمعة * كالصناجق بل واعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت ايامه * يا نعيم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها اهل الطمع بالجزفا
لما ذا الامير اتانى نعيه * خفق القلب له وارتجفا

والاعادى فرحوا فى موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز اخرجوها تقفا
ورثوها بعده اعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لاتضاهى كثرة * لامعات نورها قد وصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاص سابغات رعفا
قدرت فى بيت مال عدها * الف الفى الف الفى مقطفا
وعلى الكاشف منها اخذا * بعدما اسرف فيها مجحفا
اودعوها بيت مال بعدما * اخذ الكاشف منها واكتفى
كم اتى فى بيته من مرأة * مع بنات لابسا الغدفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم امير جاء فى تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء فى موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
يا ترى قد مات بالبطن اذى * او وبا او بالرعاف ارتجفا
ليتنى شاهدته فى كفن * ذى بياض حين فيه لفلفا
ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * فى مكارم قل فيها من وفى
فعسى ياتى حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا
ليت شعرى لو تخلف بعده * ومتكرم مثله كى يخلفا
حيث اخلى داره من حسنه * رائد الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دواما طبعها * تقهر الناس وتأتى بالجفا
كل ما فيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل الجرفا
ليس يعجبنى الامارة كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا ابكى على من جادلى * بعطايا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلى بعده * امه والست وابنه يوسفا

قد توفي في جماد الاولى * سادس الشهر خميساً شرفا
عام ارخ من ثلاثين معنت * بعد الف من سنين تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا شرفا
يا الهي اعفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
جد مني محمد معوري * فارض عنه يا لطيف اللطفا
وارحم الوالد واجداد لهم * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي ما نمتا * للنبي والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابي من العمر ستين سنة وعاشت امي اربعين سنة وانا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم اخرج له رقعة مكتوبا فيها

(قد فتح السلطان بلده * واتى بسعد البلد) * (فلما فتحها ارخنها * حاكما في شهر ذي القعدة)

فقال له الملك لم ارد من كلامك الا شعرك ومن شرك الا لحيتك فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر ان يعرض قصيدته حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وارض بعيدة واماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شيء لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاولياء

وهم طائرين فوق النجائب وقد أقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولي وقال في نفسه أنا لي مدة أخدم شيخي ما رأيته شاف نبي ولا ولي ولا أخبرني بشيء من هذا الا يقول لي صلي وصوم وما أشبه ذلك والأولى أن أخدم هذا الولي الفقير لعله ان يطلعني على الاولياء والنجائب الطيارين دائما في الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقي وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولأمرك سامعا واعلم انني تعبت مع شيخي وهو يقول لي صوم وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم أر منه بركة ومرادي أنظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقي اعلم يا ولدي ان الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا أصب لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي فقال له الغلام فمتى تصب لي عمود النور هذا فقال له حتى أدبرك ما الحيا واستقطره فقال له يا سيدي شيء لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شيء أبيض يجري في قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فأخذه ومضى الى ان صار في خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدي على بطنك حتى أصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقي يتنحنح ويدمدم ويهمهم ويرغي ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف عن الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت في قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فحطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الفضيحتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها

صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنًا ان لا نجائب عندك * ولا الاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتجلادته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط * (وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرًا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلًا مقتولًا بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احدًا فلم ير احدًا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلًا فقيرًا قائمًا يصلي وقدامه ابريق وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى اتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد يا شقي تلبس على الله وعلى الناس بهذه الخويشة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها فلاى شئ قتلت هذا الرجل الذكر زنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذى قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذى ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم آمين يا رب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين كان يقول كلامًا يخالف الكتاب والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول

وانما هي شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول ابي العلاء المعري

اتى عيسى فابطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبي بعد هذا * فضل القوم بين غد وامس
ومهما عشت في دنياك هذي * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتي * وان قلت الصحيح دخلت رمسي

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في آدمي او في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التي كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخواني الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع مقالهم قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اشام حال نسأل الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي يا سيدي انا لي عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدي احمد البدوي نفعنا الله به وقال كن لي يا ابا الفرجات وتقبل عبادتي ويسر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدي احمد البدوي رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له في ملكه فقال لي يا سيدي انما افعل ذلك عن شيخي الذي كان يقول لي قبل موته اقصد بعبادتك سيدي احمد البدوي فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها في هذه المدة فاسدة باطلة

ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلاً من الفقراء الزنادقة قد هام فى الجمع وغنى فقال

يا هائماً خذ من خواطير كلبتى * والطح الكاك والحاضرين ورائك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاماً جميلاً فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتاً ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش بالاسما وخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وأرها للغلام وللناس فيعتقدون انك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش بالاسما واخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهوا فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى اكون معك واطلعنى على الكرامات والولايات فقال له يا ولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدى ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا المصيبتان

فصاح الغلام الامان الامان ما هذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه
بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك
ثم سارا معًا حتى لقيا جمع فقراء فى مولد فقام هذا الشقى بجانبه فى
الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبة مليحة مرخمة * وصببنا فيها من النور جانب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا قبيح * وما عاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة
الفلك الاعلى ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق
على شيخه فى الولاية والحال انه ما رقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر
النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة للحارة الدافقة وقبل
الخدود ودفع فيه العمود لهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله
انى يؤفكون * وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والده وان * تدروش قام النائكون وراءه

اى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المحلقين
اللحا او غيرهم من خواص الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته
وشغلوه عن الدنيا والدين ودار معهم فى التعاسه والخزى والنحاسه
حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابلا ذوق لا من البيك يشبع ولا من المال
يجمع * ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب
ويتمثلون ويظنون انه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا
فملت لاصحاب اللحاء تعففا * فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز

ثماني عشر سنة محبته النفوس ولا يرغب فيه الا رق القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفي الخال الذي في خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل في المعنى

(التحي الامرد الذي * كان في التيه مسرفا) * (حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا)
(سر والله ناظري * مذ رأى ذلك اشتفى) * (شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا)

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولوالدي عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن * آثرت ظلمة قبيل النبات
كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنة صارت محاسنه لعشاقه محسنه ولواحظه لعذاله ماسنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فانهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم باديه وضلالتهم عاديه واعتقاداتهم فاسده وتجاراتهم كاسده ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والامر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسه كانهم من جنس القساقسه او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به في بعض المحال يقرؤون فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبره

وهم في غبرة وغفرة كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به الى القهقرى وهم في خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شي لله يا شيخ فلان وربما زغلط النسوان ورمين به الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا دائرين بالميت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعه والطريقة الذميمة الشنيعه التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي إثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر) * وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزلهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع * قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله * ولنختم هذا الجزء بأرجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائماً وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد اني ناظم ارجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر من حال ذوي الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف * اهل الشقاء وذوي التحريف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم من النسا والادبا

فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دابه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * او يتخذ سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع * في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص * يرميك في هم له ينغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا * لحاجة فما ترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان ترد معه سريعا يخصم * يقول لك حتى اسد الملتزم
وان بقي شي من الزرع فلك * خذه والا لا تطول املك
وان اطلت معه المخاصمه * اتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما * ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد ان يزيل نعمي
ويأخذ الزرع بتلك الحيله * والمال يبقى يا امير بلدتي
واخرب سريعا وتبور الارض * من حيث فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين * عنه ويمسي حائرا في شين
فليس فيهم ابدا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم في الوحل ثم الجله * وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم قوم بنا للساقيه * واحسب لنا ما في البلد الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرتهم من طولها ملفوفه
وان لحضر البندر يوما قصدا * يدخل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره ممطط مطرطر

وفلشه للحر والبرد يبرز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم في الطز * في حالة البرد ووقت الحر
ونطهم في الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش في الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت اتت في الغيظ
وان يريد والمزح والملاعبة * مثل كباش قد اتت محاربة
تلق لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبي نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * في عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم في غارة وغورة
من كثرة الصياح والزعيق * والجري في الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * اوجلسوا للرقص والزماره
او سرحوا بقصد جمع الجله * او التقاط سبل او رجله
مثل عفاريت اتت في زوبعه * او فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فانهم * كانهم بهائم سوارح
وان هم في حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان اتت مواسم كالعيد * تراهم في النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشا فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود في الفيافي اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح في اعرابهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
وذا يصيح يال سعد اسعدوا * وآخر يال حرام انجدوا
وذاك اللفظ دون لبس * عندهم امر بقتل النفس

فيحربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل في الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر وللفساد
فما جزاهم غير قطع الراس * وشنقهم وضربهم وللحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة للخير لهم ذريعه
ومشيهم في الحر من غير وطا * ونومهم في الغيط من غير غطا
وطرحهم في ظلم الليالي * في البرد يا صاح او التلال
قد يبست جلودهم في الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم في الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البير والسواقي * ومشيهم ايضا بلا اطواق
ومنهم من لا يزيل شعرا * والراس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا ولحيه * ولا ينظف فلسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للحبس ثم اللطم
واكلهم في العدس والبسله * كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلي * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظفه ثوبه من دنس
وان جشا يوما على الفسقيه * تجد له طينا كما البرنيه
كذاك من يجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم في ذل
ولن يطيعوا الشرع الا عصا * او يوجعوا الاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالعم او كالخال
ويجلسون عنده في ادب * او يقف الواحد منهم كالصبي
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعند وانه فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع

اخلاقهم تروى عن ابن بجر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا اتى كانه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كانه الناطور فى الغيطان
يفترس الاكله من بسا * وبلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول اروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفى غد اروى لكم قصيده * لعنتر فى عبلة الفريده
كذلكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم من شيحه * وام جابر بنت ابو فريحه
واروى لكم ما قد اتانى عن ابى * وابى قد قال ايضا عن ابى
وقال جدى ذاك ابو غندف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره * كما روى عن جدى شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل * مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل من البغله او الحماره * كانه الراهب ابو زراره
وعند ما يجلس فى انتفاخ * تفرش له قطعه من الاخاخ
وبعد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رجلا له وهو ثقيل خف
يسأله يا قاضى الهموم * هات لعندى ابن ابى دعموم
وحياة دقنك جلتى سرقها * واربع قفف من زبلنا حرقها
وقد اخذ وحيا راسك حدوتى * وعمتى المشرمطه ولدتى
احكم بحكم الله يا قاضى البلد * والا ضربتك الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق ومنه تقطع يد

رُحْ يا قفا يا عرص يا ابن البله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * والا على دقنك اشخ شخه
انه عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوجت بنت عمرو
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضية وبتها * يجرى سريعا عندها يا ليتها
فقيرهم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدى ومريد جدى * وذا الولد بدايتى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى * غير مصلى مغرب او ظهر
الا باذنى او بدا تشويشه * ومن رآه قال ذا درويشه
وعندما ياتى به المولدا * من خلفه تلقاه حقا الابدا
ويدخل للجمع به يدروش * وبالنسا بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولى * عن اوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض * على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقى عاوز الى عباده * هذا بقى فى نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره * هذا ولى فسية الحماره
وان تسله حالة الطريق * يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرق يدى * وميلانى لبدنى وشدى
ان قدم الماجور احط كفى * واطلع بلقمه مثل دور الخف
وبالدراويش بجنب الشط * امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده * واقول له البنه وهات العاده
وهات لى الفرخا مع العليقه * وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبى يا سعد يا حرام * ولا اقل بان ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل * فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهم طوائف خوامش * وكلهم بجمعهم آبالس

لا يعرفون الصوم والصلاة ✱ ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما ✱ لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات ✱ وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر ✱ وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل ✱ وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل اولذي كمال ✱ بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا ✱ فشعره يشبه طعم العذرا
او قبح قول جابلا راويه ✱ او رض قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا في العمر ✱ فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه ✱ لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم اجلاف مع اوباش ✱ مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم ✱ القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا ✱ والحاج عنطوز بن ابو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط ✱ كذا خرا الحس وابو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد ✱ كذا لهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط ✱ صعفار مع بهوار مع صرميط
بزبوز مع عموز مع قروش ✱ سمعوف مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش منهم ذكروا ✱ كذا حنين بن بنين شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا ✱ ابو شوالي ومنادر يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم ✱ وابو الدواهي مع ابو المشوم
ابو شادوف ابو جاروف ابو نطاح ✱ مشكاح ابو رماح ابو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا ✱ والحاء ايضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهم ✱ كذا تهامم وعقرب فيهم
والغلط والضراط قد روينا ✱ ويبدلون الضاد ايضا سينا
فهذه اسماء مثل الوحل ✱ او انها اشبه ضراط النمل

وإن ترى الاسماء لا تعلك * فانها والله بئس العلك
وان ينادى لشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادى للمرا يا داهيه * تجيبه لما تشخ مجلسه
وعندهم من افصح اللغات * كقولهم فى الارض ذا مهراً
وضبت فى ابو شه وها جوادى * ما ضال آنى ما زال هذا الوادى
يعنون بالجواد مركوبا حضر * كذاك ها توالى الكرام من السحر
جعبو بتى راحت من المرجونه * سيرى اسكنى جوا حلا لطاجونه
قومى الحتى لى فى الزريبه نقره * لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجدعا نطوا فى المراح * يوم الهروبه فى الزريبه باشراح
جعما دا جا مجمص مسخمط جله * اليوم الو عنزين وعنى مجله
والجح عنطوز قد حضر فى كرشه * اليوم وراح هربيط وخاله كرشه
وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بفرنها خدها ابن راس المسحه
اليوم بلدنا شيخها ابو عوكل * وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والجح قلوط الكبير فى هودج * والجح جعماص بن خرق النوبح
وانما اسماؤهم متناسبه * ذوا تهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما * فخذ هدنيه بعدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه * بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زواره مع شتاره سموا * كذا معكه وركيله ضموا
سقساقه ايضا كذا شلبايه * وخربوه وفسيوه وعطايه
كذا شفيره ثم غاسوله ورد * حمد ولبد وعطيه فى العد
وطالبه وهاربه حطسه * كذا فرجيه بنت ابو غربيه
وقد سمعت رجلا ينادى * حجه خديوه اغسلى الزبادى
واحلبى البقره وهاتى العجله * روحى حدا الجدعا وسوقى النخله
قومى وحطى العدس فى الفصوله * انتى ويا بنت ابو بعشوله
يا داهيه يا داهيه تعالى * جتكى من الحيط بنت ابو شوالى

قومي تعا اتعشي بنا في الموضع * ابنك بيخري هي تقل كل واشبع
ها تي لنا قطعة وشيخ من ابنكو * المطخ بها الجله وشوفي بتسكي
يا داهيه روحي وهاتي البقره * إنتي وبنت الحس قفا لك خضره
يا راهيه روحي وشوفي النقره * في وسطها جله طريه خضره
وحوطها شوفي الحمار والعجله * ولبي بعرها اعمليها جله
فهذه اسما النساء فخرا * شبيهة بالوحل عند الخزرا
ولعشهم يا ابن الوطا يامد * يا خرا الحس وابن بنت الفسوه
يا علق ما تجي عندي يا بوكاره * يللي بتخري كل يوم في الحاره
وانت بتقعد للمسا في الشوم * وكم بنيكوك في الدره بالعوم

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين * وعلى آله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف ابن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه * انه لما كانت الهمة البارده * والفكرة الكاسده * تحركت ايامًا قلائل * لتاليف كتاب صار في الاوراق حاصل * في احوال اهل الريف باتفاق * وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق * وصار جزءًا لا يرى في الكتب له شبيه * ولا ينكره الا ذو فضل في العلوم نبيه * وكان كالمقدمة للقصيد * وقد حوى معاني تشبه تحف الجريد * وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار وغايته انه اغتراف من بنات الافكار * اردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني * فحركت فكري الخامله * واطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله * بحل معاني القصيد منسكبًا عليه انسكاب الوابل على الصعيد * بالفاظ يفوح معناها كريح الفسو * ومعانيه في الوضع خابط عشوى * فساعدتني الفكرة لما اليه قصدت وتحركت معي لما اليه اردت * وهذا اوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود *

فاقول ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الذي ضمه وآواه *
وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويلة او قل طولها *
وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان * حتى انشا هذا القصيد واشتهر عنه وبان
* فنقول اما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح انه ابو شادوف بن ابو جاروف
ابن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفز بن دعموم بن فلحس
ابن خرا الحس * فاذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا القول
(وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق بن عفلق
ابن بهدل بن عوكل بن عمرو بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن
خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان اكل الخرا ابلغ من لحسه
(واما قريته) ففيها خلاف فقيل انه من تل فندروك وقيل من كفر شمرطاطي
وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض اشعاره يخبر عن نسبه فقال

انا يا ناس في قولي دلايل * ونظمي حق ما هو شي هبايل
ابو شادوف انا قال لي ابويه * عليه وجدتي ديك ام نايل
باني قد تربيت بالجماعه * بكفر يعرفوه ناس آوايل
يسمى كفر شمرلي وطاطي * فكن صاحب فهامه يا فتى ساكت
وذا قولي وابو شادوف اسمي * وشعري حق من جاني يسايل

وسمعت شعرا لبعض اهل الريف يدل على انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد * كلاما ما كان شبه الحديد
ابو شادوف عنه خبر ونبا * بقول حق جا فا بالوكيد
بتل فندروك وفيه ربي * وعاش يا قوم وانشا القصيد
وذا قولي وانا عندا فاسمعي * وكم من نظم اجيبوا من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد في كفر شمرطاطي وتربى في تل فندروك
(واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة
في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان في ابتداء عمره
في سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها

يدهن القراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فيما كان وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوخ والصبيان ونحو ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

(ذقن طالت فافسدت * عندما ضر طولها) ❁ (قصروها فاصلحت * عندما قل طولها)

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الحزن فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول (اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار) فقلت لولا ان ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحاء ما كانت معتدلة متساوية

الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا اوشبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وانها كانت خضراء اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط او يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس واشطنهم الاجاردة فينبغي لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذرهم قال الاجرود قال اريد ان تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة اذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما امره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما امر قال فارادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد ان يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل اجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضية فقال هذا امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قبالة وجهه وكذلك الاخر بمد ملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والاخر يفعل مع الاخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة

واخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك انى متعجب من شكواك بعنى انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي اطلس املس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى قول احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوة وشهامة ومعرفة في رعى الغنم والنط في الغيط والمشى في الحر حافيا عريانا وكان يشيل الجله الخضرا على رأسه من الغيط الى داره في اشرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة القشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارن والطبلة والزمارة والعياط والعاره وضرب الكلاب بالنخام والهباب حتى انه من دون رفاقه صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

ابوشادوف من يومه مجعمص * شبيه الجرو يتنطط بقوه
ويسرح غيط ابو بعره ويجى * من الجله الطريه فى الفروه
وهو عريان وشايل فوق راسه * ووجهو صار كيف وجه البعوه
وما قد سال من الجله الطريه * يسيل عليه وما عنده مروه
ويقعد شهر ما يغسل لوشو * ولا شهرين وجسمو فيه قوه
ويسرح للضحى فى الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبنا ام جروه
ويازينو ابوشادوف لما * يجى الجاموس يقطع وسط بوه
وينزل ينفرد فيها وراهم * ويتنطط كما عفريت خلوه
ابوشادوف من صغره مدلل * تربى عندنا كلب بجروه

ابو شادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعنده اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف وراسو جنب جلده
يقول سيدي يقول له يا معرص * تحط المال او انخليك دعوه
وهو من مثل ابو شادوف يقبض * وابوه وعمتو بنت ام فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه ما ربنا صلى وسلم * واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته في نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان ابوه قد ملك في حال حياته حمارا اعرج وعنزتين وحصه في ثور الساقيه ونصف بقره وعشرة فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك نحو اربعمائة قرص جله ومطمورة يخزن فيها الزبل ايام الشتاء وكان عنده قلة مكسوره وزير واقلم وجروانه يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفي الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت * وما احسن ما قال الشاعر

* اذا تم شيء بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابو شادوف في رداء من محزم الكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات في كفر شمرطاطي ودفن في تل فندروك وقبره الآن يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوم وربما تبول وتزبل عليه بعض البهائم في بعض الاوقات * وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفوني يا جماعه * وابكوا يا مشاه في كل ساعه
ابو جاروف ولى اليوم عنا * وخلى العنز والبقره بتاعه
وخلى بنت عمو ام فلحس * عليه اليوم تبكي وسط قاعه
وابو شادوف يعيط وسط راسو * ابويا مات وعدنا في مشاعه

وإن [illegible] شيخ الكفر يحكم * على الجذعان ودوليك [illegible]
ولما كان [illegible] يوم عاره * [illegible] يدلع [illegible]
[illegible] * [illegible] بارده فيها سقاعه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] انتهاري * [illegible]
[illegible] الله * ودا الكاس [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والدم بالعين [illegible]
بالوحش [illegible] وعلى [illegible]
والمشيخ على الكفر واطاعه [illegible]
وغنا وقال وافتخر [illegible]
ابو [illegible] عمري [illegible] * [illegible] وناسها [illegible]
ولولا [illegible] ابويه في [illegible] * اتاني الكفر شيخ [illegible]
[illegible] على المشاه [illegible] * [illegible] البحر [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * ودم [illegible] فقال ابو [illegible]
[illegible] اليوم [illegible] * وضال [illegible]

واطحن قرن من خالف كلامي * بنبوتي واكسر بو عصامه
ابويه كان قبلي شيخ عليكم * فخلوني وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد * واصحابه الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التي حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعارضوه في جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التي ادخرها وهي التي كانت سببا لسعادته بعد موت ابيه على ما قيل ثم صار يداري الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناسوا القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل والبيض فلا تعارض في ذلك وكان يعطي ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير واعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بغرارة فملاها زبلا من اولها الى آخرها ودفعها اله * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبدة وخلقة زرقاء وقفة ملآنة نخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى في رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني فاتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلاني خذ منه خمسمائة دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني ولم يزل يأتيه مرة بعد أخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار في نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا قنع شبع

وبورك في قليله * قال الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي يحيى [illegible]
ونفعنا به والمسلمين آمين (استقنع بقليلك * يأتيك الله بكثير)
وقال (كم تاعس بعد رشاش * ينهل من المزن) (انا مالي فياش *
ايش عليّ مني) (اقلق من رزقي لاش * والخالق يرزقني) وقال رضي الله عنه
(يا ابن آدم قل طمعك * دا السعد وعد سيدك) (لا تقل دا بالشطاره * او تحصلها بايدك)
(لو تكن تسعى زمانك * غير رزقك ما يجي لك) (ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشي قبالك)
(من له في الغيب شيء * لم يمت حتى يناله) وقال الامام الشافعي رضي الله عنه
وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك)

فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس كأني ملك ٥

حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفذ جميع ما كان معه من المال وصار في اكبر الهم واشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعد ولم يبق الا الذي خلف له الوالد واخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر في رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان في فعله او المنخل في حاله وفعله كما قال الشاعر

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك يعلي كل جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذي زنة خفيفه

وقال آخر (الدهر كالمنخل في فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل)
(يحطّ اللب من تحته * ويرفع القشرة والفشول) فحوادث الدهر تأتي على غرر
ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الدهر سابغة * تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالي بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز في الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل

ومن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حكى ان بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء وهجروه ولم يأته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به واعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنئونه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول

(تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا)

(يا ايها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان) فصل وكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق ان رجلا كتب رقعة واتاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظة منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر أمير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تأملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى ... بلاغته رحمه الله تعالى * وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت ... ولقمان فى الحكمة وابن ادهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس * ونودى عليه لا يباع بدرهم

واما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

سماجة اطروش وثقل ابن قينة * وغفلة قرنابا وعكس ...
اذا اجتمعت فى المرء والمرء موسر * ...

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا ...

ما اتفق أن رجلاً ركبته الديون فترك عياله وخرج هائماً على وجهه إلى أن
أقبل على مدينة عالية الأسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار
وقد اشتد به الجوع وأهلكه التعب فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الأكابر
متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلاً فدخل معهم إلى أن انتهوا إلى محل يشبه
محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم إلى أن انتهوا إلى رجل جالس في
هيبة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء فلما رآهم قام
إليهم وأكرمهم فأخذ الرجل المذكور الروع واندهش مما رأى من البنيان
والخدم والحشم فتأخر إلى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه
حتى جلس في محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس
إذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها أنواع الحرير والديباج
وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل
معد له ثم غاب وأتى بأربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر
ووضع لكل واحد من الكلاب صحناً على انفراده ثم مضى وتركها فصار الرجل
ينظر إلى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم إلى كلب ليأكل معه
فيمنعه الخوف فنظر إليه كلب فعرف حاله فتأخر عن الأكل وأشار إليه
فدنا منه فأشار إليه ثانياً أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل
حتى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار إليه الكلب أن خذ الصحن ببقية ما فيه
والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن
فمضى به إلى حال سبيله ثم سافر إلى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه
بضائع وتوجه إلى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق
وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد
أن أسافر إلى مدينة صاحب هذا الصحن وآخذ له هدية سنية تكافئها
وأدفع له ثمنه وإن كان أنعم به علي كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام
الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياماً وليالي حتى أقبل على تلك المدينة
وطلع إليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير إلا أطلالاً بالية وغرباناً ناعقاً

ودياراً قد اقفرت واحوالاً قد تغيرت وحالاً للقلوب قد ارجف ومحلاً تركه الدهر قاعاً صفصف كما قال بعضهم

سرى طيف سعدى طارقاً يستفزنى * سحيراً وصحبى بالديار رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفراً والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة من يقين والتفت فرأى رجلاً مسكيناً فى حالة تقشعر منها الجلود ورؤية عين اليها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان واين بدوره السافرة ونجومه الزاهرة وما هذا الحادث الذى حدث على بنيانه وما الامر الذى لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين اما فى كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيئاً فى هذه الدار الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافرة واحواله الفاخرة وتحفه الزاهية وجواره الباهية ولكن الزمان قد مال فاذهب الخدم والمال وصيرنى فى هذه الحالة الراهنة ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنة وسؤالك هذا عن امر وسبب فاخبرنى عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصة وهو فى تألم وغصة وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذى اخذته من الذهب فانه كان سبباً للغناء بعد الفقر ولزوال ما كان عندى من الهم والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وان واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون فان هذا امر لا يكون كيف من كلابنا يتكرم عليك بصحن من الذهب فارجع فيه ولو كنت فى اشد الهم والوصب والله لا يأتى منك شئ يساوى قلامه فامض من حيث جئت بالسلامة قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعاً يثنى بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذى يلتذ بسماعه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعاً * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم من قسي المصائب فاصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع شعر

فليت شعري والدنيا مفرقة * بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد انسة * وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به * لكنت بادرت شكر صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من طوارق حوادث دهره والغموم وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد * وشكواه هذا الامر الوافر المديد * فقال

ص (يقول ابو شادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما يضنا نحيف)

ش هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع وقد فجره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الخلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هلهله ومن شابهه ببقية البحور قال في تمثيله انت حمار او ثور * واما قده المعهود فعلى وزن برو ثخل الماضغين جلود واما تقاطيعه المذكوره فهي الكلمات المنثوره *

يقول	ابو شا	دوف من	عظم ما شكى
تبول	عليها	في الضحى	مع غرو بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام (تبول عليها في الضحى مع غروبها) فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن في شرح الكلام على حسب التواقيع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول)

اى يريد أن يشتكى ولاشى المحتاج فيه شرح حاله وما قاساه من حوادث الزمان وما اصابه من دواعى الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقا فمصادره قال يقول قولا ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من قيلولة اومن القيل اومن الاقوال اومن قالوا وقلنا وانما زدت هذه المصادر القشروية وهذه الاشتقاقات الهبالية لابنى عليها ما سأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وما ذاك الا انى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياما فى زاوية على البحر المالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم فى هذا المكان اقرأ فيه وابين للناس الكلام ومعانيه وانا فى هيئة تشين النظر وفى اهبة ذهاب وسفر وبهدلة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل على بالاعجال رجل يشبه دائرة الهلال طويل الهبل فظ ثقيل له عمة كالهيولى فى العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم [illegible] ونظر الى شذر فظهر لى منه الشر والجدال ومنتظر [illegible] كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت [illegible] النبى عليه السلام فعند ذلك قال لى بلفظ [illegible] فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله [illegible] بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال [illegible] قال يقول قولا وقالة وقيلولة ومقالة [illegible] تضربه ستا وثلاثين [illegible] فقلت له فى ديوان [illegible] فعرفت انه لا يدرك الاوهام [illegible] انقياد الخصم للتلبيس [illegible] (قال شيا) لا شى خابطلت [illegible] المصادر والاشتقاقا [illegible] الاهوية [illegible] فى

قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من يدري [illegible] وأما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دون الكلام والمعرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال من وجه هذا الهبال *

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضي كما قال صاحب الفية النحو رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك) الجواب الفشروي ان هذا الفعل الماضي الذي هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتي منه قولا كما سبق في تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل او انه اراد تعداد الامور التي حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذي هو يقول وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة

وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

اي اذا نوى شيئا مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اي يمنعه عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى * وايضا لو اتى بالماضي لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا في معدي كرب وبعلبك وبرق نحره ونحو ذلك واما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته القته في مذود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك ايا ما حتى اشتهر بهذه الكنية * وسبب اشتهاره بها اقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم اجر نفسه لسقي الزرع بالآلة التي يعملها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة فعلها انهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها خشبة ايضا بالعرض حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذي من جهة البر شيئا ثقيلا

والذى من جهة البحر الدلو او القطوة التى ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة فى البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثانى ويصعد الدلو او القطوة ويفرغ فى النقر مع مساعدة الرجل له ويجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا مجموع الآلة والناطورين ابو شادوف وهو مشتق من الشذف وهو الغرف قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شذف يشذف شذفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رأيت الماء فاشذف براحة * فذلك للظمآن اهنى واطيب

فالناظر لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمى باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابو شادوف فسمى باسمه نكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلى عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان امه لما ولدته عند ابو شادوف اخذته ووضعته فى المدود وسمته العجل على ما تقدم فسمى عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمى بذلك لكثرة غرفه الماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عنده الشذف اى الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا ابو شادوف ووضعوها على ذات الناظر لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصار علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى ان الدلو او القطوة لا يفارق الخشبة التى هى فى حكم قصبة الميزان وهل هى حكم الابله كما سبق من ان النواطير فى حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو محتاج لها فى وقت الحاجة لا غير الجواب ان الخشبة لا تستغنى عن الدلو او القطوة وهما لا يستغنيان منها فكان كلاهما فى حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة فى حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة مرتبط بالخشبة فانجلى المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الأب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق

رحمه الله في قصيدته ما آب من سفر الا وازعجه * رأى الى سفر بالعزم يمنعه
اى ما رجع من سفر الا وازعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة
يرجع الى ولده ويفتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما ان الاخ
مشتق من الاخوة قال الشاعر

ابو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء ايضا قد اتى من اخوة

ومصدره آب يؤب اوبا فهو آب وقال ابن سودون ان ابو هذا
فعل ماض ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك واري ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اى ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع
اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء
والثاني حذفت السين لانها في الجمل بستين والستين في البوس اسراف
عند البعض هذا كلام المصرح به في ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض
الذي نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه لا يشتفي فؤاده
بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات
حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقدم المانوس
وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشي والرقيب
هنالك لا ينحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سألت بدر التم في قبلة * اجاب ان يوفي ومنني السحاب
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت في العد وضاع الحساب (وقلت في المعنى)
رأيت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادي اللثم قال بخلوة * فقبلته الفا على ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للحب وللحبيب * بان يكون ثم خوف من
واش او رقيب فيكون الضم في تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق
في الكثرة والتقليل * ومنهم من لا يعتري به في ذلك وهم ولا الباس
ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو نفر منه وفر وربما مال نحوه وعر * قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عندما * فر مثل الظبي من بين يدي
وغدا يعدو وأعدو خلفه * وترانا قد طوينا الارض طي
قال لما ان رجع عني قلت لا * قال ما انطلت مني قلت شي
فنأى عني وولى خجلا * وانثنى بالتيه عني الى الحي
كدت بين الناس ان التيه * آه لو افعل ما كان علي
ومن اللطائف ان ابا نواس مر يوما في شوارع بغداد فرأى غلاما
جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضي يحيى بن اكثم
وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضي ساعة وانشد يقول
اذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الا مقنعا
ولا ترخي الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغ عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا
قال فاطرق الغلام ساعة وانشد يقول
وكنا اذا رجوك للعدل بيننا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط
وقوله (من عظم ما شكى) اي من عظيم بل من امور يشكو منها وصرح بشكواه
راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التي كان
فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر
ولرب ليل في الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تحول بفكره
والشكوى على اقسام شكوى لله وهي محمودة وشكوى للمخلوق وهي مذمومة
اللهم الا ان يكون في حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به
في دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان اولى
وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا *
ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به
(اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر في الم نشرح) * (فعسر بين يسرين * اذا فكرته تفرح)

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتديا باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها اولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر ان يكون كفرا اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر * وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت سرتى * وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

وقيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى * العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر هو الموت الاحمر * وهذه الكلمة يعاين بها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعترة اى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال مكربة وهى من الفاظ اهل الريف * قال بعض شعرائهم

(ابو جاسوس صبح حالو * يبكى الناس وهو سهره) (يبحر ما يلقاش * وفى قله وفى عتره)

(والقل) على وزن الغل او الظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف او القولق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره فخذ زبره وزنها على عتره لا تختلف ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر اى مرتكب هذه الامور واما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوى فاخرج له صحنا من الطعام وشيأ يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فاخذه واجلسه فى داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم

وقال له كل يا حضرمي وسف ما في القلة بركة اي ما في قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمي الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت ذنوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفي الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق او من القلة او من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشروي) ان القولق اسم لشيء من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسر فتناسب المعنى في ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه او ان المناسبة في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خرم ضيقة وانها اذا وضعت في الماء بقبقت وصارت حكم الذي يشكو الى الماء * قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان في ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور اي سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

(فقلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني في القصور) (القاطنين بارضهم * عندي كسكان القبور)

اي حرك ركابك في الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها

وأتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على أتم مراد وأحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي والسفر الا اليسير فهو أولى من عدمه بالكلية

قال الشاعر

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرك لك رزقك وفي المثل الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تغرب من الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم أي جسمه وهو ذات مشتق من التجسم أو من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى أو من جسم العاشق إذا انحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيب وقوله (ما يضال) كلمة ريفية ومعناها ما يزال كما تقدم في الجزء الأول أعلم يزل جسمه من الفل والتعب وعدم المسرة (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالألف المقصورة وحذف لضرورة النظم والمعنى أن جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الأذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر أن أصحاب المال والرفاهية في الغالب أن اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا يرون بذلك للهم تأثيرا * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف العلف عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه أضرته الآفات وتغيرت عليه الأحوال وأما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبها أهيف قال الشاعر

(وأهيف العبا * بالنرد أنثى وذكر) * (قالت أنا قمرية * قلت اشكي انت قمر)

وأبلغ من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد * لما احس لها من وطئها ألما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لأي شيء قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب في المعنى وافصح في العبارة وقد ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروي) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الريافة هو صاحب الأبنة وبلغة اخرى وهو الخالي من الزواج فلو فرض انه اتى بها في النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه راعى في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فانضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها ايضا نشأت من القمل والعترة وعدم ما في اليد كما تقدم فقال

ص *(انا القمل والصئبان طوق جنبي * شبيه النخال المجرفوق جريف)*

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميري في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع في شدة حرارة الشمس فيتبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر وما قامل في الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا مشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر
ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
وخوطب بلفظ المثنى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار

والعقربان بضم العين والراء وعليه فلا تأويل (حاشية)

الفيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه وانا قوله في البيت الاول يدب دبيب العقربان اي لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا انها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلأي شئ لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهي مص الدم الفاسد وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله ان يكون صغيرا ولدغته قليلة الالم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم ان يكون الآدمي قدر الجمل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها والله تعالى كرم بني آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن في طي الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل للزم ان يكون الآدمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى

(لأكرم البرغوث ان اسمه * برّ وغوث لك لو تدري) نعم (فبرّه مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر)

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة في ان البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العروق ودوائر الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى والانثى عاجزة عن الذكر واما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت طينته قوية ولهذا تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا وكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فانفصل لك الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم اذ البرغوث اقوى من اذى القمل قال الشاعر

آشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسا من الغصص
اصيد هذا يجي هذا ينوء المنى * فتنقضي ليلتي في الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمني * حسبن دمي خمرا فطاب لها الخمر
فبرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم يسكت لسمعة الزمر

وأفادني بعض اخواننا الحشاشين ادام الله بأكل الحشيش انسهم واختلط بدخول الارطال عند النوم حشيهم ان الشخص اذا اسقط ما يشترى من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد اكله فانه يفعل افعالا غريبة ويظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا اكل الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه هو

اشتطل بالزيد من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان اصبحت في سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وتمغيث) من احمى عفا الله عنها الغزا في البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هنا * يا شي من شي احمر حمير ورق الجمير جروا وراه خمسه مسكوه اثنين وتفسيره يا شي باحرف نداء اي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شئ منهم وهو احمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير احمر يعني شديد الحمرة ورق الجمير اي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر الرانج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (واما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء ان صاحب الشقيقة اذا اخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها في باقلاية مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لوازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان في الجسد بسهولة فهو اخف ضررا من القمل لكونه اضعف منه والطف جسما واصله صيبان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي

ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا
الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون
لبياضه او من المصيبة او من قناطر الصابوني ومصدره صبان يصبان
صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين
وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم
ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النميمة او النمام نوع من المشموم واما
اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه يأمره بالنوم مرتين
ومن معناه قول المحرر عفا الله عنه (سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمه)
وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقية والياسمين وقول بعضهم
انى رايت عجيبا فى دياركم * شيخا وجارية فى بطن عصفور وقول الآخر
واحمر الخد قانى * يعزى لبنت الخضا (بغير عين وناب * وفيه عين وناب)
(ويطلق) لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمنم
او نف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير
كما هو مشاهد (واما الغنه قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء
يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا
مد يده لنجاسة يتنا ولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا
لاخذ شئ يؤذيه يزجر ايضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا اخذ
شيأ اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين
ويقال له او يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة
واذا ارادت امه ان تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لا يأكلك
البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع مشتق
من البعبعة وهى صوت الجمل وبين اح ودح وبح تجانس التغيير الاول
ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك
وتغزل بعضهم فى صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال
(يا من سلب للحشى والقلب والروح واواح * غير تواصل وانا الى حسن وصالك بح)

أنا اطعم البق والنمم وقولة بج * بجبج انا كخ يا تنا وعنى دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لوت امى ارى الاحزان تحنينى * فطالما لحستنى لحس تحنين
وطالما دلعتنى حال تربيتى * حتى طلعت كما كانت تربينى
اقول غنم تجى بالاكل تطعمنى * اقول انبو تجى بالماء تسقينى

قوله تحنينى وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثانى من الحنان والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار منمنم اى يشبه نبته بدبيب النمم او نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بدبيب النمم (دب العذار على غدير خيل لى * يا انه نمنم يمشى على مهل) وبعضهم زاد نوعا رابعا وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بجيص ولقيس مأخوذ من البعبصة وهى ادخال الاصبع في دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء اى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه بالحيس او يكون على قياس قطيس واللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس اى مرتكب شيئا يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد قال في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيهما بلا شك فهذا اصوب ويقال انت تعيص لحيس اى انت تشبه لحس الكلب للاناء او انك تلحس الحلا بلسانك او تلحش بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من اذى اللحيس في الرأس كربة * ونمى واكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا فان قيل ان هذا اللحيس الذى زاده هذا البعض شئ نافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره في الالفية قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته ففى الجملة له محض اذية ومن بعض اتباع القمل بل من اولاده كالصيبان والنمم كما تقدم او يكون هذا قياسا على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل

وهو صة بمعنى اشكت فاتضح الحال من وجه هذا المثال وقوله (في طوقي جبتي)
اي كائن او مستقر في طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة
وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره
كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة اي المال الذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم
ينفقوه في وجوه الخير يجعل في عنقهم كالطوق ويعذبون به في النار والطوق
مشتق من الطاقة او من الطواق لتدويرها او من خان ابو طاقيه بمصر
ومصدره طوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم
ضامن ايضا وهو احسن الحلي عندهم * واما ما يوضع في اعناق الرجال
في السجن فانه يسمى عندهم ضامنة يقال فلان في الضامنة اي بمعنى ان هذه
الحالة الحديد التي في عنقه ضامنة له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل
الضامن للانسان متى طلب منه احضره وقوله (جبتي) على وزن شختي وجبتي
هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن
شختك ومحتك مثلا * واذا وصفتها وقلت جبتك حمره فتكون بالتصحيف
خنثك حمزة اي ناكك رجل يسمى حمزة والجبة واحدة الجبب مشتقة من الجبت
وهو القطع لان الخياط يجبها اي يقطعها ويفصلها يقال جاب الغبا بمعنى قطعها
وقد قلت في المعنى (اجوب الفيافي طامعا في وصالها * واقطع ارضا لست منها بجائب)
ومصدرها جاب يجب جبا وجبة * وهي على قسمين ريفية وحضرية فالريفية
من صوف تخين غليظ مسدودة حكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة
خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم
مختصر ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء في وسع الاكمام وزيادة فان
كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني وربما جامع الرجل
زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لي في ذلك) فلي تزوجت
منهن وكنت اجامع زوجتي في بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة
الهندام حتى في الثياب والاكمام فهي امور بينهم محبوبة والمناسبة مطلوبة *

(وفي المثل) رأوا قرداً يسكر على خراه فقالوا اما للمدام الرايق الا لهذا الشيب العايق ورأوا جاموسه منقبه بكيب فقالوا اما للصبية القصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر (رأيت مجذماً في قاع بئر * وآخر ابرصا يخرا عليه) * (فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه)

(واما الحضرية) وهي التي يستعملها اهل المدن خصوصاً العلماء والظرفاء وهي من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها محصورة الآباط مفتوحة ويقال لها مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة للابسين * فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قد مأنوس وجعل نساءهم زينة للنفوس (كما في المثل) الاساس بحسب بانيه وكل شيء يشبه قانيه فالانسان ينشأ على الطبع الذي جبل عليه وشبه الشيء منجذب اليه قلت في المعنى

رأيت بخده ماءً ونارا * وذاك الورد منتثر عليه

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن في طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشيء يناسبه في الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهي قشر البر والشعير الذي يعلو المنخل عند النخل وسيأتي تعريفها واشتقاقها وهذا التشبيه يعطي حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة كذلك الثاني انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى في العين كثيراً كما ترى النخالة وكان تشبيهه بها هو المناسب وهي مشتقة من النخل او المنخل او المنخال * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعاً لانها اذا نقعت في الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكي وجع الصدر ابرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) اي القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) اصله جرفاً لانه مصدر حذفت الفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة او انها لغة ريفية فلا اعتراض

وهو مشتق من الجرف او من الجرفة او الجرافة فان قيل كان حق الناظم
ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهي النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا)
لعله عدل من تانيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن ويكون
من باب الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان انت قد اصرمت حبلي فاجملي)
او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف
فلا اعتراض عليه (فان قيل ايضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصئبان
قد انحصر في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك
فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي
اي غالب القمل يتراكم ويتصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة
في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان
في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه في الجسد من باب اولى لان الجسد
محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شأنه ان يبيض
اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد
الى اعلى الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما ان الآدمي
اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب
(فان قيل) لاي شئ لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض
ولم يذكر شيئا منها مع ان لكل منها اذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا
السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل ان البقة
تولد مئة وتقول يا قلة الذرية فانه في الغالب لا يهوى الا البلاد المدن
لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد
فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالي المكلف وان وجد في القرية
فيكون دارا لشاد بها او دارا للملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا يلم
بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة ايضا فلهذا
لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا
في بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت

فينوى الشئ الحلو كالعسل والسكر فيأتى اليه ويشمه ويكون فوته الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقى الماء قال الشاعر

لا تجعلونى ككمون بمزرعة ❊ ان فاته السقى اغنته المواعيد

والناظم لم ير للنمل اثرًا فى بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا فى ثوب ولا وضع فكان منعه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجودًا فى بلاد الارياف لكنه يأتى اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان اذاهما دائم مستمر فى الثياب وغيرها كما تقدم والشئ اذا كان يؤذى قليلا ويغيب كثيرا يكون وجوده كالعدم فكان هذا سببا لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا نقع الحنظل فى مغلة الغزل بعد استوائه ورش بها فى المحل وهى حارة قتلت البق ولم يبق منه شئ واذا ظهر النمل فى محل فيه البق اكله قال الشاعر

اكل البق المنى ❊ جسمى يا حمل بقه ❊ جئت النمل ساعدنى ❊ فاتلى ولا ابقه

واما النمل فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النحاس (مسئلة) ما الحكمة فى ان الشخص اذا اكلته قملة او قرصه برغوث او شئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرا ربما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركته واذيته ويخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب المفسر) ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وامثل لك مثالا افتراضيا وهو ان الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها او وضع فيها ايضا

فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه
فتضره ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة مالم يكن عرضها
ضد طولها فيخفف الضرر اوقل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف
الحال عن وجه هذا المقال * ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها
وهى فى الجملة اشد ضررا من القمل والصيبا لكونها من جهة الاقارب فقال

ص *(ولاضرنى الا ابن عمى محيلبه * يوم يجى الوجه على يحيف)*

ش قوله (ولاضرنى) اى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى) اخو والدى
وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب
لهم اذا فقدوا والدهم ولهذا تسميه العرب ابا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى
واذ قال ابرهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق
الرأس حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على
اولاد اخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبه
وهى اناء يعمل من فخار احمر مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل
باذنين ايضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية
الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام
محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب اطول
من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا فعره يشبه قعر القادوس صغير جدا
وربع وهو اناء صغير ياخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقرقوفه بفتح القاف
وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب
فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها
اذنان او اذن واحدة واكثر اوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهنا
اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن فى بلاد المدن كما شاهدنا ذلك
وهو ثقيل فى الجرم قليل فى البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن
دولاب وقسط على وزن قبط سمى بذلك لكونه مقسطا بالوزن او الكيل
وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة

في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على الحراث اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن او الماء بقبق وتالم يشكو ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تالمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس الغطيسي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند اهل الريف هي وغيرها ومنها الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والطلا ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريفا اسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القروفة وما اصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه الاول ان هذا الاناء عمل في زمن القر بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفواحرقه في زمن الصيف فصار يقال قروفه اي هذا الاناء وفى حرقه وتم امره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروفه فصار مركبا من اسم وفعل الثاني انه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادي اللبن قر فيه قر فيه اي اسكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها في اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمي بذلك الثالث ان طينته في الاصل اخذت من محل قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافي ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه الرابع انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهار زكي الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والماكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه الخامس ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث الفشروية وهذه الخرافات الهبالية

فانتضح الجواب وبان الصواب * واما سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم
فعلى اقوال احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخر هات المحلبه
فسمته بذلك تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا الثانى
ان امه اتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه
باسم اخيه فانثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك الثالث
ان امه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك
وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشرية والخرافات الهبالية *
وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار
المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجى)
من المجيء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع
المشد او الملتزم او النصرانى الى الكفر او البلد فتوزع على الفلاحين بحسب
ما يخصهم فى الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه
فى الشهر يوم ومنهم من يفعلها فى كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها فى كل ثلاثة
ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها
فلا بد منها فى كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصرانى
ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم
وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المآكل
من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد
وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى
اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة
شيئا من مصاغها وملبوسها على دراهم واخذت بها الدجاج او اللحم واطعمتهم
واخرجت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا
وقد يربى الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيئا ويحرم نفسه وعياله من خوفه
من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البلية
ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع ويأكل الجبن

القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك
خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين
في حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية او النصراني
او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في
مقابلتها شيئاً معلوماً من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد
بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من
الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء
من الارض او غيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية
ولا يجعل عليهم شيئاً لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم
فعلى هذا لا تكون حراماً ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين
واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك
الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا اذنبت من باس
الا اثنتان فلا تقربهما ابداً * الشرك بالله والاضرار بالناس

فان قيل ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها
قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك
على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على
من احدث هذا قبله او عليهما معاً الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي من اتى بشيء لم يكن موجوداً
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اي مردود ومعناه باطل
لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه
غيره فالاثم على كل من فعله او امر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله
آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله وفيما تناوله
الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك
مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفي قوله (يجي الوجبه)

نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء في كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للأمم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا فلاسماك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها فتاه في محله فذهب الغلام حتى اتى شطها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والعامة حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القصة ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا ولم يجي جئت ولكن تجي لما يروح يجي * وتفسير هذه الكلمات ان قوله يا معلمي فق لي اي تنبه لقولي واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلي اتى بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيئا من السمك او انه يطلب منه سرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجي اي ارادت المجيء وامتثلت الامر فجاء اي زوجها في وقت ان اراد الذهاب ثم قال لو لم يجي اي زوجها لجئت اصله لجاءت سهله للضرورة اي لحضرت اليك ولم تخالف امرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن تجي اي حضورها من الرجاء وهو حصول الشيء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجيء اليك ويحصل المطلوب * والشاهد في قوله جات تجي فجا الخ فانه كرر حرف الجيم في كل كلمة كما لا يخفى فان قيل ان النصراني اذا نزل قرية لقبض ما يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويسلمون له الوجبة ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكونون غالبهم في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف الحال قلنا الحق ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه

ويكون الفاعل آثماً بذلك ما لم يخف منه ضرراً أو أذية بأن يكون حاكماً
عليه ومتولياً أمره واضطر اليه في أمر كقبض المال من النصارى في بلاد الأرياف
وغيرهم فانهم مالكون هذا الأمر بل ان بعض الملتزمين يولي النصراني
أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح إلا
وهو يرتعد من شدة الخوف كما اتفق في زمن الاستاذ العارف بالله تعالى
الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصاً من النصارى
على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم في موكب عظيم من الخدم
والحشم ويمر على البلاد يقبض اموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة
الأكل أو المبيت من شدة اذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاذ
مطلي بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلاء
قدراً يسيراً ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف
فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له
ادفع ما عليك من المال في هذه الساعة فان اجاب واحضر المال في وقته كان
والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه او يخرق احشاءه فيموت وكان هذا
دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد
رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض يزرعها
فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل امهلني بقية هذا اليوم
فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت يقتله
فولى هارباً والنصراني يتبعه على الاثر الى ان القى بنفسه بين يدي الشيخ
وهو يحرق في قمين جير لانها كانت صنعة الشيخ في ابتداء امره فقال له ما الخبر
فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصراني واقف على رأسه فقال له الشيخ امهله
بقية النهار فاغلظ على الشيخ بالكلام فأخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين
وقام اليه وجذبه من أطواقه فبقي في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الأبعد
طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال
اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره والقاه في قمين الجير فاحترق

ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فساروا اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم اشار الى الملك فصحا من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو ياسيدى تمن على ما تريد فقال له انا لا اريد منك شيئا غير انك لا تولى احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامال الا
جعلوا اطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه او عياله ضررا منهم فى امر دينى او دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلدته فقال

يلوموننى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد رزقى بارضهم * ولا بد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا داخلهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف

ضرر منهم فربما دخل في ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفي ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوماً حشر معهم وقوله (علي) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) اي يميل علي ويظلمني ويكلفني ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره كالعمى واذية القمل والصبيان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئاً من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثاني في كونه خالياً من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم عداوة الاهل ذوي القرابة * كالنار يوم الريح ملتهبة وقال علي كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفي الحديث لا حسد الا في اثنين رجلاً آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه الله علماً فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظاً بما يجد

وقال آخر لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمدهم
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه مجليه الى الشكوى من ابن اخيه خنافر لكونه اشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال

* (واشأم منه ابن اخوه خنافر * يقرط علي بيضي بجلبة ليف) *

قوله (واشأم) من الشؤم او من المتشيمة واصله اشأم على وزن ابلم او افعلم وفي المثل اشأم من طويس ويقال فلان مشؤوم وذو تشيمة اي عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمي الخشب شوماً لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم * قيل بنى جعفر البرمكي قصراً بديعاً وزخرفه بانواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياماً

فبينما هو ينظر يوماً من شباكه اذ نظر الى اعرابي يكتب على جدار بيتين من الشعر وهما * يا قصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش في اركانك البوم
اذا يعشش ذاك البوم من فرحي * اكون اول من ينعاك مرغوم
فقال علي بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها كافراخ القطا يتعاوون من الم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا اتمكن من الدخول اليك فلما يئست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا ينفذ لي منه شيء فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيئا من زخارفه فانتفع قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وقوفك واضر بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة الآف دينار وعاد شاكرا
وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم اي اشد واقوى منه في الضرر والظلم (ابن اخوه) اي اخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لنا على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الدحرجة او البرزة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس في حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبرزة قال الشاعر وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا وسمي بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبورة واما اخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محيلبه وقساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخي ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها الغتات قال الشاعر * ففيها ضرط الوانشو جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة واما القرط بفتح القاف وجزم
الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله فى ارضه يقال فلان
قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضة تعلق فى
اذن الصبى وهى ممدوحة خصوصا للولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة
قال ابو نواس فى مطلع قصيدة له ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء
اى ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به
صار يسعى على الندماء وبين خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كاس يشبه
الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير
عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله
(على بيضى) اى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور
ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من
البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان
(مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى
لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب القشروى) هو ان الخصيتين
واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا
فاذا اخذت للخصا مثلا واضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف
فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب
فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو فى حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما
وهما فى حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه
ولهذا ان للخصيتين دائما فى مقام الخضوع للذكر وهو فى مقام الرفعة عليهما
وهما فى مقام التدلى وهو فى مقام الترقى وهما ايضا فى مقام الاضافة وهو
فى مقام الرفع والنصب وايضا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون
وقرع القبب المسطحة وهما واقفان على الباب تأدبا معه وهذا من علامة
البر بالوالد كما اتفق ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه
فرآه فى البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط

البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصب في فسقية كبيرة وراء الملك جالساً عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها في الجدول فأخذها الماء حتى القاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها وأخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر ادام الله الملك ما هذا الا عن وشيع عظيم فأعجبه كلامه وانعم عليه وارتد شاكراً قلت ويذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله غضب على انسان واراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من اضداد قائم وهو على سلم الديوان فقال له بلغني ان الملك عمل عليك الف دينار فقال لا على الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك ووقع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله * وقد يطلق لفظ الخصا على الذكر ايضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعزمول وغير ذلك لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهي

لي عندهم اسماء جما تذكر * اير وزب دلدل وذكر ◎ وخامس الاسماء ادعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كما العصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج * ويكنى ابو الجلا وابو الصدمات وابو الهيادع وابو الزلازل ونحو ذلك واذا اطلق الانسان عنانه واطاع هواه القاه في اشد المصا قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس في اللذات لاهو * والاجواد شاعت ثناها ◎ ما ضرني غير بطني * والي مد لي حذاها

وقد تشبه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يا رب زول غمنا يا ربنا * يا رب اهلك شيخنا الادبا ◎ كأنما خصيتاه اذ كبا * دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين او شختين

فيكون فيها الضرطة والشخة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة او من قرية تسمى الخصوص او من قولهم للكلب اخص مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاء قال الشاعر خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاء صح في نظر الطنيني انتهى الجواب عن هذه المباحث الفشروية والاشكالات الهبالية (قوله بحلبة ليف) اى ربطة قوية دائرة على بعضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشئ فلا ينفك منها الا بعسر وفي اصطلاح الريافة انهم اذا ارادوا ربط شئ بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد اى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهي مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير او من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به

كل الذي يرجو نوالك امطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل اوانه فقال

من * (ومن نزلة الكشاف شابت عوارضي * وصار لقلبي لوعة ورجيف) *

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا في محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزل الشئ من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من على

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد الجسور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى في قديم الزمان يسير بحسنه ويمر على البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه اهل البدع وارباب المفاسد ويخلوها ويهربون خوفا منه وربما وقعوا في يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل او حبس او ضرب او اخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان لاهلها عادة بالنزول

وتأتي اليه مشايخها ويقفون بين يديه في اشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن احوالهم ويسالهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يشرعون له في الاكل والشرب والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل او خروج عن طاعة استاذهم او قائم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف نقمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم في المآكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره الخ ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصية وخوفي من هذا الامر ان ينالني منه ضرر (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن شيء يأخذونه من داري من جملة المظالم او غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوارح وينبت الشيب في غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى لعبد اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يا رب ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الآخرة فقال يا رب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث ان الله يستحي ان يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من امامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وأجاد تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على دفنه) وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى

والشيب مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من
الرجال فقالت من خد كخدي وأير كزندي قال فاذا التحا قالت يطرق
الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصير على الخنا او يبادر
بالطلاق فهو عندهن مذموم * وصاحبه من أنس الغانيات محروم *
خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم * وقال القاضي
الفاضل رحمه الله تعجبت حين راح سعدى * من بعد نصول الخضاب حالي
قالت اهذا الذي اراه * غبار طاحونة بدالي * فقلت لا تعجبي لهذا * غبار طاحونة الليالي
اي انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه
وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضي تكدر صفوها
وطي بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالي
واستنتاجها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار
الذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب في لحيته
بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب
الاسود فقال ولما رأيت النسر حل ابن داية * وعشش في وكر فضاق له صدري
ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال
النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

يا ظبية اشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوا * اما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا * فكانما الليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلى

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند
العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض
ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا
وذكر الشيب في العارضين او لا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء

لأن أول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين * وشيب اللئام من العنفقة
وشيب الرؤس بما في النفو * س وشيب الصدور من الزندقة

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه تاء التانيث في الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وايضا لو قال شابا عارضيّ او شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لأي شيء قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التي تعتري الانسان من حصول برد يحصل به فينزل في رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواءها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه اتى ببعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه ان يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقة * في طيز كلبة مطلقة * والحس خراها بفحيشم ومزمزه بالملعقة

قلنا الجواب الفشروي ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفشافشة فاننا على حد قول ابي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزني وفي الناس امرد * اليس ركوب الفحل في الحرب اجود

واما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعسر ذلك في الجسد ونشا الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشيء يعطى حكمه او على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التي تلف على الراس

اومن عارضة الباب اومن العروض الذى يعترى الانسان من لمس الجرب
اومن العارض الذى يأتى بالمطر اومن عارض الجبل قال بعضهم
قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
اوانه سمى بذلك لتعرضه فى الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض
وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة اومن صارى المركب اومن الصرة
التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (لقلبى) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما
لا يخفى على صاحب العقل الفشروى وقوله (لوعة) وهى شدة حرارة القلب
وتلهفه من الم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت فى معنى ذلك
آواه واحربا من لوعتى وكفى * انى كابذ زفرات باشجان
وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اى رجفان لا يسكن المه ولا يهدء
تحركه من شدة ما نالنى من رعب نزول الكشاف وخوفى منهم كما تقدم
ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع
فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهى اشد عليهم من الاولى فقال

ص *(ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى * واهرى على خوفى من التخويف)*

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب
وأسال القرية اى اهلها وهو ان النصرانى اذا حضر الى القرية او الكفر
وفرد المال على الفلاحين بحكم الحوالى والقوانين التى جرت بها العادة
وشرع فى اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال
فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه الى اوان طلوعه
بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن او يبيع بهيمته التى تحلب على عياله او يأخذ
مصاغ زوجته برهنه او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن
للنصرانى او لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه
وخشى الملتزم او المشد من خرابه من البلد اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال
اويأخذ اخاه ان لم يكن له ولد او احدا من اقاربه او يوضع فى الحبس للضرب
والعقوبة حتى ينفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت الليل

فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تعليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شيء من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجح ناجب وقسم خائن خائب * فاما الاول فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه وعقله رزين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسنده جنب الحيط له على جماعته الحماسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع ويقف عند الحصد والقلع ولا يتكل على خولي ولا مرابع ولا يركن لنوار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا فساد فان اخذ من معامل فلوس لا يصرفها في امر معكوس بل على مصالح الزرع والبهائم والامر الذي عليه لازم وينوي السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفيق لانواره ويحفظ غيط جاره وينوي سداد المال ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسد مال السلطان وان جاءه المعامل اوفاه وان طلب منه ثاني مرة اعطاه ويرتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في راحة ودين ويرضى عليه رب العالمين * واما القسم الثاني لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفه فاتق للشر والمقرفه بالنهار في اعب المنقله وبالليل ساحب العتله لا يلازم الغيط يحب السطوحة جنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سفلاق فشار ان دخل في يده فلوس فرقها على البوزة والسيوس لا يلازم مشد ولا استاد دائم في العكس والفساد تيرانه جائعه وخيوله ضائعه لا يصرف الا شياطين وعياط

وزرعته ما فيها الاضراط بصرف من غير قانون مشحوق ممحوق مديون
ممقوت مع استاده دائر في غيه وفساده لو ضربه مقارع او كسارات
لا يخلي النط في الدور والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوي
على الرحيل والخراب دائماً في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب قنفذ
معكوس مخ الشر حرب البسوس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف
والالفين فتنة في البلد عمره في هم ونكد لا يوفي المقال ولا له رأي كامل
المقت منسكب عليه وشبيه الشيء منجذب اليه فلا خير في حياته ولا يبكى عليه
بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرج في الدار عثرا كالخرء لا
دنيا ولا آخره كما قيل (هذا الذي ان عاش لا يعتنى به * وان مات لم تحزن عليه الاقارب)
واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واول ديوان عمر بمصر
على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان
الخراج في زمانه يسيراً ولهذا لما فتحها صلحاً او عنوة على ما قيل جمع منها اموالاً
كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمي ان
عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط من كتم عني كنزاً فقدرت عليه قتلته ٧ عنده
وان قبطياً من اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزاً فطلبه
وسأله فانكر فحبسه في السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن احد
فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس
واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال
وعلى مكانه وذكر له ما شاء ان يذكره وجهز الكتاب مع قبطي وثق به فجاءه
الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة
التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردباً من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر
فاخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكي ان المرحوم
السلطان سليم لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة
جعل له قانوناً ودونه بمصر منه انه لا يكتب شيء من مال الديوان على احد من الجبا

وافق ذلك رأى مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل نائبه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يأمره بذلك * ومنه أن الجند لا يسكنون فى بنت الملك ومنه أنه لا يتزوج بمصرية ومنه أن لا يقيم فى مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز إلى مكان آخر ومنه أن الجندى لا يجمع بين الجمكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت فى الديوان أصحاب الجوامك والعلوفات وأول من جبى خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن ابى سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها * وهذا الذى جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع أربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعمائة وخمسين دينارا والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف * واعلم أن مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت فجاء الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ * ونقل الاستاذ السيوطى أن سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك أن تكتب شيئا من مال الديوان على أحد من الجند للحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أو الحضور ما دون الملك فيه أو لجمعه على اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشاه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين

المنكسر في مال السلطان كما سيأتي في قوله (ويا ذوب عمري في الخراج وهمو) وان الدهر والزمان مال عليه وصيره في هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انه اذا حضر الديوان او قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني الفزع ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طربة عظيمة لعدم شئ من الدراهم اورده في مال السلطان او الخوف من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) اى ترتخي وتسكن ويقل نفعها (مفاصلي) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو * وقد ذكر لفظ المفصل في قول ابي نواس لما احتضر لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت (ومغرم تضرم احشاؤه * بالنار الا انه ساكت ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه الم ثابت) (رثاه الشامت مما به * يا ويح من يرثي له الشامت) فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذي حصل له العجز عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحي) اى ذاتي لا الروح السارية في الجسم (من شدة الطربة وهم (التخويف) اى تخويف جماعة النصراني او المشد او الخوف الذي يصيبني بمعنى ان الطبيعة تلين من اجل هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هراد الطين بعد ان كان اذا ضربته في الحائط رد في وجهك من يبسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا امسك دفعه لانه يندفق بسرعة من شدة الخوف * والهر واحد الهرار على وزن الجراد واحد الهرة من قولهم هر عليك الحمار او هرت على جيتك الكلبة او هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا انركم على بعضه وسال بنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى اكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين او هو مشتق من الهرة التي تصيد الفار وتسمى بلغة اهل الحجاز السنة بضم الموحدة وبلغة اهل مصر القطة ومصدر هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب من ادهم وقال والاختفا منه

ص * (واهربْ حذا النسوانِ والتف بالعبا * ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف) *

ش قوله (واهربْ) اى انا لا احد غيرى (حذا) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريًا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه او مقابله وقوله (النسوان) اى عندهن او محاذيهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التأنس او الانس او المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء آنس بها وسكن لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وقيل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم[٢] بامرأة جميلة فانشد بقوله

إن النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين

والنسوان على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة او العجوة والنساء على وزن الكساء وقد يأتى فيها النساء ايضا والمعنى انى اخشى على نفسى واخاف مما دهانى فامضى بسرعة وانا فى هذه الحالة واهرب اى انطلق بسرعة الى النسوان واختفى بينهن او اجلس بجانبهن او مقابلهن كما فى المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال اعاير بهذا ولا اقتل فالشخص اذا خاف من ظالم او احد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمى صاحب جذيمة الابرش الذى اول من اتخذ الشموع وأوقدت بين يديه وكان له اخت جميلة زوجها لعدى احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدى هرب بعد ان حملت فاتت فتربى عند خاله جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابى الزباء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد ابيها ثم انها ارسلت لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها بان يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة

[٢] هو على وقيل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

منه بدل اسم عمرو

الأبرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وأدخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظراء فأمرت الجواري أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في إحاطة حيلة جدع أنفه وأذنيه وذهب إليها مستجيرا من عمرو ابن أخت جذيمة الأبرش لأنه تولى المملكة بعد خاله فقبلته وأحبته وملكته ثم إنها أرادت غزو عمرو فقال لها عندي من السلاح والأموال شيء كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه ألفي رجل يسوقهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال تنظر للجمال بأحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الأبطال يسوقهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيد ابن عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فإن قيل لأي شيء اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء لا يقدرن على دفع الأذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك قلنا الجواب من وجهين الأول لما دهمه هذا الأمر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة المرتعد على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير إلى أحد من الرجال يختفي عنده أو إلى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها أيضا إذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن * الثاني يفهم منه أنه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شيء من أمور الرجال وخشي أن يمضي إلى أحد من الناس أو من أقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه ويشوش عليه وينتقم منه لأن الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الأقارب كما تقدم فكل شيء له من جنسه آفة كما قيل وكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وَأيضًا النسآء غيرُ متهمين بهذا الأمرِ فاذا رآهن أحدٌ قد اجتمعن في محلٍ
لا يشكُّ أنّ بينهن رجلٌ الا آن ظهرت له قرائنُ تدلّ عليه وربما منعه الحياء
منهنّ عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه عند النسآء في بعض الغزوات
لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكورٌ في السِّيَر فاتضح الجواب* ثم انه لما كان هروبه
عند النسآء يحتاج لشئٍ يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف
بالعبا) اى وقت جلوسى بين النسآء او بجانبهن او قبالهن التف بالعباء
او ارقد بعد لفي فيها لاطرد عني الوهم بالتفافي بها فان الخائف اى شئٍ رآه
توارى فيه سواء كان عباءةً او ثوبًا او شيئًا يواريه عن الاعين بل ربما
تزيا بزى النسآء واختفى من عدوه ونجاه الله تعالى منه كما اتفق
ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجلٍ من العصاة ليقتله فقيل له هو
في القرية الفلانية فارسل له بعض الأمرآء بطائفةٍ من العسكر
فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك تزيا
بزى النسآء وخرج في جمعٍ منهنّ ينوح ويبكي ويصيح وهن ينحن معه
فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن
فقلن مات لنا ميّت في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن
فذهبن والرجل المطلوب بينهنّ ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر
ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك* ومثل هذه الواقعة
ما اتفق لي اني كنت في سفينةٍ مسافرًا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا
قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي
خدمة الامرآء وهو يصيح على رئيس السفينة خذني ويتذلل له ويتداخل عليه
انه يأخذه وهو في كربٍ عظيم فامتنع رئيس السفينة من أخذه وخشي أن
يكون خلفه أحدٌ يفتش عليه أو يأتي في اثره وكان في السفينة ثلاث من النساء
وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك في أخذه فلم لم
تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه واخفيه
بين بناتي ولا يعرفه احدٌ فسمع الرئيس كلامها واخذ الغلام فلما صار في السفينة

اخبر انه كان فى خدمة بعض الامرآء وانه استغفله وهرب ولا بدّ من مجيئه خلفه
فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها واخفتها فى حوائجها والبسته
لبس النسآء واجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس
وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة
وقال للريّس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لى غلام فى هذه السّاعة ومعه الف دينار
سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى
خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول
هنا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية
فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ واما الغلام
فانه مكث معنا فى المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم
لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ
واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف مترد عدس
او متر دبيسا بمعنى انه اكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى
العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك ان داخلها
احدا والعباءة كسآء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان
يجعلها اهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين
وهى افخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا
الحسين رضى الله تعالى عنه   نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين
والعباءة مشتقة من عبّ الماء لانها تعبّه اذا القيت فيه او من عبوب البحر ايام النيل
او من ابو عبيّة كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نساء الارياف بها وصيد دهره
عت يعث عثا وقوله (ويبقى) اى عند هذه الحالة التى انا فيها وهى انسهال الطبع
وسيلان المراز على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها
(ضراطى) اى صوت الريح المتلائم فى بطنى من اكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات
الاعضاء ورجفان القلب (شبه) اى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلد مربّع
على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتمام الحرب له دوى شديد ورنين زائد

وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضًا
بالدرابكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام
الا النفير وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنّف فلانًا بمعنى
انه ضربه او ادّبه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط
يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس
المضروب او ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه
لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة ان الضراط فيها على اربعة اقسام
الاول ضراط يخرج رقيقًا ضعيف الصوت ممتدًا بصوت ضعيف * الثانى
ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحًا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج
ممتزجًا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها * الرابع ضراط
يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به
ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح
لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين
الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف الماكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المأكل الخفيفة والثانى
ضراط يجول فى البطن بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد
يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد
منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطًا لا ينضج وسببه من المآكل
الغليظة واذا نضج اسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شىء يكون فساء
وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرًا قال الشاعر (يخلط فى الماكول طول نهاره *
وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر) * كما اتفق ان رجلًا اتى الى الطبيب فقال احس فى بطنى
معمعة وقرقرة فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج
فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعلج
باكل شىء من الشيح او الصعتر المغلى بالسكر فطورًا وربما مكث يومًا كاملًا او ليلة كاملة

كما اتفق لابن الراوندي عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات
يسأل الله تعالى ان يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح
يتوكأ على عصا فسمع رجلا يقول اللهم ارزقني الف دينار فقال له يا سقيع الذقن
انا طول ليلي اطلب منه فسوة فلم يعطها لي يعطيك الف دينار وتركه ومضى
ولهذا يقال مغصة قليلة الفسا (قال المسعودي في مروج الذهب) في ذكر جمل
من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب
الملوك ونسوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه
الى ان قال في آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس
الريح في اجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون من اظهاره في سائر احوالهم
وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذي وان ارساله شفاء ينجي وان في
ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه داء
للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا
وذكر هذا المخبر عن الهند ان السعال عندهم اقبح من الضراط وان للجشاء
على وزن الفساء اقبح منه واستشهد هذا المخبر على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار
القول في ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار
والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة ينتج منها قصدي
لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان اذى الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط
اما الجشاء ففساء صاعد * ونتنه عن الفساء زائد

وان الريح واحد في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما
يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين
الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفقة في موخر الرأس والقفا
واحد وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين

وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج واوجاع
المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه
وتفرقه في الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما
ذكرنا من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الارواح
في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين
كذمقراطيس وفيثاغورس وبقراط وجاليانوس وغيرهم من حكماء الامم لم
يكونوا يرون حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم
بالطبيعة وتدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب
الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجز ذلك في عاداتهم * وقال المسعودي
في مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة
لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب
بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال ان امير المؤمنين
يأمرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف
اتهيأ أهيئ رأسا غير رأسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام ازيد في قامتي انا متهيئ
قال لست تدري بعد ما شرطوا لمزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد
وما هي هات ما عندك يا من تدري قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط
المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والملاطفة وان لا تبصق ولا تمخط
ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل
وان تتقدمه في النزول فتتهيأ له ويفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التي
تعدل بها القبة وان لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة
حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بشيء
فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آ
واخراه اذهب فقل له ما يزاملك الا من امه زانية فرجع ابن حماد وقال
للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاء فقال يا علي ابعث اليك
تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني بشروط حسن الشاشي

ففال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل يتمطط في كلام ويفرقع في حكايات ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا لا يتم لي ولا اقدر عليه فان رضيت ان ازاملك فاذا جاءني الفساء فسوف عليك وضرطت ايضا واذا جاءك انت فافس او اضرط علي والا ليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال علي يا امير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال فحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اسارك فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك في كمي فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال لم ار شيئا ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد صحبت قردا فيه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنية والثالث ضراط يخرج ممن جامع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلاءم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها اصوات متقطعة غير ممتدة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلا حث بلا شك بتاريخ نفخته
فمن كان ذا عقل فيستر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ورنته وفي غزل النساء وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال (ذي بنت بطني خرجت تعيط * تدندن كالمردن في برمته) ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته)

قوله اذا ما خلا الى آخره الذي احفظ اذا كان الانسان في بيت راحة * فلا حرج ان ... [illegible]

فجعل البطن مثل الأم وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلاً بحاله ويكون خراه في لحيته (ويحكى انه دخل ابو الاسود على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا تخبر بها احدًا فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من ابي الاسود فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له الم اسألك ان لا تخبر بها احدًا فقال معاوية ما علم بها احد غير عمرو فقال اياه الذي كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند حمل شيء ثقيل او وثبة فاحشة او تحرك للقيام بشدة ولكن لا يمتد له صوت مثل غيره وهذا اخف ضررًا مما سبق * كما اتفق ان اعرابيًا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما احدثت في الناس بدعة * ولم يأت استي منكرًا فاتوب

اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علي في الضراط رقيب

واتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما ان اتكلم انا او انت وحكى نفطويه عن حكيم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور واجلسه الى جانبه ودعى بقوس رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحيًا فقال عبد الملك ذهبنا في الاعرابي وكنا نطمع في اذنه واني لاعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اراد لتاكل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لاجعلنها مذكرة يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاء بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له

تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الله واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل اقبل الصغير على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذا ولى على عجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانما هي ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمان بن داود

وهذا كله من باب الحلم والستر وابداء العذر عن المجالس في الحضرة اذا ضرطوا فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك ولو اراد به المزح مثلا فذكر في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك ان ادلك على شئ تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصره في قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكا الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد ان يسقط من دابته (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا رجلا بعينيه احمرار فقال الرشيد

جعفر ما هذا يا جعفر قال هذا رمّال فقال لابدّ من اختباره فتوجّه اليه
جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلابات والادوية فقال
لم لا تداوي عينيك قال داويتهما فلم تفد فقال اصف لك دواء ينفعك
فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهواء وثلاثة اواق من منزوع
الماء ودقهما في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمّال حامر آنفا *
ثم اتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال بي امراض
اخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقني مغص وما آكله من الطيبات ينزل من
اسفل خبيثا وبباطني ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى
واما ما تاكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا واما
ما تراه من الظلمة بباطنك فعلّق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينوّر
على استك وبطنك * وقد شاهدنا في بلاد الارياف ان الشخص
اذا ضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر
ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة في الحائط التي يجلس
بجانبها من جص او جير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان
وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا
من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم
عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان
كتم الريح يشوّش عليه وكان في مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغي مسامحته
لهذه العلة * ورأيت في بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله به
بالاصم ان امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح
بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلي صوتك بالكلام فاني رجل اصم
وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأة وظنت انه لم يسمع منها
الضراط فاشتهر بذلك رضي الله عنه * واتفق لي اني كنت اهوى غلاما جميل الذات
لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف
بجماله راغب في وصاله وكنت ارتقب ان اخلو به شيئا من الزمان وان يجمعني السعد واياه في مكان

إلى أن صدفته في روضة بالمشموم عابقه ونخيلها باسقه وطيورها بالتغريد ناطقه يرفل في ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبادبته بالسلام وأبديت له الغرام وسألته الجلوس فأجاب وما أحلى اجتماع الأحباب فلما استقر بنا الجلوس وأردت أن أتملى بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهر والروائح العاطر وأحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهي الفائق إذا أقبل علينا جماعة من أرباب الذوات الكثيفه والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا في الحديث من غير أدب فخجل الغلام منهم وأطرق واعتراه الوهم والحنق وأراد أن يتحرك للنفاد فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لائمين فنظر إلي بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول في لوم هؤلاء الأرذال فأنشدت أقول بارتجال (لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل) (ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كاسل فيه الخسارة اذهم * اهل الكثافة والملل) (ناداهم من استه * بلطيف صوت قد جهل كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الأقل) (فتفرقوا عن مجلس * حاوي الغزال مع الغزل يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل) (رقت وراق محلها * من العواذل والعذل والحمد لله على * ذهاب هم قد رحل) (فاضرط وغن وابسط * واشطح وطب يا ذا البطل في روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل) (فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل لكن بحق المصطفى * غيري فلا تأخذ بدل) فتبسم من ثغر كأنه عقود الجمان ومال علي بقد كأنه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس في فؤادك شجر المحبه لا أكون في يميني حانث ولم يدخل بيننا مدى الدهر ثالث ولم أزل وإياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال * ومن اللطائف أن السلطان قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من أرباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر علي يا فلان وأنا أقدر أصور النعمان من طيزي فقال الملك لوزيره علي بهذا الرجل فأحضره بين يديه فأخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما ألزمت به

فقال له تعفونى يا ملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ما شاء قال لابد من
صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال
يكون فى شغل خاطر قال نعم فحول الملك اقامة الجلوس واحضره وطايبه
فى الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا
الفن والف فيه بعض رسائل فقال له اى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا
فحرك اليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغم
وانهاها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون
الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على
ارباب الدخول كلهم ويقال انه جد اولاد العتر المشهورين الآن • ومما حكى
انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل
والامير ينظر فلم يتهيأ له ان يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى
على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد فجلس الامير وقال يا خياط اضرط اخرى
فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء • وقد اجتمعت برجل يقال له ماضى
الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ
القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به
اى نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك وكان بهذه المثابة اعجوبة لكل
من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العظماء
عفا الله عنه • (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو ان ابليس
لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار اولهم من يركب
زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر والثانى من راى اثنين يتسارا
وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من راى اثنين يتضاربا
وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما فى المثل ما ينوب المخلص الا
تقطيع الثياب والرابع من يمشى فى الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس
محبوس الزوجة وقس على امثالهم • ويحكى انه كان لفتى من قريش جارية
فى ايام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها

فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم
عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزلة فدخل عليه ذات يوم والجارية
تكبسه وكان الفتى جميلاً فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم
انها شغفت به فوهبها له فاخذها ودعا له وانصرف فباتت معه ليلتها
وهربت وصار لا يدري الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة
ممن رأى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلاً حتى اوتي بها فقال لها الحجاج
يا عدوة الله كنت عندي من احب الناس فاخترت ابن عمي شاباً حسن الوجه
بعد ما رأيتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حباً فوهبتك له
فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما انت صانع
فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فقعد به الدهر فاتى بي الى الكوفة
قاصداً اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع همهمة
الاسد فوثب قائماً واتى الاسد وقتله ثم اتى الي وما برد ما عنده من
الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الي وواقعني سقطت
فأرة من السقف فضرط وغشي عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت
موته فتنهمني فهربت خوفاً منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال
ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به احداً فقالت على ان لا تهبني اليه ثانياً فان قيل
ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت بانه هوى منضغط بين قالع ومقلوع
او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند
انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم قلنا الجواب ان يقال ان هذا لا يتأتى
الا على التعريف الثاني وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح
الجواب * فان قيل ان في قول الناظم ويبقى ضراطي يشبه طبل عنيف اشكال من
حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه
وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة على النصراني وغيره فلا فائدة في
اختفائه بين النساء ولا في اندراجه في العباءة فما الحكم قلنا الجواب
ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الا بعد لفه في العباءة

فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه ولفه فى العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس فى جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهى اضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لايظهر حسه من الخارج الاضعيفا او انه من باب الغلو فى الشئ كما قال الصفى الحلى فى بديعيته عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لايتوهم انه رجل مخنث بل ربما يظن انه رجل او امرأة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لااشكال فى كلامه فاتضح الجواب قلت ولم ار من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى * ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لاطائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص *(ويا ذوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى والى فى الحصا دسعيف)*

ش قوله (ويا ذوب) الواو عاطفة بحسب ماقبلها والياء للنداء وذوب هذه لفظة لها اشتقاقات فشرويه ومعانى مختلفة * فاما ان تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخوان ان دأبى طول عمرى مع ماحصل لى من الهموم سابقا فى حزنا وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وماينشأ من همه اى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا تقضى عمرى وانا فى هذا الحال الحرج * او انه من الدبيب ليلا على الولد الامرد اذا ارقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوفا احد يتحرك او وحشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده وزعما عاشه الامرد عتابا

لطيفًا او شتمه شتمًا خفيفًا فيقول له قدّر الله وانا عبدك مثلًا واني هلكت
في حبّك الى أن تقضي القضيّة على احسن حال قال بعضهم مواليًا

دبّت ليلًا على من للملاحة حاز * بغيث راكب على ظهرو شبيه الباز
لمّا انتبه من منامو قال من ذا فاز * بوصلنا قلت اعمى حبش بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وما جرّ قلبي باجفانه * رشًا ما دري قدر ما قدرما ❀ واضرم نار الاسى في الحشا * ولم يشتكِ ضرّ ما ضرما
وسلّم قلبي الى صدّه * فياليته سلّ ما سلما ❀ وقد كان قدّم احسانه * ولكنه قدّ ما قدما
وقد هدّ بنيان صبري به * وما واحد هدّ ما هدّما ❀ وحرّم ما حلّ من وصله * وفي مهجتي جرّ ما حرّما
وقد عزّ ممّن احبّ الوفا * وما احد عزّ ما عزّما ❀ عجبت لفيض دمعي به * اذا ما جرى اذهما او هما
فسلّمت امري به للقضا * وحرت به جرّ ما اجرما ❀ وقد رقم الحسن في خدّه * فلله رقّ ما رقما

وقال آخر

شكوت الى الحبيب انين قلبي * اذا جنّ الظلام فقال انّا
فقلت له اظنك غير راضٍ * بما كابدت فيه فقال انا
فقلت له اترضى ان قلبي * باثقال الغرام فقال انا
فقلت له اتحكم مثل هذا * على اهل الغرام فقال انّا

اعلم ان الاولى فعل امر من الانين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة
من إن الشرطية ولمّا فعل ماضٍ والرابعة انّ واسمها وقال آخر

جلّ الذي اطلع شمس الضحى * مشرقةً في جنح ليل بهيم

وقدّر الخال على خدّه * ذلك تقدير العزيز العليم ❀ بدر طلعنا وجهه جنّة * فمسّنا منه عذاب اليم
ينفر كالريم الا فانظروا * الى بخيل وهو عندي كريم ❀ لمّا انحنى جا وانثنى * يهزّ العشاق قدًّا قويم
عجبت من فرط دلال وقد * بدا الى المعوجّ والمستقيم ❀ داوى جنوني بالطبيب الهجر * وظنّي اني جاني عليم
مخصره واهٍ وارداف * ثقيلة والملحوظ منه سقيم

وقال آخر

صيّرني في كل وادٍ اهيم * من حظ قلبي منه هاء وميم ❀ فتًى يشبه ريم الفلا * يا طول شوقي من بخيل كريم
لم انس من وحشة ليلة * خلتني ارعى دجاها البهيم ❀ نظرت حتى بها نظرة * فقال حسبي اني سقيم
شوقًا لمن لست على حبّه * بصابر لكن قلبي كليم ❀ لا اسمع اللوم على حبّه * اعوذ بالله السميع العليم
في شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم ❀ وثابت الودّ ربيع الحشا * يأتي الى بقلب سليم

بادو منه تجنى بالحافظه * فيجتنى حلو الرضاب النعيم * يحكى كيف خشت ومن مهجتى * فلا تسأل عن تجاليم

والمعنى انى اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه ولحسابه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى اوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد * او انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان ابلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل بلادة الدب وفطنة القرد ومن عجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له ففى التبلد فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالدت عن عقل الرجال وتظهروا * اليك امورا است منها بجاهر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه بلادة الدب وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا ولم يفدنى ما انا فيه شئ قال بعضهم (اصبحت لا شغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسرة) وما مثل الامر وغاياته * انى لا دنيا ولا آخرة) فلا ارى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد ان فيه تسعة اعشار البركة لا يفى بهذا القدر من كثرة الظلم واما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيئا يسيرا ولا يعرف وجه ولا غرامة ولا شيئا من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة

والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب *
ومما روي انه اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس
بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط
عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وامر بجائزة *
ومن النوادر ان الاصمعي مر بحي من احياء العرب فوجد صبيا يلعب
مع الصبيان في الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين اباك
فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين ابيك فلم يجبه فقال له اين
ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء * ولما دخل
المأمون مصر وسار في قراها كان يبني له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه
والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم
يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية
صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين
يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المؤمنين
نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وانا
اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي
ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه
اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج
والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه
والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت امه
جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس
واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمأمون من فاخر الطعام
ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت
اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك
ورآها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه

وكشفت الاطباق فاذا هي ملآنة ذهبًا فاستحسن ذلك وامرها باعادته
الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا
هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت مال الناس عن مثل ذلك
فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقرنا فقال ان في بعض ما صنعته
لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردّي مالك عليك بارك الله لك فيه
فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت الى
الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي بيننا ولكنها من الارض ثم من عدلك
وانصافك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شئ كثير فامر به واخذه منها
واعطاها عدة ضياع واعطاها من قرنها طا النمل ماتي فدان بغير خراج
وارتحل متعجبًا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض
في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله
من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث * واول من احدث
بمصر مالا سوى الخراج احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر فانه كان من دهاة
الناس ابتدع بدعًا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحًا لجميع
الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا
وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال
الهلالي بالجديد * وقال سيدي ابو بكر الطرطوشي دخلت على
الافضل بن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فرد على السلام نحو ما سلمت ردًا جميلًا واكرمني اكرامًا جزيلًا وامرني بالدخول
الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلًا وابتدرت قائلًا ايها الملك
ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلًا شامخًا وانزلك منزلًا شريفًا باذخًا
وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد
فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد
الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان
انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك

انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتقوا الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير*
واعلم ايها الملك ان الله تعالى اعطى في الدنيا بجذافيرها سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وامانا للخائف* قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة اي مصر ثم انشد بقوله (الناس اكيس من يحمد وارجلا * حتى يروا آثار احسان)
وقوله (ولا لي في تلحيها سعيف) اي ولا ارى من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على تحميله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيحملون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمي بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن اوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اي قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل اي فعله مع غيره قال الشاعر (ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا) ومن الحكم من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشاعر

غدا توفى النفوس ما كسبت * وبحصد الزارعون ما زرعوا * ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئسما صنعوا
قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة
رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره فقالت لهم متى يركب
قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون
فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب ملكتم
فأسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم
هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها
وكبود جوعتموها واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم
اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا
الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رحمه الله
ثم ان الناظم نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره
من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص * (ويوم يجى العونه على الناس فى البلد * تخبيني فى الفرن ام وطيف) *
ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدم فى هذا البيت (يجى العونه) وهو اوان حفر
السواقى وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونه انما
تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا
اخذ قرية او كفرا من كفور الريف يزرع فيها او فى الكفر جانبا من الارض
والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه
زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له
على ذلك وكيلا ومحلا معينا لاخشابه وبهائمه ويقال لها دار الاوسية
ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحسب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل
الطين من الآبار او لحفر القنى او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا
يقال له الخفير فينادى العونه يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند
صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يأمرهم به كل يوم من غير اجرة الى
ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه

دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهي داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين * ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هي فرد بطل معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا اخراجها يأخذه في كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما في تعب وكدر وغرامة وسخرهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضر العونة (على الناس في البلد) اي بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر ان يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبيني) اي تخفيني عن اعين الناس حتى لا يراني احد ولا يسمع بي (في القرية) اي قريته الكائن في دارها المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) اصله وطفه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال الساري مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * ارى الدار قفرى والمزار بعيد

او من الطوفان او من اطواف الجلة التي تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل في لزق الجلة وعملها اطوافا فمن هذا كنوها ام وطيف * واما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة او معيكة وهي ام الناظم او زوجته او اخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا في شغل الملتزم ونحوه او انها اسم للجماعة المتعاونين على الشيء ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة اي تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة في الزريبة او الشونة ويعايرون بها الامرد ويقولون له انت

باخوريا بقرة عونشك منه اى مائة نفس اوانها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينًا وعان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينًا وعان اعانة * وكل له معنًى صحيحًا وقد يرد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى في الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لابد من الشروح اليها وخصوصًا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان او من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقي من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفاء خوفًا من اقاربه ان يتسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان في ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفًا فيه او انه اعتراه الكبر وصار شيخًا عاجزًا فاذا حضر وقت العونة اختفى في الفرن تستر على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال في المثل العدعن الشر وغني له وعين لا تنظر قلب لا يحزن فاتضح الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القمل والعترة والنمل والصيبان وعلاو اقاربه وما ناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع في تمني جملة من المآكل او رؤيتها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك او يملكه ولو نسيئًا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه افخر ماكول اهل الريف فقال

ص * (ولا هذ في من بعد هاده وهاده * سوى الكشك لما يستحي عزيف) *

ش قوله (ولا هذ في) اى هذ جبلي وقوتي مأخوذ من هذ الحائط واصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريًا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودي باللقا كرمًا * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى

افسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

وقيل هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام

وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه وسئل ابن عباس رضي الله عنهما ما الحكمة في ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضي الله عنه اذا جاء القضاء عمي البصر * او انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفي الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوة الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع في النفس ولو كانت شيئا يسيرا * وفي المثل هدية الاحباب على ورق السذاب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

او انه من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هذ يهذ هذا او هذم يهذم هذما على اللغتين من قولهم هذك الله هذا او هذمك هذما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحو قوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محوكة الطرفين اولها مثل آخرها اذا وقفت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هد حيلي واضعف قواي من بعد ما تقدم اولا وهو اكل العمل والصيبان والقل والعترة ونحوه والذي اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الفلاح والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرح في الغيط وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم (هم الفلاحة وكل ساقي نقصا * ما انفك من هم الوجبة * لما يجي مال السلطان).

فالفلاح اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان غلق مال السلطان وانما اذا بقي عليه شئ يسير فانه دائما في افتكار آناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه ياتي من القليل كثير بحسب نيته ووقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره

كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه
وحفظه من الآفات فإن الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب لما روي عن سيدنا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب بينا لوالدنا
فقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك إنما المتوكل من وضع حبة
بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزارع أقوى توكلاً من غيره إن لاحظ
ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الأرض أن
يصلي ركعتين ثم يقول اللهم أنا عبد ضعيف إليك سلمت هذا البذر فبارك لي
فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره
الإمام الزاهد قال بعضهم أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته
ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعي * ورجل أنفق ماله في معصية الله تعالى
أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولي
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * ورجل دفع ماله
لرجل بغير بينة ثم طالبه فأنكر يقول يا رب خلصني منه يقول الله له ألم آمرك
بالاستشهاد عليه * ورجل له امرأة سيئة الخلق يقول يا رب خلصني منها يقول الله
له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى * ولكن نحمد الله
الذي أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا أجدادنا فنحن على حد قول البهلول
رحمه الله تعالى

إذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتي ولبست مسحي * وسرت كسيرهم في كل وادي
فلا الأجناد تطلبني بمال * ولا الديوان يغلط في عدادي

فالفلاحة على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها * وقوله (سوى الكشك)
وهو في أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للأمراض قال الشاعر
الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن * الأصل ذر وبر * نعم الجدود ولكن
أي ولكن بئسما خلفوا ففيه اكتفاء وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح
ويغسل غسلاً جيداً ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين
ويغلظ الحب ويصير مصلوقاً ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في إناء

ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع
عليه اللبن وهكذا حتى يختمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير
على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حموضته ثم يقرص اقراصا
صغارا ويوضع فى الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه
صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * واما كشك
الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه
بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ
الطبع عن غير محرك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما
كان ابيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه
كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع
جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام
بحسب البلاد التى يعمل فيها فاهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة
وبالدجاج او شئ من اصناف الطيور المأكولة اخرى او يجعلونه بالارز فقط
ويصيرونه ثخينا واما اهل المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمين
واكله بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز
بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه
باللحم الضانى السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا
مع لحوم الضان والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ الحقير الدون
المذكور فى الشعر المتقدم فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون
عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة او قدرة او دست على النار
ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويوقدون عليه بالنار الى ان
يأخذ قوامه ويتغير لونه ويخرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج
ويقلون له بذلك ويغرفونه فى مترد او شوالى فخار ويفتون فيه خبز
الاذرة او الشعير ويأكل الشخص منهم مترد او مترد بن بالمضغ والهط
ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه

فصوص الفول فيلط منه الى ان يكتفي وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو
اعز مأكول عندهم وغالبهم يصنعونه في اعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الاول
من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم
الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتي بيانه * ونوع آخر
من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل بمجرد كشك من غير وضع شيء من التقالي به
يسمى عندهم نبرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة
لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش
للصبير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة
* وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن
التهاب معدته واذا توعك الجمل من الم الحر يسقى منه فيزول ما به ولهذا يستعمله
المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من
المرض المسمى الشيطملاء وله منافع اخرى مذكورة في كتب الطب * واما اهل
الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل
لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد
تصفيته لكن غالب مأكولهم الوكة والملوخية كما شاهدناه في بلادهم *
قيل اتى رجل من اهل الصعيد من نواحي قنا ووصل الى مصر ليشتري له
جارية للخدمة فرأى جارية تباع بأغلى ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها
وسأل اهلها تحسني الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من اي البلاد
انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى الطعام فاخر فان مأكول
اهل الصعيد في كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخيه فلا تحتاجون
الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى
اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع
الآخر المسمى بالنبرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وفرغ عزمه
وشم رائحته (الجواب القشروي) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التي
تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس

وقلع مركب بكر معلق * وحسك تتزوج عجوز نكستي * وقد ورد ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك * وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلم * ومن النظم قول الحريري

اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء آسا * اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

وايضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو أنه عند وضعه يكش وينضم من حرارتها * او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك * أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس أو ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا * واما تسمية النوع منه بهراش العجائز فالهراش في الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن في الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عند مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة اي مصر فانهن قسم من قبيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمي بهذا الاسم او انه من باب هرش المعدة * واما تسمية النوع الآخر نيرب فلعله من النيروب على وزن الدبلوب أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن ارنب حيوان يحل اكله فخشوا الالتباس في اللفظ فقالوا نيرب أو انه فعل في زمن النيروز فقالوا اولا نيروز فالتبس الامر في اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاي الذي في آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وفاقة طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فهذا اذا رآه قد قرب للاكل يحس ويتأسف وخصوصا (اذا استحق غرفه) اي لما ينتهي طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عنده في

وأصلها يستحق التعريف بأل التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهي نقرة معدّة للخراء فيها فعند مشاهدة لهذه الحالة وشمّ الرائحة يتهدّ حيله لأنّ همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس (في ديوانه)

الناس في الدنيا هو * والاجواد شاعت ثناها ** ما ضرّني غير بطني * واللي مدلّي حداها

(وقال بعضهم مواليا) يا دنية الشوم طول عمري وانا اشتد في هم دي البطن اللي ما تريح حد * اضال ابني واجي بعد العشا انمد اقوم في الصبح الاقي النوم ما بينسد

فمن هذا المرتفع الناظم لانه لا يقضي مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم بل من الادميين وخصوصا من اهالي كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على مترد او مترين من الكشك او البيسار او الفول المدمّس كما سياتي فلا لوم عليه في هد حيله (يحكى) انه ركب المأمون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطني فجس بطنه وقال له ما تشتكي يا عليان فقال اشتكي شيء فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسّه وراك فهو صالح لذاك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرّب دواك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المأمون حتى استلقى على قربوس سرجه * وبذكر هذا المعنى تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس في بعض الاسواق ينظر في امراض الناس فأتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوي الرفاهية وجلس بين يديه ومدّ يده اليه وقال له انظر ما بي فجس نبضه وقال له ما اكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل جبل او سارية فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بي من المرض بلطف فانا احس في بطني بضعف وقدّم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه حطبه فجس الطبيب يده وقال له ما الذي اكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له انا احكي لك وحق تربة ابو طله

وقريبة معيكه بن ابو جعران انا لما قمت من النوم لقيت فراقي ام معيكه حاطا بوشة بيسا كبيرة وكنت اسحب العيش ولهطت منها متردمتردين قل ثلاثة فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه متردمتردين قل ثلاثة قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال شمالين قل ثلاثة ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه متردمتردين قل ثلاثة ورأيت عندنا عرس في الحارة وعزموني وقد كلت عندهم طبيخ اطبيخ كثير كلت من ذاك الطعام متردمتردين قل ثلاثة ورأيت عند ناخيارا اصفر كلت كوم كومين قل ثلاثة وجيتك تنصرحالي فاني يا حسن في بطني ضعف * فقال له الطبيب خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قل ثلاثة ومن السنامكي قنطار قنطارين قل ثلاثة ومن السكر قنطار قنطارين قل ثلاثة فقال له انا سمعتك بتوصف لي حالك قبلي شي قليل من السنامكي والسكر والزبيب وبتوصف لي قناطير فقال له يا اخس الفلاحين وهل يصلح هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشرابا ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه في السوق من اجل هذا الفلاح فانجبه المقال عن معنى هذه الاحوال وانفضحت العبارات عن هذه الخرافات * ثم ان الناظم لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شيء اغلظ منه لانه مستعمل عند اهل الريف في غالب ما كولهم فقال

ص * (ولا شاقني الا المدمس ورحتو ❁ على من حتو جفنه بنص رغيف) *

ش قوله (ولا شاقني) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدي عمر بن الفارض (ولولاكم ما شاقني ذكر منزل) وشاق على وزن قاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى انه يقول ما كثر شوقي وزاد هيامي الى شيء من جميع المأكولات (الا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس في النار كما سيأتي ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان

الاصل واحدًا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة
الجيدة اخرى * فاما الحضرى وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن
فانهم يأخذون الفول النقى الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه
فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند
ما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون
فم القدر بشئ من الليف النظيف او اناء طاهر سدًّا محكمًا ويدمسونه
فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل حورة الفرن ونحوها
ويتعهدونه بالسقى كلما نشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته
ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه العجوة
مثلًا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه
واضاف اليه السمن البقرى او الزيت الطيب او قشطة اللبن واحضر الخبز
الابيض النظيف وربما كان مصحوبًا بالكراث الاخضر والليمون او الخل
فمن هذا يصير غذاءً جيدًا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصل له
قليل من الصعتر خصوصًا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به
عن غيره من الصباح الى المساء * واما النوع الريفى وهو مدمس اهل الريف
الذى اشتاقه الناظم فلا اراك الله مكروهًا ان كنت ما ذقت الخرا فكل منه
فانهم يأخذون الفول ان كان جيدًا او رديئًا على سائر اوصافه وربما
اخذته زوجة الفلاح من مذود البقرة او الثور ونحت ما عليه من آثار
التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة
من ماء البرك او من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وسدت فم البوشة بشاش
الكتان او بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى محماة الفرن الملآنة من الدمس
والجلة وربما وضعت ذلك عليها ايضًا وتسد عليها باب المحماة المذكورة
الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك
الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى
بالمترد وتملأ البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر

وتأتيه بخبز الأذرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكأنك تاكل من زبل الغنم مثلاً ومنهم من يأكله بالكراث او البصل وربما اضافوا عليه شيئاً من القمح او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئاً يسيراً من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيستف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى ان يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مذهبهم وصفة ماكولهم اراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) اصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة او جرياً على اللغة الريفية اي شاقني رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذهاعنده اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقري والريحة مشتقة من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذي تلعب به الصبيان او من الراح وهو من اسماء الخمر قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث ان مرت على الجيف

او من قولهم موالياً (ابشر قلت يا صاحبي في رايحة * من تحت حيطاوهيا ميتة جيه * وقاعده واقعة على الارض مرميه * وجايزة راقده فوق حيط مبنيه) وهي المعدية على حد قول بعضهم (المعديه رايحة * تنسحب بالخيط * يا ابو جبة * الا انا زليت)

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا انه وقع هنا فعلاً والمعنى علا وارتفع قدر (من جتو جفنه) او على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع قال الشاعر * علا زيدنا يوم اللقا راس زيدكم * بابيض ماضي الشفرتين يماني او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته اي حصلت له جفنة ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جرياً على اللغة الريفية كقولهم نص فضة او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعض هذا التدلل) فيكون يومه ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف

ولم تطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامى الطبع
فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل
من نفس الفول من غير خبز مثلا او من باب سد الجوع * والجفنة اناء كبير
معد لوضع الطعام * قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن
(كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفته كانت خابيه) وفى نسخة اخرى بالحاء
المهملة اى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام
الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة
الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام
كما ان الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيستر فى اجفانها
وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك *
قال الشاعر * اقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سار
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار) ومصدره جفن يجفن جفنة
ثم ان الناظم تمنى ماكولا آخر من غالب ماكول قريته اغلظ طعاما من المدمس فقال

من * (على من راى البيسا فى الجزن جالوه * ويدعس فلو كان بالقلع ضعيف) *

شـ قوله (على) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من راى) روية بصرية
(البيسا) وهو نوعان ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره فالريفى مركب
من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه
عند اهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول
المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء
فيخرجونها ويفركونها بالمفراك الى ان ياخذ ما فيها قوامه وينهرى الفول وتفوح
رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها
ماء اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلون له بشئ يسير من الشيرج او الزيت الحار
بالبصل ويغرفونه فى شالية او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير
الاذرة حتى يصير مثل الكرس وياكلونه بالبصل الاخضر او الناشف فياكل
الشخص منهم المترد الفت او المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء *

ويسحب بنوته وحدونه خلف قفاه ويسرح بالبهائم اوللضيم اوللحرث
وهذا غالب ماكولهم خصوصًا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير
الشخص منهم كانه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل هو
هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من
بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم
الا وجنته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع
زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعباط وفساء وشياط فهذا
حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح * واما النوع الحضرى
فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر او غيرها
من المدن التى تجلب اليها الملوخية او تزرع فيها اذا اشتهى فعلها ففعلها اصناف
منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها
او ربما نشفها فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة او خادم فيضعها
فى دست نحاس مبيض او طنجرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء
العذب الزلال الرائق ويوقد عليها بالحطب الرومى حتى تأخذ قوامها فى
الاستواء ثم تفركها فركًا نظيفًا ثم تقلى لها بالثوم الشامى او البلدى ممزوجًا
بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن الالية وتلقى عليها شيئًا من البهارات كالفلفل
وما اشبهه وشيئًا من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيئًا يسيرًا
من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول
ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان
الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب
ونوع آخر وهو انها اى الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضرة بنت يومها وتخرط
خرطًا جيدًا وبعض ابناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة
وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة
ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة فى الجسد * ونوع آخر
وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعًا واعظم ماكولًا وهو اخذ الملوخية

وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والأرز
مع كثرة الأدهان أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلونه
كثيرا حتى أن الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية في ابتداء أمرها جملة
من الدراهم ويدعوا أعز أصحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الأعياد
ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان وأطعمني الليلة ملوخية الجديد
بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء
او الشمر فيفتون فيها حتى تتشرب تلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم
السمينة وهذا من جودة رأيهم وزكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه
كما يقال (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) ويقرب من هذا المعنى قول ابن عروس في ديوانه

اول زمانك يعزوك * غالي وقع في يد غالي * وان دبت باشا ترموك * والي جري لك جري لي

فان الشيء في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال * ونوع آخر
يسمى بوراني وهو أنه تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون
بها كما مر ولهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به أنه يستحب
الأكل من الشيء عند ابتدائه أي ابتداء طلوعه مثل الخضراوات وغيرها من الفواكه
فان نفعه في ابتدائه أكثر من نفعه في انتهائه وأهل مصر على هذا القدم
يسعون في أخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثون به في انتهائه جزاهم الله خيرا
عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم وأعاذنا الله من
الريف وجهله وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية
الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما
معنى ذلك (الجواب الفشروي) على وجهين الأول ان الذي اخترع البيسار
في الأصل كان أبوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة
فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيئا من تلك الملوخية
وأتى به الى زوجته فقالت ما تريد بهذا فقال لها قصدي أصنع منه طعاما
ثم أخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير
والقى في البوشة شيئا من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة

فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه فى مترد وجلس يأكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشئ الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط ابيه فتضارب هو واياه وحلف ابوه انه لا يمكث فى البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادى ابى سار ابى سار فحذفوا الالف من ابى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار * وافادنى بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله بيسار اى سار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثانى انه مركب من البسار ومن البيسار من قولهم فى معنى ذلك (سعيده كامزاره * واتحب طبيخ البيسار) * واما الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها فى ديوانه بقوله فى هذا المعنى (ابو قردان زرع فدان ملوخيا وباذنجان) ان هذا الاسم نبات اخضر نضر واصله يا ملوخى فاخروا حرف النداء وابو قردان اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصلح للطبخ ملخ منه شيئا وتركه فى مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده واخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخى فلم يجبه بشئ فاتى بحرف النداء وقبل ان يقول ملوخى اتاه ولده واعلمه بأخذه فادخل على قوله ملوخى ياء وادغمت الياء فى الياء فصار ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة الطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا جليلا * واما ضى الحاكم بامر الله منها فقيل بسبب معاوية رضى الله عنه لانها كانت احب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها * وقوله (فى الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيئا بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية * وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون *

مأخوذ من جزم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح او الفول اوما القى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الخوص * وقوله (جالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع للبيسا اى على من رأى البيسا جا ماليه وهو في الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج او وهو يحرث مثلا لانه يكون في هذه الحالة في غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) اى يأكل بحرقة وعجلة من غير تأنى في المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفي المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك في اكلتك * (مشلة هبالية) وهى ان الناظم نسب المجيء للبيسا وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب الفشرى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اى جاء به رجل حامله حتى اوصله كما يقال جلعت السفينة مثلا اى جاء بها الملاح وكما تقول جاء لى مترد لبن وطاجن مش او صحن عدس او كشك مثلا فعلى هذا لا اشكال في كلام الناظم وقوله (ولوكان) اى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم مريض (القلنج ضعيف) واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم والقولنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى في الاعضاء فتكتب الانسان عند هيجانها وتمنعه النوم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجها ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاؤه متساوية وقدر الجميع سكر ابيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع

ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتليا بمرض القولنج ولو كان في اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة • فان قيل لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه فالجواب القشروى انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة في الشئ والبيسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتمتلئ البطن ارياحا ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر او يموت في الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من القوق او القويقة وهي طائر قدر الحمامة كبير الراس ويقال لها البومة تأوى الى الخراب وفي المثل اسمع البوم يؤذيك الخراب وقد يشبه الشيب بياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

آيا بومة قد عششت فوق هامتي * على الراس مني حين طار غرابها
رايت ذهاب العمر مني فزرتني * وماواك من كل الديار خرابها

وبذكر البومة التي تأوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكى الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بومة يصيح على بومة فقال للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك اندرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها

ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والنظر اليك في الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو اشغفك حبي واشتياقى * فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها ابشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه في غفلة عن الرعية وانهم في ظلم وبليه وانه نصحه وارشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل في الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته * ثم ان الناظم اشار الى ما كول آخر يصنع في الريف فقال وغيره

ص (على من قشع جفنه بليله ملانه * ولو كانت بلا قلقاس ياذنديف)

ش قوله (على من قشع) اى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك اى رأيتك وقشعت المحل العلانى اى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب اى مال وانكشف الى محل آخر * ومن العجائب ان شخصا سمع هذه اللفظة من طائر في بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج في بستان ويأكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح فخرج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما اعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله * وقد سمعت وانا متوجه الى الحج في البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا في غيطة يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازل وسمعه كل من في السفينة وذكر الحلبى في السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وامن بك فؤادى * ومن العجائب انه اهدى لبعض الملوك ابن له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وفيكم

ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله
(جفنه) تقدم معناها (بلبله) اسم للقمح المصلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا
يباع ايضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل
طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين في تفسير سورة الكهف
واما البليلة المذكورة في النظم فان اهل الريف يصنعونها طعاما وهو
انهم يضعون القمح في البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص
ويغمرونه بالماء ويجعلونه في النار الى ان يستوى فياخذونه ويأكلونه
بخبز الاذرة او الشعير وياكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع
منه الشخص بالكف ويبلع ويتقلونه بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر
منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء في حال صلقها
او لرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهائف المرخى الاكمام البارد
القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة
ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (فلانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة
التي هي الجفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له بها انما مراده شئ يسد الجوعة
يقال له طعام والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذ ما يؤكل
في هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا في ابتداء
ظهوره اذا اكل باللحم الضانى واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو
ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة في الماكل وتذهب حرارته
ويعتدل طبعه واجوده الروس الاتانى وكذلك الصوابع وهي الرفيعة
التي تشبه اصابع الآدمي لان ذلك كله سريع الاستواء وارداه الاحمر
لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا اكل القلقاس مشويا منع آلام الكبد
وسكن ضربان البواسير واكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة)
اربع قافات تستعمل في فصل الشتاء وهي القلقاس والقشطة والقصب
والقسطل وسمى قلقاسا الاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس
اى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين

ماض واقرفأن بعضهم (فان سألوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا)
(فاشدح الحرى) قيل لما ادعى فرعون الالوهية لامه وقالوا له الاله لايبول
ولايتغوط فاصطنع الموز وصار يأكله فصار لايتغوط الانادرا وما ذاك
الا انه اخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسة ويملأها
سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس
فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى اوراقه قريبة الشبه من
ورق القلقاس في العرض الا انه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة
وقوله (يادنديف) اصله يادندوف على وزن يابعبوص قلبت الواو ياء
لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندف من غير فائدة يقال فلان
يدندف اى فلا فائدة فى ذهابه وايابه ولا بركة فى سعيه وكسبه او انه علم
على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معهود من اسمائهم وهو مشتق من الدندفة
او من احمد الدنف او من ندف القطن * ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآنة من اى طعام كان فقال

ص * (على من جتو قصعه وهو بحرت * ويقعد بجرف للحنك تجريف) *

ش قوله (على من جتو) اصله جاءته (قصعه) اى جاءه بها واحد من الناس
لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب
مدور معد للطعام وغيره واما الذى على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت
قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره اى ينحني ويأكل فيكون
من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه او من قصع القمل والبراغيث
وقوله (وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم او جريا على لغة الريف
وقوله (بحرت) على وزن ينضرط فيها بمعنى اى فى وقت الحرث من اى طعام كان
من عدس او بيسار او غير ذلك (ويقعد) فعل جيعان تعبان مما قاسا من مشقة
الحرث وغيره (ويجرف) على وزن يحرف او يغرف اى يكون كفه حكم المجرفة التى
يجرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التحكيك او التدكيك ويطلق
على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفك ايضا بما فيهما من فم او فتح
قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى (فهي يحدث عن سرى فما نطقت * سرائر القلب الا من حديث فمي)

وقوله (تجريف) أصله بالألف لانه مصدر وسكن لاجل الروى اى يجرف للحنك الذى هو فيه تجريفاً زائداً متتابعاً بسرعة وعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره * ثم ان الناظم اشتهى مأكولاً آخر خارجاً عن الطعام المطبوخ من مأكول اهل الريف فقال

ص * (على من دعس بالعزم فى المش بالبصل ❀ ولو كان بالكرات كان ضريف) *

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد اى قوة زائدة (فى المش) اى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب مأكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضاً فيأتى الشخص منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر او الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء وينشرح الغيط اويحرث اويدرس والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيراً من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصاً (بالبصل) المخروط فانه الذى اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابو شوشه فيكون اقوى فى جمع الارياح خصوصاً اذا كان فى دورة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها * والمش على اقسام مش حصير وتقدم معناه ومش بخبيرة وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال المش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلاً وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جاك المشش) اى ابلاك الله به * والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شرباً والثانى ينفع من السدد ويقوى المعدة والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير * او انه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض يمشى عليها

اى يسيح فيها * والبصل حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا انه يصدع
الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان
وتفسد العقل * واما منافعه فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه
ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن
بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك
واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس
والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان
بالكراث كان ضريف) اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا انه مثل البصل
فى ظلمة البصر وتوليد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير
ويصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل
المسجد ان لم تزل رائحته * (فائدة) رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول
نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكراث * واما بصل العنصل
فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئها مات لوقته
ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها
على باب جحره فاذا رآها الذئب او شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له
فسبحان من الهم هذه الحكمة * وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة
لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة
بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى ارياحا فانه اعظم
شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد ثم ان الناظم اشتهى شيأ من الادامات
فقال ص * (على من شرب مترد ملآن مطنبر * من اللبن الحامض برغف قيف) *
ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل
الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم
لا ما وضعه الانسان فى فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة
بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصغر من الشالية
وهو غالبا اوانى الريافة خصوصا فى اعراسهم واصله مركب من فعلين مات وردّ

لانه لما عُمل في ابتدائه وكثر عملوا البدله فقالوا الوارد بعد ما مات ثم حذفوا الالف
وجعلوها علماً وقالوا مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى
داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه
وقيل سمي بهذا الاسم لتردد للخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب
تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة تسمى ماتريد التي ينسب
اليها الشيخ الماتريدي نفعنا الله به وقوله (ملآن) اى غير ناقص حتى يكون فيه
القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم
يقنع برؤيته فتمنى ان يكون ملآناً وقوله (مطنبر) على وزن مزبر او مطرطر
يقال كبش مزبر وزبيب مطرطر اى عالى عن حوافه لشدة حموضته ويبسه
يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ كما يقال ادم يطنبر
بطنك مثلاً اى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازي المعمول بالحبر الاصفر
والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ
لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيراً عالياً مطنبراً كما يعلو اللبن
الحامض عن حوافي المترد وهو مشتق من الطنبرة وهي التحنيك بلا ورك الصغا
قال الشاعر اذ كنت لابى وطنبعكري * طنبر مرقة وا عنبر المشنوف
واصل هذا الكلام ان شخصا من الفساق اخذ ولدا واراد ان يعلك له
فرلق الصار فذكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرني منه
غير هذا المطلع او انه من الطنبور على وزن العصفور قال الشاعر
ايا عصفورة البستان كم ذا تبتشي * بايلك ورجلك ما في الارض شيء
وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب
فلاجل هذا قال اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا
كان فى شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته
معتدلة فانه بارد رطب واما اذا خرج عن الحد فى الحموضة فيضر وكلام
الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتى
يرف رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء

وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكى رف الجناح ويرف على وزن يسف او يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت او من الرفرافة التى يعملونها اهل الريف اواخر شعبان من الدجاج او من الاوز وغير ذلك * ثم ان الناظم تمنى شيئا آخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح او من البحار المالحة ونحوها فقال

ص * (على من جتو ام الخلول لدارو * ويعزم على اهل البلد ويضيف) *

ش قوله (على من جتو) اى بجاءته بواسطة وحضرت اليه ام الخلول وهى حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او جوانب البحار المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المنى او المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القوقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون ويأكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان يأكل منه ولا يراه لان رؤيته ترث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم يعنى انه لا يتعب فى تحصيلها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها فى داره اتى بها على سبيل الهدية او الصدقة * وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذى يشبه عنده الكلا ويضيفهم فى داره اى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اى عزم فى نيته وجزم فى يقينه انه يأخذه ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان يأتى الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو متعد او لازم له

لازم العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية اولا على ان هذا الشخص لابد من حضوره وانه ينضاف اليه اى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدر يضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة قال الشاعر كانى تنوين وانت اضافة * فحيث ترانى لا تحل مكانيا فانجم المعنى الغشر وحصل البحث المهم * ثم ان الناظم انتقل من عمه الى شئ آخر يقرب في الخيال من ام الحلو فقال

ص * (انا ان شفت عندى يوم طاجن مشكشك * تهذا كريوم السبوط والتقسيف) *

ش قوله (انا) يعنى كونه شادوف لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى او من الشيافة بمعنى رأيت (عندى يوم) فى المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط او الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء من فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا اى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طأ انت جنا ومثله طافية اى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غيرها تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خذ فارغ واملاه ماء * ومن النظم قولى فى اسم شحاته (سلبا لناس دلالا * والف من بعد شرح

قلت بدرى ته كمالا * ثم معناك بشرح) ولم ار فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم احمد وراكعة فى ظل باب تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ ياكلونه نيه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيئا يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيئا من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدلا الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم

كانه خاروف شوى ولهذا قال (فهذاك) بالذال المعجمة جريا على اللغة الريفية
كقول بعضهم في هذا المعنى مواليا * لك وردتين على الخدين يا هاذاك
واللي بلاني بعشقك آه لو ابلاك * وحق من ستبحت لو في السما الاك * او شا كل يوم اخين ما اسلاك
وقوله (يوم) اى هذا اليوم الذى يأتيني فيه الطاجن المشكشك هو يوم (البسط)
ضد القبض اى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحصول
المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور اهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الخ
قال الشاعر ان من اطيب اوقاتى * حين اكون مبسوطا بذاتى
(والتقصيف) عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصيف
بتشديد الصاد المهملة اى مسرور وفرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير
وسكين راخى اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا
او ارخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكم بمعنى ان ما هناك احد
فى الكم اشلب منه ولا اعيق او انه مشتق من قصف العود وهو كسره
او من قولهم قصفه تجيك او فلان جو قصفه مثلا * (مسئلة هبالية) *
لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ
وما مناسبته بجلود الفسيخ (الجواب الغشروى) ان يقال ان هذا الطعام لما كان
يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين
مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك او انه ماخوذ من شكشكة المرأة بعود
او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله او من قولهم شكشكه بالابرة او انه
من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه او لما طبخه شمه
فقال ما شم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته فى الحموضة
كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك
بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فانجر المقال عن هذا الهبال ثم ان الناظم
انتهى شيئا اخر من الخضر او ايطبخ ويؤكل عندنا او انه وهو اطيب ما كول اهل الريف فقال
ص * (متى انضر للخبيز فى الدار عندنا * واندف منها بالعويش نديف)
ش قوله (متى) اى اجزم وانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية

وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اي انظر بعيني لا باذني ولا بفمي لان النظر
خاص بالعين قال الشاعر (عيني نظرت وآفتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين)
(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز
وخبازين وخبازات وهكذا من هذه الجموع الفشروية وثانيه خبيزة
وهي المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سياتي في قوله واندف منها
وهي مشتقة من الخبز لان ورقها في التدوير يشبه اقراص الخبز وهي
تنبت في اطراف الزرع من كثرة الامطار وفي الاراضي المنخفضة وغيرها
واجودها ما كان ساقه طويلاً وورقه عريضاً شديد الخضرة وهو النابت
في جوانب الزرع او النابت بالبزر واردأها القصيرة الساق المائل
ورقها الى الزرقة وهي البعيدة عن الزرع والماء وهي التي تطلع وتنبت في
المقابر وفي منخفض الارض المسبخة وهي باردة رطبة تلين الطبيعة
وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهي قريبة في اللطف من طعام الملوخية
اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف يأخذون ورقها ويخرطونه
مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضراء ويقلون لها بالبصل
والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهي غالب طعامهم مدة
اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيئاً ما عدا البصل والشيرج وشيء يسير من
الكزبرة كما تقدم فهي غالب مأكولهم في زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر
يطبخونها بالاوز والدجاج وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضاني والدجاج
ويضيفون عليها الادهان والسمن البقري والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل
الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم واما اهل الريف
لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها
بالدجاج لا يضيفون لها سمناً ولا دسماً الا الارز والشيرج لا غيره وعلى
كل حال فهي ارق من طعام الرياقة المتقدم ذكره والذ مأكولها في بلاد المدن
لانهم يكلفونها فيصير لها في المأكل لذة ولها خفة في الهضم ومنفعة عظيمة
ولو وافق الطعام كله (كلف مجد) * قيل لما نزل السلطان قايتباي بدمياط

واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهو مسجد على سمة مساجد المملوك
فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان
ووضعهما بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره الذ طعاما منهما
فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له
هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فأهداها له فلما اتى بها
الى مصر امرها ان تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد
لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى
الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد
والخلاف وللحطب من العود القمارى وحشاهما بحارات كثيرة مع المسك
والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب ثم هذا حصل هنا فتعجب الملك
رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذاقنا
ولهذا قال عندنا اى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل ان تاكل منه العيال ويسروا
بوجوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره
وهذه صفة دور المدن واما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالطين
وربما يكون فيها الوحل والجلة ايضا او لان الشخص يدور ويرجع اليها
او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الارياف بعد الغروب
يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره فى ظهره وتدور
الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا اجلسه مكانه
فيتعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله
(واندف منها) اى من الخبيز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه
فصار يشبه نداف القطن اذا اخذه بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن
هذا يقال فلان الليلة ندف مترددين من العدس او من البيسار اى اكلهما
بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته
مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به
قيام المعيشة كما قال الشاعر لا تركنن الى الشباب الفاره * واذكر عظاما كن يوما ناخره

وَاِذَا رَأَيْتَ زَخَارِفَ الدُّنْيَا فَقُلْ * لَبَّيْكَ اِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَه) ولذلك قال الامام الشافعي

رضي الله عنه فيما حكاه الذهبي في ميزانه والدميري في حياة حيوانه

لَيْتَ الكِلَابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً * وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مِمَّنْ نَرَى اَحَدَا

اِنَّ الكِلَابَ لَتَهْدَى فِي مَرَابِضِهَا * وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ اَبَدَا

فَانْجُ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا * تَبْقَى سَعِيدًا اِذَا مَا عِشْتَ مُنْفَرِدَا

وقال آخر يَكْفِي الَّذِينَ تَقَدَّمُوا شَرَفًا عَلَى * مَنْ بَعْدَهُمْ يَمْشِي عَلَى الْغَبْرَاءِ

اِنِّي لَاَحْيَى اِذَا اُمِرُّ بِذِكْرِهِمْ * وَاَمُوتُ مِنْ نَظَرِي اِلَى الْاَحْيَاءِ

اَوْ اَنَّهُ مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العش * وَاَمَّا تَسْمِيَتُهُ خُبْزًا فهو من التخبيز وهو التصنيع بالتار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اي صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير هنا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (تديف) على وزن نتيف وهو الذي ينتف ذقنه لاجل الخنات او كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يعلى في الدبر بحرقة كعلى الدود في العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشعلة * يعلو كعلو كبار الدود في العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعراني نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ البائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله ندفا فصغر لاجل الروي اي انه في الخبز ندفا وكبرا حتى اشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم او بقية الليلة * ثم انتقل من الخبز الى الباقلا الخضر فقال ص * (مَتَى اَنْضَرُ الْفُولَ الْمُشَيْوَى بِعَزْنَنَا * وَلَقْوَ بِقِشْرُو وَالْعُرُوقِ لَفِيفِ) *

ش قوله (متى انضر) بعينى كما تقدم في البيت الذي قبله (الفول) الاخضر اذا اتى به من الغيط ووضع في الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشيوي) تصغير مشوي على وزن عطيوي او حربوي وخربوي فيما يقع التصغير والوزن (بعزننا) لا بعزن غيرنا (ولقو) اصله والقه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللقف وهو حشو الفم وسعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش في الماكول ولهذا قال (بقشرو) اي اكله من غير نزع قشره من فرحتي به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر اي والقه عروقه ايضا (لفيف) اي لقافا ائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفي منه

ولا انظر الى خشونته بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله غيري من انه يخرجه من القرن ويصنع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويأكل فانا لشدة اشتياقي اليه وكثرة الجوع والقل والعترة القه بجميع ما عليه *(فائدة) الفول الاخضر قبل شيه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر وانفع اكله حارًا او مشويًا نزعه من قشوره جميعها واكله بالسكر وفي بعض كتب الطب من اكل الباقلا اربعين يومًا واصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يومًا لم تحبل ابدًا وقد عد من موانع الحمل * ثم انه اشتهى شيئًا مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص *(متى انصر ان طحن الطحين وجبتو * ويبطط لى منو فطير رهيف)*

ش قوله (متى انصر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذي وضعته في الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) اي جبتو بعد ان اعطيت الطحان اجرته الى منزلي (ويبطط) على وزن وضرط وربط فيها بقية المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير ريفي في الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدًا او من البطبطة او من البطة التي يوضع فيها السمن ونحوه او هو من الملفظة لا كلام (مسئلة هبالية) * لاي شيء سمي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب القشري) انه كان اولًا قمحًا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشيء بما طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولًا معروفًا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينًا وكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتًا وطحنته الارض ومضى امره الى ان يبعث فاتجه الجواب عن هذه الابحاث القشرية وفي بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار او الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل

حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك
ان الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطين وجبشو
وبطط اى عجن بالماء او بشئ من اللبن ويأخذ القطعة العجين ويسعها على
خرقة او ردة النخال او قرص جلة مثلا ويخبطها بالكف حتى ترق ويأخذ غيرها
فيتحصل لى (منو) اى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون
به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير اى طرى رقيق
وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله فيفهم من الكلام
انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن او فى الجورة التى يصنعونها فى الريف ويطوون
عليها الزبل وفى بعض الاحيان الجلة ايضا وياكل منه حتى اكتفى ثم ان الناظم انتهى من الكلام

فقال ص * (ايا مطيب الجلبان والعدس اذ استوى * وترشه بعسل حلو وبيت رغيف)
ش قوله (ايا مطيب) فى الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجذبان او لعله مشتق
من جلبة النبوت او ان الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلبا او من جلبة الصد
والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون البازلية
مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف ويأكلونه مثل الفول
الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا
وتاكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى ويا اطيب العدس معه
والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذ استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف
الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك
اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب * وفى زهر الاكمام
ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله قسوة قلوب قومه فاوحى الله
اليه ان مرهم بأكل العدس فانه يرقق قلوبهم * وفى الحديث عليكم بالعدس
فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا * والاكثار
من اكله يخاف منه الضرر * وفى القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب
ويولد الاخلاط السوداوية * وفى كتب بعض الاطباء بعد له استلق الاخضر
وطبعا على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته

واهل الريف يضعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى محماة الفرن او فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمزالك ويقلون له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار * واما اهل المدن فانهم يطبخونه طبخاً جيداً ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص والحرارات خصوصاً ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا يؤتى به فى راس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشاً وهو الذ واطيب * وبلاد البحر يطبخونه بالارز تخيناً يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغيلة بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جداً يشبه البسلة فى ثقلها وربما اكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضاً بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصاً البسلة فانها اشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الياء فى اسمها وفى وصفين منها فقال * بسلة باردة يابسة * ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال * تعشى نفسى تنسى * فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تنسى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء ايضاً فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال فى الحيك شرش مثلاً وهو من الالفاظ التى تقرأ طرداً وعكساً اولها مثل آخرها وقوله (حولو) اى حول العدس بعد وضعه مغرفاً فى الثرد او الشالية ويكون البصل موضوعاً حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيارة واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا اعتصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (ومية رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما يشتى عليه من الاكل او ربما يعزم

على احد بالاكل مثلاً او يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها
المحتمل للأكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهي الحزمة التي
تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد *
ثم ان الناظم استطرد شيأ آخر واشتهى حصوله فقال

ص * (يا محسن الخبز المقمر على الندى * وفوقو من السرسوب حلب نضيف) *

ش قوله (يا) ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ما كول (الخبز)
الظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور
عند نزول الندى وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول
الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض اى يبلها بللاً خفيفا وفيه منافع كثيرة
للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى
ويقال فلان ما عنده ندى مثلاً والندى قرين الجود قال بعضهم
يمدح السلطان زيداً والى مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشتما دهراً وقدمتما احيانا
فقالا نعم متنا زماناً وعندما * اتى زيد والى كعبة الله احيانا

قال بعضهم واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم
لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس
وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية
ويشهد لهذا القول ان البحر بين ذكر وان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر
وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة او غيرها ووضعت
فى الحمام متى احست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس
من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضا
ان الندى ليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات
ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة
انتهى * وكان من جملة محاظى الرشيد جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم
اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لم تذكرى هذا الخادم قط

فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالاً للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها في مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى * فالفطور في هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفي كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن * ورأيت في بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شيء يشبه الشعر فاذا افطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع من غيره (و) خصوصاً اذا كان (فوقو) اي فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه في الاناء (من الشرشوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شيء يسير من اللبن الذي ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا ياخذونه ويضعونه في طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيئاً من الملح لاصلاحه ومكنه لحاجتهم فاذا ارادوا الشرشوب يضعون اللبن في الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذي يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له شرشوب ويفتون فيه الخبز المقمر المجوة وياكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضاً في طاجن ويضعونه في الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة وياكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء واجودها ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا اخلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة في الباه وسمي اللباء لباء لانه مشتق من اللب او من اللبوة او من قولهم (لبيك واحد بفرقه) مثلا او من لب الجدي الصغير امه اذا اراد شربها قال الشاعر

فانت كالجدي لما ان يلب وكالسجر المطوق اسراعاً الى اللبن

قوله (حلب) اي قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلا والمحلبة او انه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسماً لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن الشرشوب المحلوب حلباً (نضيف) اصله نظيفاً ذكره بالضاد المعجمة جرياً على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اي ليس فيه شيء

يُدنّسه من اثر جلة او غبار يلحقه ونحو ذلك كما انهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا ادرّة البقرة او الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعًا فطلب الناظم ان يكون هذا المشروب نظيفًا خاليًا من هذه الامور وان كان معفوًا عنها ثم بيّن كيفية الاكل منه فقال

ص (واقعد على ركبة ونصّ وشمّر * عن الكفّ بايديّما اخاف مخيف)

ش قوله (واقعد) متأهبًا للاكل من هذا الخبز بالمشروب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبة ونصّ) وهي قعدة القوى الشديد الذي يريد دائمًا الاكل الكثير والذي عنده شره في الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينًا ولا يسارًا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدًّا عنيفًا كما اتفق ان شخصًا قال لآخر وهما في وليمة يأكلان يا فلان اقدّم لك هذا الصحن فقال انا ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض في مكة كام الكورجه فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة في بعض الكتب وقوله (وشمّر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اي كفّه يقال شمّر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اي اراد عطفه يبول فيها والتشمير المعنوي هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمّر فانك ماضي العزم شمّير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسّي وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذي تصنعه اولاد الارياف من الصوف ويضعونه في اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب اولاد الطبالة يجعلونه حكم اعقصة النساء ويجعلون له عقدًا صغارًا في رؤس الهداديب ويزينوه بها وقوله (بايدي) اصلها بيدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيري يشمر لي بل انا اتعاطى تشميره بنفسي لاجل خلو يدي عن شيء يمنعها من تناول الطعام

وَهٰذا يدُلّ على أنّ كمّه كان طويلاً حتى احتاج لتشميره أو أنّ مراده بالتشمير
رفع يده وخفضها في حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لأحد ولهذا قال
(ما اخاف) اى واكل من هذا الترسوب ما اخاف من احد يأتيني او يمنعني عنه
(مخيف) اصله مخيفًا اى مخوفًا يمنعني عن شهوتي بل لا ابالي اذا حصل لي
وظفرت به من احد ابدًا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفي واشبع منه
الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها * ثم انه اشتاق لمأكول آخر الذ ماكول لأهل بلده
فقال ص * (على من قشع روحو حذا الرز باللبن ۞ ويقطع ويلع من ثقيل وخفيف) *
ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر بروحه اى ذاته لا ذات غيره
(حذا الرز باللبن) اى حذاء بالذال المعجمة اى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه
والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب ماكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة
الارز ايضًا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذه واطيبه
اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة
الا انه بالسمن اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرًا كان جيدًا وكلما
قل ارزه كان اجود وارداه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله اهل
الارياف فانهم يجعلونه ثخينًا جدًا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص
من الطين اليابس * واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص
من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرًا من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه
بالملاعق فيصير حلوًا لذيذًا وهذا النوع اجود طعامه واطيبه * وطبيخ اللبن
على كل حال اطيب من العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الى بكزبره * والعدس والبيسار يجيبو النوادر

(واما النوع الذي تمناه الناظم فهو الذي تقدم ذكره وهو الثخين الذي
يشبه الطين في يبسه لانه المشهور عنده وفي بلاده * واما بلاد البحر
فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا انهم في الغالب يصنعون
عليه شيأ من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذي في بلده ولهذا قال
(ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اى يقطع بكفه وقوله (ويلع)

من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل
جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء فى جوفها
والقطع هو فصل الشئ من الشئ وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة
بمعنى انه هجره او بعد عنه وقوله (من ثقيل) اى من قطع وافية عن اللقمة
المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها * كما
ذكرت ذلك فى خطبة كنت الفتها سابقا فى المأكولات وهى هذه

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذى وفق بين الفرج والضيق وامر بالحج
الى بيته العتيق وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق * احمده حمد من عنده
من الجوع دسيسه واغاثه الله بقصعة من البسيسه بالفطير الرقيق فملا منها
بطنه واحسن بالله ظنه ونام على راحة من الله وتوفيق واشكره شكر عبد
تقلع عن الحوامض والمش العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تنجى قائلها من الضيق واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا * ايها الناس
مالى اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون
وعن البقلاوة فى الصوانى معرضون وعن الاوز السمين والدجاج المحمر
لاهون فما هذا يا اخوانى الا حال المفلسون وافعال الفقراء المقلون
فجدوا رحمكم الله فى تحصيل الدراهم لتغتنموا الاكل النفيسه والمطاعم اللذيذه
وقد قال الامام على رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم
فى اللحم فمن انعم الله عليه فليشكر ومن احرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن
فانه طعام جيد حسن وصباحه ابرك الصباح خصوصا عند الفلاح اذا
جاء وحلب بقرته واتت زوجته بالدست وعلقته وصبت فيه اللبن وقادت
عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفى الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير
وقعد وثنى ركبته * فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى ولا تكل الا بيا
بانيك ولا نرى الا ايدى تقطع واحنكه تبلع وزراديم تفرقع وحلوق تفرقع

والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل تزيد انتفاخا وهي تقول
جل ربنا وتعالى فاذا سبقك اخوك بلقمة فبادر بجدع رقبته بلكمة
واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظة ودعوا اكل المغلظة كالعدس والبيسار
والمدمس والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول
فانها ترث الارياح وليس في اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخرة
كاللحم الضاني فانه سيد طعام الدنيا والاخرة وعليكم بالشراب البارد
ففيه حديث وارد واحمدوا الله انها الاغنياء المتنعمون واصبروا ايها
الفقراء المقلون نسأل الله ان يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخرة ويرزقنا
واياكم الراحة في الدنيا والاخرة وان يجعلنا واياكم من الآكلين المتنعمين
وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم ولجميع
المسلمين آمين * فاستغفروه يستغفر لكم يا فوز المستغفرين * روى
عن مهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن فليل الافراح انه قال كان رجل
من العرب قام من منامه ولذيذ احلامه واكل في فطوره فصيلا ابن عامين
وصبر الى ضحوة النهار فاكل اربعين دجاجة محشية باللحم الضاني فحمرة
بالسمن البقري وشرب زقين من خمر ونام في الشمس فمات ولقي الله سبحانه
سكران ريان * الحمد لله مزيل الحزن ومزين الارز باللبن واشهد
ان اللحم الضاني سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا ان القشطة لا تترك
وان المهلبية احسن وابرك فهنيئا لاكلكم وشربكم واعلموا انكم غدا بين يدي
الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون * اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله تعالى
في القرآن التين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين
من العشرة الاطعمة المفتخرة الماوردية والمهلبية والشعيرية بالزغاليل المربية
والارز المفلفل باللحم الضاني المحشي المحمر والكنافة المسلة بالسمن والعسل النحل
واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والقرع المحشي باللحم والبصل
والبقلاوة المحشوة وخرفان الغنم المعلوفة والقرمزية والبحي السمين متعنا الله واياكم بهم اجمعين *

اللهم وادم النصر والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر النبات ابن القنانى من اصله القصب الملوانى اللهم وأيد بارماح القصب وبسبائط الرطب وبعناقيد العنب وأجمعنا عليه من اول النهار وفى وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره فى الدنيا ننتفع به يارب العالمين اللهم واهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبسار * عباد الله من اراد خلع القبول ان تفاض عليه فلياكل الموز بالسكر بين والدين وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تضاربوا ولا تخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا * ان الله يامركم باكل الحلال مما تشتهى العقول وينهاكم عن اكل الحرام ولو من اطيب الماكول والبغلة ترفصكم لعلكم تنفلبون او تندقلجون وقوله (وخفيف) اى وباكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التهاذل ولا يغتر بقول القائل كلوا اكلة من عاش عاش بخيره * ومن تاليفى انه وهو بطين فينبغى للانسان ان يجعل البطن ثلاثة اثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط فى الاكل ولا يفرط فى الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما احسن ما جمعه بعضهم فى قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمود
فى بابه اقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
مين بعقلك تلقى الموز فى خجل * مصفر الوجه لما جاءها نور
سل من كبهك عن الاسماء هل نحت * تنبيك عن حوتها بالشيء مبزور
هل ماء طوبة لم اروت لواقحه * مثل الزلال فلا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى فى الرعى امشير
فى برمهات ترى الالبان نافعة * سمن الكنادين فى ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد ان النحل جانبه * والشهد يقضى وما فى امره زور
هشمش بؤنة لم يلق الهوا ابدا * مسكين ذاك قليل الجهد معذور

واصبح التين فوق الغصن ناعيه * كانه فى ابيب جاء مشهور
عنقود مسرى نعم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطائب ما فيها مرتبة * والكل فى هذه الابيات مذكور
ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قدمناه فقال

ص * (على من ملا قحفه جبينه طرية * وراح ورا الجاموس يرعى الينف)*

ش قوله (على من ملا قحفه) القحف شئ طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الراس له زى وله هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الراس وضيقا من اعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك فى سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على اصناف شئ يشبه القحف وشئ يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت الشواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد ونحوها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفايا فلان خفوة اللبد ومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (يا لبد مالك فى السوق يا لبد قلة خازوق) وسمى قحفا لخفافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السئ الخلق فيقال هذا قحف اى سيئ الطبائع قال الشاعر فى المعنى (ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه فهل رايتم فى الورى * قحفا رقيق الحاشيه) وهو مشتق من قحف الحوت او ان الرجل الذى صنعه اولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدى احمد البدوى نفعنا الله به دنيا واخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن ابنه وهى واحدة الجبن (طرية) اى عملت فى وقتها اى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه بملء قحفه جبنا طريا ولو كان هدية او صدقة تصدق به عليه احد او سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (الرزق ما ينفع لو محرما) وقال ابو نواس رحمه الله تعالى (يقول لى العذول ولبس يدرى * دع الطمع الى الحرام وكن قنوعا * اذا انا لم اجد ما لا حلالا * ولم اكل حراما مت جوعا)

فان قيل لأى شئ تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طرية فاذا وضعه فى قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول ان يصير القحف النقذر من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه قلنا الجواب الشريف من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه لملأه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة او الشهر لكونه [illegible] اذ ذاك فى حاجة اليه بخلاف ما اذا اتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم بالادم وان يحمل على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيأ من ماكول او غيره يأخذونه فى اطراف بردهم وارديتهم وفى اكمامهم او على شد ودهم التى على رؤسهم وكانوا فى الزمان السابق يضعون الشئ فى قحوفهم فانهم فى الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شئ يلفونه عليها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف او صحن مثلا يضعه فى قحفه * واما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرق العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فاتضح الاشكال عن هذا المثال وقوله (وراح) اى وسار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز او من الراحة او من الريح او من ابى رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو اربع ورقات ملصوقات على اربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) اى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض اى يشقها وواحدته بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له يا ابن بقرة مثلا يعنى يا كثير الخناء (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها

فهي في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب الفشروي)
من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار
شاملا للنوعين * الثاني ان لفظة جاموس مركبة من اسم وفعل فاذا قال
الشخص للولد الامرد انت يا جاموس رعبا يفهم منه انت يا ولد جاء رجل
اسمه موسى مثلا وكانه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد
ولا نتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى اي وقت ولادتها جاء رجل
يقال له موسى * الوجه الثالث ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس
يقال فلان يتجمس في الظلام بمعنى انه يحسس على شيء يأخذه واسم البقر
مشتق من بقر الارض اي شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب في الكس)
مثلا لانه يشقه اي يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب في استه مثلا
فكان مشبها بالفعل * واما التجميس فهو مشبه بمقدماته والفعل اقوى
من الاسم لان التحسيس زرع والنيك حصاده فكان النيك ابلغ من التحسيس
فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه
هذا السؤال وقوله (يرعى النيف) اي يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه
هو الذي يرعى بنفسه فالرعي راجع للجاموس اي انه يسوق الجاموس الى
المحل الذي ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى اي يأكل يقال
الجاموس او البقر يرعى في المحل الفلاني بمعنى انه يأكل منه واما قولهم للذي
يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه في الغيط ومباشرته
وحراسته ونحو ذلك راعي فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه
ان يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به * والنيف حشيش ينبت في الارض
بنفسه من آثار نزول المياه على الارض واكثره في الاراضي التي لا تزرع
وهو مشتق من النيفة التي تعمل في بلاد المدن وهي لحم تشوى في التنور
ويؤكل وله لذة عظيمة او من النوف التي توضع على رقاب الثيران وقت
استعمالها في الساقية او المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر انه
كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم

فاشتهى بل تحفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ سعود عنان
ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه
من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم انها تمكنت من عقله فقالت
يا آنا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له
فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه
فلما ذبح الجزار أتاها باللحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت
فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد أمسى فقالت
له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها اني لم أصل العصر لان الوقت
راح لما اصلي وأجي نأكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما
صلى العصر أذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كأفواه القرب
فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فمر عليه شاب من خدمة المسجد
ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد
وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت
له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فأخبرها بأن فلانا عزم على
فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فاني سخنته لك فقال

ان جاك بدري الطعام اصطبح بو * كما جاك بدري من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لها اعلف البهائم لاجل فطورهم بدري وذهب ليعلف البهائم
فببركة الصلاة التي صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى في قلب والده
ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره وألقى
اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه أعدم
معرفته بما هنالك ولا يدري بما جرى له ونادى والده لزوجته هاتيه
قشطة وقال له كل واشرح فلما اكل وشرح قال لها توجهي الى بيت اهلك
بالستر وان جئت لك بأحد كائنا من كان سياقا فلا تقبليه وان
قبلت السياق وجئت فقبرك في محل الطاجن تعلمي ذلك وتعتقديه
ولا تبديه والسلام فانظر يا أخي الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل

وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية * ثم ان
الناظم انتقل لتمني شيئاً آخر من الأطعمة التي يفعلها اهل الريف فقال

ص * (على من قشع لقانة امو ملآنه * من الهيطليه التي لها ترصيف) *

ش قوله (على من قشع) اى نظر نظراً حقيقياً (لقانة امو) او زوجة ابيه ايضاً
واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية ايضاً وهى اناء
من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص
اذا اراد ان يشرب منها يلتق بلسانه او بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها
او ان الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء
وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم
واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شىء سواها
فتمنى رؤيتها بحيث انها لامه (ملآنه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة
النظم ثم بين الشيء الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من
نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى الماكل وهى اخف من الارز باللبن خصوصاً
اذا اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن
تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس
فيكون النشاء اقل درجة منه وان كان الارز موافقاً لكل طعام * وفى
كلام بعضهم لو كان الارز رجلاً لكان حليماً لانه موافق للطبائع وسميت
هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه او من هطل الشيء
وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (التى) بتشديد اللام
بمعنى التى وهى لغة دنيئة (لها ترصيف) اى من جنسها وشدة بياضها ولمعانها
اى تضيء ويشتهى اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف
اى تلمع وتضيء وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف)
ان رجلاً مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال
وهى تمشى فقال صدق ابو العتاهيه ولم يذكر ما قال فهزت رأسها وقالت بل
صدق ابو العلاء المعرى ولم تذكر هى ايضاً ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى

وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها اخبريني عما اردت وعما اراد والا اعلمت بكما امير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدد ابو العتاهية قوله عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري وانا عنيت بقول ابي العلاء المعري قوله

ايا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

فتركها وسال الرجل كما سالها فاجابه بما اجابته به وافهمته ان الدار قريبة ولكنها بجوار امير المؤمنين فلا تقدر على الوصول للمطلوب فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود ايضا * ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من المهلبية فقال

ص * (واقعد لها بالعزم في رابق الضحى * واسحب لها مصبوبة ام وطيف) *

ش قوله (واقعد) اي واجلس من غير استعجال بل اقعد قعود متمكن من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوش علي (لها) اما ان الضمير راجع للقائمة التي فيها المهلبية ويكون قوله واقعد لها بمعنى اي آكل منها وفيها فيكون اكله من المهلبية لا لنفس القائمة واما ان كان الضمير راجعا لنفس المهلبية فلا اشكال ووجوعها اصوب وقوله (بالعزم) اي بالقوة والشدة او انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (في رابق الضحى) اي وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (واسحب) اي باخذ اخذا سريعا مرة بعد اخرى لان السحب هو جر الشي بحبل او غيره بسرعة فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير قيد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف) اي من الصبوبة التي لقبها زوجته ام وطيف وطيف اسم سمي بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلة اطواقا وقيل كان له دورة يتخطى فيها الجلة طوقا بعد طوق وقيل من طوافه حول البقرة في صغره واما اسمه الذي سمي به عند ولادته على ما قيل فهو دعيمر لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت امه به فصار يقال لها ام وطيف * واما المصبوبة

فانها نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التي لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعوها من دشيش الارز و [illegible] التي تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خاصها والفقراء يصنعونها من الرديئة التي تخرج من الارز [illegible] عليها شيء عليهما من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم [illegible] في الطاجن الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة او جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها في عصا طويلة [illegible] هذا العجين ويصبونه في الفرن اقراصا على رغفة الخبز وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصبت على هذا الحال * واما القطايف فانها تعمل في بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع من حديد او من نحاس الا انها صغيرة مثل القرصة وهي الذ هذه الانواع واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا منها مرارا وتلذذنا بها ونسال الله تعالى ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويهنيهم باكلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت في بلده مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امراة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذي تعمل منه مقطف اي منخول من المنخل الرفيع فيكون [illegible] تسمية الشيء باسم الصفة التي تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا اصبح ورأى المبطلية فيقعد وياكل منها حتى يكتفي لئلا يفهم احد ان مراده النظر فقط كما قال بعضهم النظر بالعين لا يقضي ملاحه * غير مصل الريق ولم تحلى النظر بالعين ما يشفي عليك الان واصلك في بيتك خله * وجعل النفس مجبور بسبيلك * وادخل [illegible] الى اخر ما قال ويجري هذا المعنى في جميع الابيات التي صرح فيها بالرؤية معا فان مراده رؤيته مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له [illegible]

ثم ان الناظم انتقل الى ماكول آخر فقال ص * (ازاما ترى شحالي اللبن يعلو * ولو كنا بالخبز السخين يدفو) *

شـ قوله (الا يا ترى) يريد أن يستفهم ويخبر ويسأل ويتحقق عن شيء بعيد عنه
ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة
ولهذا قال (أشحال) يعني ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه
بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه
في الدست و(غلوه) اصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا اجريا
على اللغة الريفية أي غليه بالنار يعني هل له لذة في المأكل وحلاوة في الطعم
ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أي هذا اللبن الحليب المغلي (بالخبز)
تقدم تعريفه في الطعام (السخين) تصغير سخن وتصغيره هنا للتلطف مثل
قول بعضهم ما قلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشيء بالتصغير
فلهذا قال السخين على وزن الطنين أي المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن
كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين
مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها وسخونة الجسد الحرارة الغريبة أعاذنا الله
منها * وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى أنه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل
معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة
فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق احدهما
صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه
يقول لهم اخبروني عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة
لذيذ المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا
كما قال ابو نواس الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر أي لاجل ما التذ بسماع اسمها وتلتذ اذناي
بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض
نفعنا الله به ادر ذكر من اهوى ولو بملام * فان احاديث الحبيب مدامي
ليشهد سمعي الى آخر ما قال * ثم انه لما اراد أن يلذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز
المسخن اراد أن يلذذ سمعه ايضا ببركة اللبن حتى يرزقه الله له بالأكل من
الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان سهوا وتقاعد المكسي قلوبهم فقال

ص ٭ (ألا ترى اشمالاً مفروكة اللبن ٭ على زلطها قلبي يرف رفيف) ٭

ش قوله (الا ترى) اى يا ترى احداً يخبرنى خبراً نشاهده (اشمالاً) اى اسأله عن حال (مفروكة اللبن) اى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز فى الفرن او الجورة ويفرك اى يكسر بالايدى وهو حار ويوضع فى زبدية او ماجور ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعماً فى البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو افضل الطعام وفى الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين وورد ايضاً اثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقى اليها وحسرتى على بعدها (قلبى يرف رفيف) اصله رفيفا لانه مصدر حذفت الفه للضرورة اى يخفق خفقانا زائداً يشبه فى خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تكون فى الرمال وسواحل البحر وسمى زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ او لان اللقمة تحاكى الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة فى رميها من اليد كما يقال زلطة فى راسك مثلاً يعنى جاءك ضربة زلطة فى راسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحذفها فى حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضاً الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول الذى هو المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائماً قلبه يخفق على فراق محبوبه

فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لا يزال عليه طائر

حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر

اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الآتى ذكره ملآنة من الفت اكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص * (انا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملآنة من الفتيت ملوطفف)

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا احد غيرى (ان شفت) اى رايت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) اخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخرى فيها الجلة وربما بال فيها ايضا اولانه يخمر العيش لوالدته قبل خبزه اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملآنة) اى اللقانة (من الفتيت) جمع فتة وهو تكسير الخبز لقما صغارا اوكبارا واحسنها الصغار ويصب عليه العدس والبيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملوطفف) اى ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حواشى الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طفح الماء على الجروف اذا ارتفع عليها او من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وملخص قصته رضى الله عنه قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان ياخذ البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين

فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق بانهم بايعوه
بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس
وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل
العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضي الله عنهم وقالوا له ان كان
ولابد فلا تاخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال
واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ
بيعتهم فأخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين
من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على
على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم
يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال
فلقيه جرير بن زيد التيمي فقال له ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرا
واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك
وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع
وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره او نقتل
وكان ابن زياد جهز اربعة آلاف وقيل عشرين الفا لملاقاته
فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة
راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد بن معاوية فأبى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه
والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله
واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت
وتلونت وادبر معروفها واشمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء
والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل
لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت
الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر
ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل بيته

وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبراني قال العلامة سيدي عبد الرؤف المناوي نفعنا الله به في طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن الطبراني ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله عنه يقتل بعدي بارض الطف وجاءني جبريل بتربة منها واعلمني ان فيها مضجعه (وما رواه سعد عن امير المؤمنين الامام علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهي من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتام الكلام واستقام على حسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا رأسه واتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم علي بن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم موقف السبي بباب المسجد واهانهم وبالغ في اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه* (وقد اخرج ابو يعلى عن ابي عبيدة مرفوعا لا يزال امر امتي قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد* (وصح عن ابرهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم ادخل الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم (وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (استشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة ايام

كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضها بعضًا ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم غبيط وصار الورس الذي في عسكرهم رمادًا ونحروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون في لحمها نيران وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية فقعدوا في اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرًا بدم وهو اترجوا امة قتلت حسينًا * شفاعة جده يوم الحساب ف ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى ابن خالويه عن الاعمش عن منهال ابن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ في سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبًا فنطق الرأس الشريف بلسان عربي فصيح وقال جهارًا اعجب من اصحاب الكهف قتلي وحملي * وقال ابن حجر وورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا * واختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى اين صار وفي اى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلا فاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى القائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذي عليه طائفة من الصوفية انه في المشهد القاهري رضى الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحي كربلاء واما الفرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابو رحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى في ارض الروم

الى ان يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو
خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد
الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة
المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى
وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه
سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد
ابن الوليد المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصديق
رضى الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه
فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور
كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة
اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه
امر العساكر ان تنزل بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن
الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى
نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فحاد فرسه ينفر فقال
له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما نرى فمضى خالد فنزل
فى عسكره وبعث اليهم ان ابعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى
انسابهم يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فاتى خالدا وله يومئذ
ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشى فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال
من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابى قال فمن اين جئت
قال من بطن امى قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال فيم انت
لا كنت قال فى ثيابى قال اتعقل لا عقلت قال اى والله وامى قال
ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اخزه من اهل بلدة كلما اريد
ان اسأله عن الشئ يحيب عن غيره قال والله ما اجبتك الا بما سألتنى
قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا

قال احزبني ثم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال
بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين
قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف
بمتاع السند والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر
كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكيلها فتضعه
على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة
وعمائر متصلة وانهار منهمرة وانهار جارية وغدران مندفقة حتى
ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد
والعباد فرحمه خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه
سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك
ما يسرني ويوافق اهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره
لم اكن اول من ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح
من الدنيا فانه ما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هاته فاخذه
ووضعه في راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء ثم استفه فجللته
غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كانما انشط من عقال
فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية
من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة
فلم يضره فصالحوه واخرجوه عنكم فصالحوه على مائة الف درهم
قال المسعودي وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا
من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار
وحكاها شهاب الدين بن العماد في حكايته في النيل السعيد كذلك
ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وانه لا يكفيه الا اكله جميعه فقال

ص *(فشرته جميعه ما تركت بقيته * لغيري ولا عندي بما توقف)*

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره اخذ الشئ جميعه او اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال الكعاب واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء ورجل اقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك * وكان في قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنًا شديدًا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت قال لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال

لو سار في الموت او شفتو على الاهمال قلت اقلع بو وخلي كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكورة في الكتب وكلها اسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير او شر والا ففي الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق غراب) فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه) اي اكلته جميعه ولا ابقى منه شيئًا لغيري وعندي مجاعة شديدة فمتى رايته لا ابقي منه شيئًا وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره في الطعام واذهى نفسه عليه واكل منه زائدًا عن القدر المعتاد ضره واذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل * واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحًا منعمًا * فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري فقال لهم الملك ليصف لي كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على شئ من برر الهند با وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي لا داء معه

ان لا ناكل الا بعد الجوع وان نقوم وانت تشتهي الطعام فانك
لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصري * ولما ارسل
المقوقس ملك مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين
وكانتا من مدينة انصنا التي الآن خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد
وارسل له البغلة المسماة بدلدل وارسل له عسلا من بنها قرية
من قرى مصر من نواحي القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما
وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبي فلما وصلت الهدية والحكيم
الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا ناكل
الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ
المقوقس ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال يا له من نبي عظيم جمع الحكمة
في كلمتين وفي الحديث جوعوا تصحوا * فالجوع محل النشاط للعبادة
ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات
وارباب الخلوات فان نتيجتهم في ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى
الامام البوني في بعض كتبه انها لا تصح رياضة من احد وفي قلبه
مثقال حبة من شبع واما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما
من شدة الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد رأينا من
اكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية
ولم يشبع وكان بعض الجبابرة ياكل الفصيل مشويا في غدائه فاكله
يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف
تصل الي وبيني وبينك فصيل * وذكر سيدي محيي الدين بن العربي
نفعنا الله به في مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا فمر برجل معه
زنبيلي بيض مشوي وتين فاكل ما فيهما فمرض ومات بذلك * وكان
الوليد من ملوك بني امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل
الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فخرقه وانشد
يقول تهددني بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره * (وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقلت اكله لانه قليلا ما يغذي الشخص ولهذا انسبت اليه * واما ما اتفق لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة * وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان به عرج * وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء غريبة فمنها انه اصطبح في بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه ان يجني ثماره ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتي بدجاجتين مشويتين فاكلهما ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتي باناء يقعد فيه الرجل مملوء اسمنا وسويقا وسكرا فاكله اجمع ثم سار الى دار الخلافة واتى السماط فاكل مع الحاضرين كانه ما اكل شيأ ومنها انه حج فاتى الطائف فاكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات واتي بمكول عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستوذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم اذن في ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل ان يدخل امير المؤمنين * وقيل كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت التخمة في عسكره وكان موته بالحمى انتهى

والله اعلم (قيل) مر رجل اكول فى سفر واجتاز بقرية فاضافه انسان واجلسه وكانت زوجته فى الفرن تخبز العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب ياتى بالادم كلما رجع وجد قد اكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب ياتى له بخبز آخر ورجع فوجد اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل جميع ما خبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضى فقال الى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاى شئ قال انا رجل قل اكلى وانسد معدتى ومرادى منه شئ يصفه لى لعلى اقطع فى الاكل قال له الرجل انا بقالى عليك احسانا ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلى ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه اخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله (وقوله ما نزلت بقيتو لغيرى) اى لاحد غيرى قريب او بعيد (ولا عندى بذا توقيف) اى لا اتوقف فى الاكل ولا استحى من احد اذا كان مائتا ولا اعزم ولا اطعم غيرى منه ولا انظر فيه ان كان باردا او حارا او مقارنا او من حرام او من حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيرى ✦ ثم ان الناظم تشوق الى ما كول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص ✦ (انا خاطرى اكلت فسيخ على لذه ✿ اضال عليها باكيا واسيف) ✦

ش (قوله انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى كما تقدم معناه فى ابيات غير هذا (خاطرى) اى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (اكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى ونوع آخر

بقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض
بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل
منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشتد ثم انهم يأخذوه ويبيعوه
ويأكله اهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون
بطنها ويضعها الرجل او المرأة على يده اليسرى او في يديه الاثنين
ويعصر عليها الليمون وينتش منها اللقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم
ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينهش في الرمة
مثلا ويعلو فمه ويديه القزازة والرائحة الخبيثة ويأكلونه
حتى في الاسواق واغرب من هذا انه اخبرني من اثق به من
اهالى سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى على البحر يقال له العدوى
نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه
فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل في بيت الخلاء
فقال له انت تطردنى من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والا
مرادك تأخذ منى الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة في
يده وراح الى حال سبيله * ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم
وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا اهالى الكفور وبلاد الملق
فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من دمياط ورشيد في المراكب
ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد
وغيره وهو مشهور ببلاد مصر * واما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه
في الهواء الى ان يجمد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو ماكول الاكابر
وسمى بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالى
عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما اضافوا اليه الثوم
والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة في بلاد المدن
وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه
صرصر بكسر الصادين الاولى ويجعلون البطارخ الذى في جوفه

في اناء ثاني ويضعون عليه الزيت الطيب او الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله في الشتاء وسمي الفسيخ فسيخا لتفسيخه عند الاكل وان الذي صنعه اولا خرج منه ريح عند اكله فشمه آخر فقال فسي اخ فركبوا ها بين الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ * قيل سمع بعض اهل الريف قارئا يقرأ قوله وفيهما ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهي نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) اى وقت نزول الندا لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان في اول النهار ربما اعتدل اكله هذا اذا كان في زمن الصيف واما زمن الشتاء ففي اى وقت كان ويستحب ان يشرب عليه شراب حلو او يؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره واذاه وقوله (آضال) تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسي الخبيثة اليها (باكيا) اى اشتمر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غزرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر ولكن بكت قبلي فاورثني البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (واسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله آضال اسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لي فلا انفك عن الحزن حتى اكل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر

وما اسفي الا على من اوده * ومن لا اود وما عليه ملام

وقول بعضهم وما عتبي الا على من اوده * ومن لا اود وما عليه عتاب

وقال بعضهم اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابني منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

ولبعضهم وانت اخي ما لم تكن لي حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا

ولست براءٍ عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وقال آخر (لما رايت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد اصطفي)
(ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي)

وقال آخر صدبقك في هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فاسوق المنافق نافقه
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فما رفع الدنيا الحر ولا ثقه

وقال آخر زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه * لو راى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل في الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب * ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادي من تعادي ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته في الاعضاء * والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته في الاعضاء واو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من شهوة الجنب الى الطيب فقال

ص * (على من نضر في فرن دار وطواجن * زغاليل من برج ابن ابو شعيف)

ش قوله (على من نضر) بالعين (في فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) اى دار الناظم فالضمير في داره راجع اليه يعني لا يكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لاجل ما يصير منطمان الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ملآن (زغاليل) وهي افراخ الحمام التي ترت من المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطي لانه يرعى في الغيطان

ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوي الباءة اذا اضيف
اليها الحرارات والسمن البقري فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها
والحمام اسم جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل
التي اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام
البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب
والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض
فيه قواديس فخار يأتي اليها الحمام البري ويبات في تلك القواديس
ويفرخ ويعز فيها ايضا ويسمون خراه عندهم رسما ليأخذونه
لزرع البطيخ والنخل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون
من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم
الزغاليل مشتق من الزغللة وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل
لزرقة ريشها او انه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة
الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والقمح الذي يصنعون
به زبيب والكير الذي ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح في اهل الصنعة
لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة *
(وسئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الكيمياء فقال أعرف من
افتقر بها لا من استغنى فكذلك الحمام في كل قليل من الايام يدخلون
عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف
مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبول
والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات
بزينة (مسئلة هبابية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف
ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجسام مناسبة مع ان اللفظ
واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الأولى أم كيف الحال (قلنا) الجواب
القشروي ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي
ووجه طبي فالوجه الاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم

على الحيضان والمغاطس واثتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك أو كذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه للحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلى البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم كما في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس القطيسي (والوجه الثاني) ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة واحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان في افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البري واما الذي في البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان في ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى * فاتجه الجواب عن وجه هذا المثال (واما اسم الحمام الطائر فانه مشتق من الحوم وهو التردد في الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام المبني فانه مشتق من الحمى وهي السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق او من الحميم وهو الغطوس في الماء من قولهم فلان استحمى في البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما في المحبة من شدة الحرارة والشوق

ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اى محب يشفع لهم
لشدة حرارته وقوة افعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحمام
بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص بكونه فى
حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره
قال الشاعر تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار
وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك ان الموت
شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك *
انتهت الابحاث القشروية والمصادر الخيالية وقوله (ابن) ويطلق
عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) اسمه ابو
لكن لم يساعده لسانا لحرفته فى الكلام وهذه كنيته واما اسمه الاصلى
فهو عفلق او بجلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو
من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق للحشيش
المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويصنعه لبنا ثم فشاع خبره بالسرقة
وصار يقال فى البلد شاع بانيفاى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا
الجار والمجرور وابقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا
ابو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن الفلحفة ولعلها
بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة * ثم ان الناظم
بين كيفية اكله فى الزغاليل وانها توكل بالفطير فقال

ص * وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعد غلام خسيس

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر
وشمر عن ايرو وطرطر عامدا * عليها ببول فهى فى البول تغرق
ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله
مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطائر)
مصدره مثل عمل عمايل او مثل قشر قشاير ومعناه ابطط او اصنع
فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير

او حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الآدمي لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما مع غيره فلا بأس به وهذا كله في فطير الريف الذي اراده الناظم فانهم ياخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه في الفرن او يدمسونه في الجورة ويقال له فطير دماسي ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهي عنه • واما الفطير الذي تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذي يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق اي يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل او يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له او يهبه اياه او يتمكن من سرقته ويخبزه في فرن او الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويعث في مرقها الفطاير المذكورة ويتاهب للاكل منها (ويقعدها) اي الزغاليل او المجموع ذلك (قعدة) اي مثل قعدة (غلام) وهو الذي اطر شاربه قال الشاعر

هنا الغلام الذي اطر شاربه * والعاشون وشنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من جاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام اي عنده خسافة اي تفكر وكآبة وشدة حزن فاكون مثله عند تفكر وشدة جوع فما اصدق ان ارى هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفي ويذهب جوعي وتنقضي شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على احبابه فيزول همه ويسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق لبعض العارفين مر برجلين ياكلون في رمضان فقال لهما ما امركما فلا نحن محب صادق فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال يا علامة محبتكما

فقال أحدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير
جرح فصارت أرواحهما وأجسادهما كأنها روح واحد في جسد واحد
كما قال ابن العربي نفعنا الله به نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا بدنا
وقال أيضا عفي عنه (ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا)
(ونحن وإن كنا شيئي شخوصنا * فما تبصر الأبصار إلا موحدا)
ومن هنا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين
قال ابن هاني عفي عنه لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
وإذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد
وإذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وله أيضا رضي الله عنه لا يعرف العشق إلا كل من عشقا * وليس من قال إني عاشق صدقا
للعاشقين بحور يعرفون بها * لأنهم عالجوا الأشواق والحرقا
وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المتحابين في الله في ظل العرش
وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول
العرش * ثم أن الناظم انتقل إلى شهوة أخرى تمناها فقال

ص * (على من نضر طاجن سماك في قرينه * ولو كان يا إخواني بلا تنضيف) *
ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع بإذنه (طاجن) ملآن (سمك)
والسمك اسم جنس شامل لأنواع كثيرة أحل الله تعالى أكله هو والجراد
حيا وميتا وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان
ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد
رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطري وإذا طبخ
بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد في الباه والمالح أحر
من الطري وأيبس ونفع الكبير منه أن يؤكل مع شراب عتيق وفي الوزج
خصوصا إذا كان متخذا من ماء عذب جاري والمفلس منه أولى من غيره
قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما غلس والمفلس منه

مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتنفاوت في الطعم واللذة فأما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل ايضا في الطواجن مرفة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل ايضا بالكشك وقد اكلته في دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه قماعية واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما القجاج فانه اعلى رتبة واطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفي المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع في الاطعمة مثل البورى * واما السمك البنى فانه الذ في الطعمية من الكل ولا يوجد الا في قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلي وحشي فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تود ان تاكل اصابعك من حسنه وفي المثل عن لسان حال البني ان رايت احسن مني فلا تأكلني * ونوع في السمك يقال له شبار له لذة في الطعم والماكل وقد ورد انه ياكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذي يصيدون من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه في الطواجن ويضعون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه في الفرن الى ان يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم الذ الماكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها في الجورة الى ان تنضج يسيرا ويأكلونها اعاذنا الله من ذلك وبذكر السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فمر عليها عاشقها وما

وقال لها طال الموعد فقالت له في غد تأتيني في آخر النهار ثم انها أصبحت
وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه في هذا اليوم وناكله فمضى
الى السوق واتى به فنظفته واصلحت شأنه ووضعته في طاجن كبير
وقالت له خذه وامض به الى الفران وارجعنا من طبيخه وقل للفران
يرسله مع غلامه آذان العصر فاخذه زوجها وذهب به الى الفران
واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران ارسله
لها في الوقت المعلوم فبينما هي جالسة واذا بصاحبها الذي وعدته
يطرق الباب ففتحت له وطلع واكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها
وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها في الحديث اذ طرق
زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت
ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء
فقال لها ما الذي اصابك فقالت له اسكت يا رجل لما تمكن
روحي في قلبي انا لم اقدر اردها لك وكانت وقعتي معك وقعة الشوم
اذا كان الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفته ناكل منه
طالع لي راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتي منه غايته
لا يطلع على شئ وهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة
وانا طول عمري ما حد شافني ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها
يجري حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك
للملعون من حطك في الطاجن يا ترى هو الفران والا صبيه
فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به الى
الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من ذا وقت لا تحط
في طاجننا حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده
وتوجه به الى الفران واعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق
القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل وقال له انا وضعتك في
طاجن اللحم يا الفتى ونزلت في السمك ان بقيت تنزل الفتى

اشوش عليك ونضربك فقال الرجل للقران يا سيدى ما عدت
اخالفك ابدًا الطاجن الذى توضعنى فيه لا اطلع منه ابدًا
ثم ان القران قال لزوجها اخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا
بقى ينزل فى طاجنها ابدًا قال فمضى زوجها واخبرها بالقصة
ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا احد فى طاجننا ما بقينا نطلب
عنده شئ ابدًا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى
هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة
فرأى مكتوبًا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله
فاطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة * ومن العجائب من هذا
ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة
على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر انما انت تحت امرى وانا تلاطمت
اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت
من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له ان زعمت
انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن اذا اسألك عن مسئلة
ان اجبتها قلت قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا
مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات
فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك
فى بحر العلوم فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب
فقالت له ان مسخ جمادًا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا
تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه
ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة عن عباده
فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى
وبذكر قصة القران والسمك تذكرت ان حفظ الوداد قليل
فى الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقًا فى المقال خليلا

فخان ودادی ثم انکر صحبتی * فیالیتنی لم اتخذه خلیلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فکانوها ولکن للاعادی

وخلتهم سهاما صائبات * فکانوها ولکن فی فؤادی

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولکن عن ودادی

وقالوا قد سعینا کل سعی * لقد صدقوا ولکن فی فسادی

وقال آخر

لاضربن بیائی انف مقرعة * حدا وانصب آمالی علی خشبه

اعشرتی لا ناس لا خلاق لهم * بیض الثیاب واقفال علی خربه

ومن کلام الامام الشافعی رضی الله عنه

البعد عن الناس کالبعد عنهم لکن بینهم مجمل * ولا تقل کان لی ایاد علیهم فی الزمان الاول

المرء بین اهله کلیث * اذا راوا ذیله مهلهل (وقال ایضا رضی الله عنه)

لقاء الناس لیس یفید شیئا * سوی الهذیان من قیل وقال

الا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال (وقال بعضهم)

ما فی زمانک من ترجو مودته * ولا صدیق اذا جار الزمان صفا

فعش فریدا ولا ترکن الی احد * انی نصحتک فیما قد جری وکفی

(ولابن عروس قواب بلاد المغرب)

الناس بحر عمیق * والبعد عنهم سفینه انی نصحتک فانظر * لنفسک المسکینه

وقوله (فی قرینه) ای قرب الناظم وصغره لاجل النظم یعنی انه یأتی من الخیط او البحر فیراه فی قرینه حاضرا مطبوخا من غیر ان یتکلف بصنیعه وتحویجه من الزیت والنار والبصل ونحو ذلک وقوله (ولو کان) هذا السمک الذی تمناه (یا اخوانی) یخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبین وکل المؤمنین اخوان فی الله قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفی الحدیث عن النبی صلى الله علیه وسلم المؤمن للمؤمن کالبنیان یشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد فقد مروءته قیل اتی رجل الی المأمون فقال له انا اخوک اعطنی من بیت مال المسلمین ما یکفینی

الذی احفظه زوفا ٥

فقال له من اين انت اخى فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة
فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا
عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرضنا فى فرقت بيت المال على
اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشئ غير
الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان المأمون يحب الحلم
والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه
ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه طعاما مشويا فى اسياخ
من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها واتلفها فنظر اليها
فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين
عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين
فقال انت حرة لوجه الله تعالى ومنه ما كان عظيمة فى الحلم والعفو
لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار كثيرة فى ذلك وقوله (بلا
تنظيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرن من غير غسل
ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن بعظمه وبخوفه حتى يصير
مثل المشوى فى الجودة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره
وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل الخريق يستند على
القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرنى فعلى كل حال انه يشبع
جوعه ويقضى شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيئا ولو حقيرا
متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة البهيمية
ترمى صاحبها على اخبث المأكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر *
قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب
البردة رحمه الله وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم
قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد
وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة
ويخالف نفسه ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فتهيأ لياكل منها

فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك يا عمر فقال فقال ان اكلتها ثم انه تركها ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه * ومن النكت المضحكة ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها ابدا فاتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل بلحم ضان يقال لها فارشها رشى فمد التلميذ يده واخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى انى آكل من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما اشقاك وما اخبثك فخرج من عنده ولم يعد اليه * ثم ان الناظم اشتهى شيئا لم ير فى بلده الا بوعيد النحر فقال من

* (على من رأى فى التل كرش ملقح ※ ومن فوقه الذبان يخف ويفنى)

قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى التل) اى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب او رماد يكبه قدام داره بر البلد امامه وجاره مثله وهكذا الى ان يتصل ببعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه ايضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضا ترى النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك

وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم المتخصص لخصمه ويشخ في
جبته او يبيل على ردائه حتى يغرق جبته ويصير ضاربا رفيقه ورادا
عليه الخرا وهكذا ثم يؤل امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على
شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام في غزل الصوف
والفل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم
ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد بالكفر له
ولجماعته يشخون فيها وقد قيل في المعنى

سالت بني الارياف ما لبس تكم * مراحيض قالوا الاهي مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العِلّية
بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

ابيت الكفر في ضحوه * رايت اهلو جميع شالوا وراحوا فوق علية * عليها الكل قد بالوا

اي طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا
ونطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير المطوب ولهذا
يقال فلان اليوم في العلالي اي انه صار يجلس عاليا عن الناس ويجي له
في الكوم حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر

جوز غزلاني يا مخلاهم * شافني على القدم حتاهم متى يا زمان تجمعنا * في العلالي انا وايا هم

فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه انه رمى الكرش في جوف التل
فيكون متواريا عنه وكذا الرؤية بقوله (ومن فوقه الذبان) والذبان
لا يسقط الا على شيء ظاهر لا على شيء مغطى مستور كما تقول فلان في
الدار اي في داخلها فما الجواب قلنا الجواب المشروح ان في بمعنى على
اي كرشا ملقيا على التل والكوم كما يقال فلان في الجبل اي فوقه لا داخله
لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان حرف الجر على بابه
ويكون قوله في التل بمعنى ان في جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون
فيها الكروش مثلا فيصدق عليه ان الكرش في جوفه وان كان ظاهرا

يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا المبال وقوله (كرش ملفّ)
اى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا فى
ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه
ويلقون ما فيه من التفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة
ويسمونه جفل مغل وله عندهم موقع عظيم وامّا فى بلاد المدن
فانه من الضان ويضيفون اليه الراس والكوارع ويسمونه سقطا
ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبره والتقلية ويصبون عليه
الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالراس تارة ويدرجونه فى
الكرش محشوا نظيفا وتارة من غير الراس وتارة بالكوارع وتارة
بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية
يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما
هو مشهور فى بلاد المدن واما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك
فى الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج
ويقلون له بشئ من البصل او الثوم وياكلونه ولا يعرفون السمن
ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء وياكلونه
حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور
اى ان كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها
المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرّش اى آيل للسقوط وفلان صاحب
كرش اى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان
كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو
ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على
هذه الحالة وادرج راسه فى كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه
وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه
الغورى يهدده بهذه الابيات السيف والخنجر ريحاننا * افّ على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس فاجابه بقوله

لله في ملكه خاتم * تجري المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من بحشه
مصارع البغي لها سوءة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج رأس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل اليه السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائب الغوري ورده خائباً والقى الله كيده في نحره ولم يغن ما صحبه السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشاً مرمياً على التل اي الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسياناً وذهولاً او ان الشاد بالكفر ذبح كبشاً والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيئاً ويأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوماً ويرى هذا الكرش الذي تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة اهل الكفر في بهيمة (ولو كان من (فوقه الدبان) وهو الذبان وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده ذبانه ودبون مفرد المذكور منه والدبان على وزن الغربان او الجديان والدبون على وزن المجنون او المأبون قال بعضهم مولياً

في خاطري يا مليح لو كنت دبانة * واحط فوق شفتك وتنزل اقول ذا انه
علي وما يوحشن لك عين نعسانة * غيري تواصل وانا جي لك تقول انا انه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة في بعض الكتب منها انه اذا اخذت ذبابة وربطت وهي حية في خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكي الرمد خففت عنه (وسئل بعض الفضلاء لاي شيء خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى في كتابه العزيز

الذي احوج حتى غير فاراد لم يعلم [illegible]

توبيخاً لهم ولأصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة في فمه ويلفها في شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى ان تموت (وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرف به على الهلاك فدخل يوماً بيت الخلاء فسمع هاتفاً يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص لك زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى) وقوله (يعف عفيف) اى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض واما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية حرده ولوفقها

ص ❊(دنا ان شفته خدتو عالو سلقتو ❊ وكلتو بتفلو ما ارمى تفيف)❊

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله على ورايته ملقحاً على التل (خدتو) اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالاً مهملة جرياً على اللغة الريفية (عالو سلقتو) بمعنى انى القيه فى الدست او البرام والقى عليه الماء لا غير واسلقه من غير تقلية ولا شيرج وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما فى يده وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما جوفه من المريحى والوانه بجسس مبالغة فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاب به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان ياكل كرش بخراه سلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلاً من اهل الريف طلع مصر يبيع حباً نباً من البيض

لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلد فرأى
بياع القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لام معيكه بجديد
وكل انت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فاعطى بياع
الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو ياكل
من غير ملح واخذ بالجديد الثاني قطعة كبيرة وزاد له عليها كبده
وروية وهي الفشة ولف ما اخذ في شد الذي فوق راسه وربط
عليه وكانت الفلوس التي باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد
ثم انه سافر الى ان مر على قرية في الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح
تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذي على راسه
فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح في القرية فقام يجري خلفه ويصيح
ودخل الدار التي طلع الكلب في سطحها فلما رآه النسوان مكشوف
الراس في هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد في القرية
فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم
ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا
نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) يعني اني ما اتقنف عن اكله لكونه فيه
النفل ولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسي تطيب لاكله ولا
تمتنع عنه وفي القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف
مشتق من التقنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان
يتقنف او من القنافة بضم القاف وهي التي توضع في خرق الناف
الذي على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة
قال الشاعر لقد خف مني العقل حتى كانني * احاكي في الافعال قنافة البقر
ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على النار والكوم ترجى من الله تعالى
ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع
فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلي فقال
متن * (انا ان عشت لا اروح المدينة واشبع ❁ كروش ولو اني اموت كفيف) *

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من الماكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تاخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينه) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها وابّد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وامراءها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال وطيب المعاشر ولطف المذاكر كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية لم يتحصن وملاحها الولدان كانهم الغزلان او قضبان البان لا يوجد مثلهم لا فى الروم ولا فى العجم ولا فى العراق ولم يزل اللطف منهم فى العشرة باتفاق كما قلت فى هذا المعنى موشحا

(دور) يا من يريد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) ملاحها لا يوجدوا * فى الروم ولا ارض العراق
ولا بلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
* اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق
(دور) من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) يا حسنهم يا لطفهم * يا ظرفهم كم ذا ترى
من كل اغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
* مثلو ترى غيره يفوق * سبحان خلاق الورى
(دور) فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) اما العجب ثم العجب * فى يوم الاعياد والفرج
كم ظبى يرفل فى الحلل * والخال فوق خده وعج
* تقول جنان رضوان حقيق * قد فتحت وقد خرج

(دور) منها يريد قتل الرجال * بحسن قدّ والمثال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى لو دلال

(مذهب) والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبري فني * وزاد وجدي والسهر
* وقد بقيت صفر اليدين * ولست اقنع بالنظر

(دور) ما حيلتي في كل حال * الا الدعا أراه محال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى لو دلال

(مذهب) يوسف سميت داعولاله * يغفر ذنوبي كلها
وبلد في شربين عظيم * بين المدائن قدرها
* بلد الغنا زمع العلا * والعلم مشهور ذكرها

(دور) ثم الصلاة باتصال * على النبي باهي الجمال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

ماثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها الطف شئ في الورى * واهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوع خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال في المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وانما جن به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر (مستحدث النعمة مستوحشا * عيناه مملوءتا فقر) (جن به الدهر فنال الغنى * يا ويله ان عقل الدهر)

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازمه فعل الخير واحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش اى ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التى تسلق وتباع واقضى مرادى وبغيتى منها (وآواف) بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضاء شهوتى (اموت كفيف) اى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن انس * وقال الابوصيرى الاديب

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت احبابى من الحى والجما
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعمى

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محال قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر * والظلم اذا دام دمر * والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر * ومن لم يترك الذكر لم يذكر * وما ابتلى الله عباده بشئ اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل اعمى قال لاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصفه عندى وفى المثل الآخر (والاعور الممقوت فى اهله * اولى من الاعمى على كل حال) وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره باظافيره او يلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التحا قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى الستر مسرفا   حسنا كان وجهه * وسترا تصحفا
فستر والله ناظرى * مذ رأى ذاك واشتفا   شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا
وقال آخر   سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله مؤمنين القتالا
ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر
بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزاه من يحب الغوانيا
فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطى وما انا زانيا
وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ
قال الشاعر   اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال بعضهم   تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العقل يدرى ما يراد من الفتى * اصبت على رغم حسود ومن ضد
والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم
تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
وكل هذا من الانهماك على الشهوة والخمول فى العشق والمحبة والا فالعاشق
الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس
وكلها غرامة فلوس * ثم ان الناظم بين كيفية اخذ الكروش
من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة فقال
ص * (واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل بحقه يا ابن بنت عريف)
ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد من غزل زوجته وكان اسمها
قطيعه وقيل اسمها بعرة بنت فلوط والبعرة قريبة من الفلوط
لانها بنته والفلوط ابوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة
وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم
عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم
وفى الكلام تقديم وتأخير ومعناه اذا اصبحت لا اروح المدينة
واخذ من غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشا وغيرها

ولو انى بعد ذلك اموت كمدًا لانى اذا قضيت مرادى وعشت
بقية العمر اعمى لا ابالى بعد قضاء شهوتى وحصول ما كنت ارجوه
من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلًا من اهالى الكفر قيل
انه من اقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى
مما ناله ويقول له لابد انك تفرح لى اذا طال عمرى ورحت المدينة
وشبعت فيها كروشًا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديق له
وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص
لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم
او يواسيه اذا كان شيئًا من الدنيا ويسليه بالمحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للى يريدك
الحمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسم على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا النيران
وسبب تسميته فسا النيران انهم كلما ربطوا النيران على الطوالة يقف
فى وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقرب رائحة
الفساء فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا النيران فسمى بذلك
واما جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد
طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف
تغريبة بنى هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى
ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه
كان يعرف فى الشاذ امور اللص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا
صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا
اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد احوال
القراءة ويعرف ايضًا الفقيه عن احوالهم فى غيبته كما هو مشهور
فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لابد له من عريف على ما جرت به العادة *

قال العلامة البلقيني الشافعي في تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء في حديث الاعمى والاقرع والابرص روي ان ثلاثة من بني اسرائيل احدهم ابرص والثاني اقرع والثالث اعمى اراد الله تعالى ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال اي شيء احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرني الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطي لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اي المال احب اليك قال الابل فاعطي ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال له اي شيء احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس منه فمسحه فذهب واعطي شعرا حسنا قال فاي المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها *

(واتى الاعمى) فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله الي بصري فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) في صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفري فقال ان الحقوق كثيرة فقال كأني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى) في صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري فقال قد كنت اعمى فرد الله بصري وفقيرا فاغناني فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك

اليوم شيئا اخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك * فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسا مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا رشتم بلا حلم وعلم ولا ولا
وسدتم بلا اهل وفضل ولا ولا * سأقسم بالله الذى خلق الملا
يمينا لقد بخستم رتب العلا * والبستموها بعد عز تهذلا
فتبا للدهر انتم عظماؤه * وانتم اراضيه وانتم سماؤه * فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه
صفعت زمانا انتم رؤساؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى
قطو في لعبد يكتفي بذهابكم * وويل لحر يشتفي باياكم * اقول وقلبى ملكم وازدرى بكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان اوزلا
فبعدى من الاوطان عن لبيتى * وفقد الذى اهوى وعظم بليتى * وعنكى وتعذيبى وقرب منيتى
فذا مرادى واعتقادى وبغيتى * ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر فقال

ص *(واسرق من الجامع زرابين على * واكل بها من شهوتى فى الريف)*
*(واشبع من الترمس واكل مقيلى * والقو بقشره مارى توقيف)*

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت عريف المتقدم ذكره اى انه يقول انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقيلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التى فى اطراف حارات المدينة التى يصلى فيها اهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن محزون او مأبون وهو المركوب

ازانى يسمى بالفارح ويسمونه ايضا جوادا وترجيلا (واسرق) والسرقة حرام ومنهى عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه واباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة ولذا كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

فاجابه بقوله عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

اى ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهى حكمة للبارى جل وعلا وحدود اوجبها على خلقه من امر ونهى وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمى جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك وسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والنعاجيل (عدة) يعنى كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة فى السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهى ان يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فيأخذ هو الآخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفتل او لحساب المال او لينتظر فيه اوان الحرث وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه فى الغالب محلا لمحادثتهم فى الغيظ والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا انسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف

المتقدم ذكره انى اذا طلعت المدينة واكلت بحق الغزل كرو شأو لم
يبق معى شئ اتلصص واتجسس واسأل عن بعض الجوامع التى
باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب (واكلها) فى كلامه
هذا تورية اما انه يبيعها ويأكل بثمنها او انهم يصدفونه حالة
خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التى خطفها علقة فيكون
هذا اكل معنوى فانه فى الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع فى
ايديهم يقطعونها على اجبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم
بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على اجبال رقبته
فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت ارذل
السرقات قيل مر بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار
وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص اخذه
فجاء بجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى واحدة واراد ان يحط
رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى عنه
بحيث لا يراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه
اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض
الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فأخذها الغلام ومضى
وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام
نسبت انى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لا تصنع
للتاجر شيئا فانه لقى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى
فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء
غلام التاجر يطلبها اخبره بالقصة فرجع واخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب
الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الربع يشترى له مركوبا
فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك
يا شيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال له عندى مركوب ملبح

وحياة راسك وصار الجميع يبكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا
من كلامهم وقال لهم يامشايخ السوق انا رجل غريب تتوصوا بي
فان جماعة اخبروني ان المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على
اقفية اصحابها فقال الكل خلص تارة عنا جميعا بما قاله بلطافة
ثم قالوا له بالله انت الا ابو صيري قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا
اخر فاخذه ومضى حتى دخل على البدري العودي رحمه الله تعالى
رئيس مصر في الدخول فلما رآه وفي رجله المركوب قال له وجهك احمر
يا ابو صيري فقال له نكت بذري ودخلت الحمام فكان الجواب
اظرف من السؤال ومما مدح به البدري قول الابو صيري المذكور حيث قال

البدري كمل بالدخول * وفيه النطوق والدرج بحمائه حاف بالطارق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين
والمتاخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره * قال ابن خلكان
رحمه الله تعالى جاءني صاحبنا جمال الدين الاردبيلي المجيد في صنعة الاكحال
وغيرها وانا في مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندنا ساعة وكان الناس
مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر
الا وغلامه حضر وفي يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا ايها المولى الذي بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
اني حججت الى مقامك حجة الا * شواق لا ما اوجب الاسلام
واخذت بالحرم الشريف مطيتي * فتسرقت واشتاقها الاقوام
فطلبت اشد عند نشدا في لها * فيما لمن هو في القريض امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي انه لما قام من عندي
وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن
خلكان والبيت الاخير الذي تمثل به هذا القائل لابي نواس من
قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد ايام خلافته اولها

يا دارُ ما صنعتْ بكِ الايامُ * لم يبقَ فيكِ بشاشةٌ تستامُ

ويقولون من جملتها في صفة ناقته

وتجشمت بي هولَ كلِّ تنوفةٍ * هوجاءُ فيها جرأةٌ قدّامُ
تذري المطيَّ وراءها فكأنها * صفٌّ تقدمهنّ وهي امامُ
واذا المطيُّ بنا بلغن محمدًا * فظهورهنّ على الأنام حرامُ

(قيل) سرق رجل مركوبًا واعطاه لولده يبيعه فسُرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برأسماله فقال هذا رأسماله السرقة فقال الولد وقد سُرق مني لاخسرت ولاكسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله (وقيل) سُرق باب دار ابي سالم القاضي فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذي تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي (وقيل) كان مع ابي جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسي مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول ابوك فقال يقول نك زوجات ابيك في غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال الواحدة يا ابي والا الاثنين يعني اجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراد ابيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيدي يقولون ان اهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي ارى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العيني هل في مصر احمق من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى ابين لك حذقه

ثم ان العيني ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له
مرادي فول حار ولكن ما عندي دراهم وما عندي الا فردة مركوب
تعطيني بها فقال له الرجل يا سيدي كل شئ جبته اطعمناك به *
قال فضحك العيني وتعجبا الشامي من حذقه وانعما عليه ومضى
الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل اسمه عوض
مالفظه سرموجتي قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا
اتيت السرو ضحا * اخذت عنها عوضا
وقوله (من شهوتي في الريف) اي شهوتي التي اشتهيتها وهي اكلي
من الكروش وشبعي منها لاني ما وجدتها في الريف فاذا طلعت
المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لي المراد وقوله
(واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه في الماء اياما فان
اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اي يتنقلون به ايام الاعياد
ويهادي به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في
بلاد المدن دائما وهو فاكهة الريافة اذا طلعوا المدينة يفتخرون
باكله هو والمقلي * وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة
الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على
اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد
قوة وقوله (واكل مقلي) اي واشبع من المقلي وهو الفول المنبت
المقلي بالنار ومن هذا سمي مقلي وهو مشهور لا يحتاج التعريف
وقوله (والقيه بقشرو) اي هو والترمس من شدة شوقي اليه لاني
متى اردت تقشير الترمس والمقلي طال علي الامر لاني احتاج
الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي خاطري ولا مرادي
وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف يأخذونه بالكبشة
ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره * (ومن المناسبة)
ان رجلا جلس هو وغلامه في محل ظلام يأكلان زبيبا *

فقال له سيده كل ربية زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من الأكل قال له يا عبد النحس أنا طمعت عليك بقيت اكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيدى ان كنت اكلت اثنتين اثنتين انا بقيت اسف سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون فى هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * وللآكلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والفول واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما ارى توقيف) يعنى ما اتوقف فى لفه بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان يأخذ له لبدة فقال

ص * (واخذ لى لبدة وكرمشنير * وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف)

ش قوله (واخذ لى لبدة) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا اسعفنى السعد فى سرقة الزرابين وبعتها واكلت ثمنها اكلا حسنا او معنويا كما تقدم وبقى معى شئ ولو خمسة انصاف اخذت لى لبدة جديدة بنصف من الخمسة (ثم اخذ بالاربعة (كرمشنير) اى شدا حواشيه غزل احمر فانه يسمى عند اهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبدة وكرمشنير يعنى انه بقى من اكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر يعنى انه اذا طلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ ما فى مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنير فى قوة وشهامة مثل الكلب الآتى ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف) وكلب ابن جعنيف هذا كان مشهورا فى الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب وخطف العيش واكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا انعم الله عليه بلبدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم اصبح مثل كلب ابن ابو جعنيف اى فى القوة والشطارة والسرقة

حتى ستر نفسه وكساروحه وبقى من الاكابر كما انك تشبه الانسان
فى الخسة بالكلب او الخنزير فتقول انت مثل الكلب مثلا وابو
صاحب الكلب كنى بابى جغنيف وجغناف اوجخنوف على ما قيل
لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهذار فى
الكلام من غير فائدة كما رأيته فى القاموس الازرق والناموس
الابلق * ومن المناسبة لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية
المشهورة فى كتاب الف ليلة وليله وهى ما اتفق ان رجلا من اكابر
الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف
الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال فجاء انه اعزم فدعاه
الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين فى منزله فقاموا له
اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما اراد الشاب ان يجلس
رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس
واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له
ما سبب مجيئك معى ودخولك الى منزلى وما سبب رجوعك
قبل فراغ دعوتى فقال له الشاب بالله يا مولاى لا تعترض على
فان سبب هذا كله رؤيتى لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى
فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تعيس الحركه قليل البركه فلما
سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب فى حق المزين
كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا ناكل حتى تذكر لنا
ما وقع لك مع هذا المزين فاننا كرهناه من وصفك فيه فقال
الشاب يا جماعة جرى لى مع هذا التعيس فى بغداد بلدى حكاية
عجيبة لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر
وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت انى لا اجالسه
فى مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله
وسكنت هذه المدينة وهى اقصى البلاد وقد نظرته عندكم

وانا الليلة ما بات الا مسافرا رفقة الى الموصل فحدثنا ما جرى لك
معه فأبى والحوا عليه هذا والشيخ قد امتنع منه واطرق
برأسه الى الارض واما الشاب فانه قال اعلم يا اخي ان
والدي كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيري فلما كبرت
وبلغت انتقل والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا جزيلا
وخدما وحشما فصرت البس وآكل وانا في اهنى عيش فبينما
انا ذات يوم من الايام ماشي في زقاق من ازقة بغداد اذ رأيت
مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس
لم تر عيني اجمل منها طلت من الطاق وكان لها [illegible] فلما
نظرت اليها تبسمت ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتعلت
في قلبي النار وشغلت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة ذاهبا
عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضي المدينة راكب بغلة
وقدامه العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذي فيه الصبية
ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتي وانا مكروب وزاد
علي العشق والهيام واعتراني الضنا فمرضت بحبها واستمريت
على هذا الحال اياما واهلي يبكون علي ولا يعرفون حالي الى يوم
من الايام دخلت علي عجوز فلم يخف عليها امري فقالت لي يا ولدي
انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعني على قصتك
وانا ابلغك مرادك فاثر كلامها في قلبي وجلست واخبرتها الخبر
فقالت لي ما صفة الموضع الذي رأيتها فيه فوصفته لها وقلت
لها ان اباها قاضي بغداد فقالت لي يا ولدي اعرفها واعرف اباها
وانا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وابيها وانما انا اسعى
في اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا مني فطب نفسا وقر عينا
فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسي للاكل والشرب وقلت لها
اسعي وجميع ما تطلبينه خذيه مني فقامت من عندي وتوجهت اليها

وجاءتني ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لي كلمتها فشتمتني
واغلظت علي فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي وصارت
العجوز في كل يوم تعودني فجاءتني يوما وهي تضحك وقالت لي
هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها انك
مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لي اقرئيه مني السلام وطيبي
قلبه وقولي له ان عندي اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة
قبل الصلاة يجئ الى الدار وانا انزل افتح له الباب واطلع به
عندي في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج قبل ان يعود
ابي من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت اجده
من الالم وفرح اهلي ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اتى واذا بالعجوز
دخلت علي وقالت هيئ نفسك واحلق رأسك والبس احسن
ثيابك وامض في الميعاد وازل ما عليك من الاوساخ في حمام
فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندي فقلت اغلام من
بعض غلماني امض الى السوق واتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لا كان الله
في عونه فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي
اني ارى الشئ احل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله
عنك البأس والاحزان وجميع الآلام واماط عنك الاسقام
ولا زالت بك الاقدام وعافاك الله وشفاك ولا شمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك
فقال لي ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى
ثم قال لي تريد يا سيدي ان تقصر شعرك او تنقص دما فانه قد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قصر شعره يوم
الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا

قم الآن واحلق رأسي ودع عنك الهذيان والقلقلة اللسان فاني
ضعيف من اثر المرض فادخل يده في جرمدانه واخرج منديلا كان
معه ففتحه فاذا فيه اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار
ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلا
وقال اعلم ياسيدي وفقك الله وهداك ورعاك وعافاك وشافاك
وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر
الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام
وثلاثة آلاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومي واربعة
آلاف سنة من التاريخ الفارسي والطالع في يومنا هذا على
ما اوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقائق
اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على
ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك ياهولاي ايضا على انك تريد
الاجتماع بنفس والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم
فقلت له ياهذا والله لقد اضجرتني وضيقت منافسي واصغرت
روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للنجامة
ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ
شعري فافعل ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد
والا فاذهب عني ودعني احضر لي مزينا غيرك فقال يامولاي
الحمد الله انت طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف
بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعاني
والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب
والصرف والعروض والانشاء وقد قرأت الكتب ودرستها
ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها
وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك

فقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما يجد الله عاجز
عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما اشير عليك اليوم ان
تعمل ما اقول لك عليه في حسابنا بالكواكب فانى ناصح لك ومشفق
عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك علىّ واجب
وحق ابيك قبلك واجب ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك
لكان اسرّ الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل منزلتك عندى واكراما
لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى اياد متقدمة وله علىّ فضل
لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه احد غيرى لما
راى من كثرة ادبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا
كانت رغبته فىّ وكان يحبنى كثيرا لقلة فضولى فقدمنى لك فرض
قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت انت اليوم قاتلى لا محالة
من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لى يا مولاى
ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله اعلم انا والدك
رحمة الله عليه اذا استحضرنى لا يستحى ان اتكلم بين يديه ستة كاملة
ليقتبس من علمى ويلتقط من درر نطقى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى
ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثانى اسمه الهدار
والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس
اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى سمونى
الصامت وان اردت ان احكى لك عن اصلى وفصلى ونسبى
وحسبى وما جرى لاخوتى الستة من اول الزمان الى آخره فاسمع
ما اقول فلما اكثر علىّ الكلام واطاله بلا فائدة امرض قلبى وحسبت
ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير
ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت احلق راسى فى هذا اليوم
فلما سمع ما قلته لغلامى قال لى هذا النحس الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام

ايمان المسلمين تلزمني لا اخذ منك اجرة حتى احلق رأسك ولا بد لي من خدمتك فانها واجبة علي واصلاح شأنك لازم لي ولا ابالي بعد ذلك ان اخذت منك شيئا اولم آخذ فان كنت يا مولاي لا تعرف قدري وحقي فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندي فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا للاخوان ارسل خلفي مرة في نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال افتصد لي دما فاخرجت الاصطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع واقضي حاجة مولانا ففرح بكلامي وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لي الدم وشكرني لجماعته وحكيت لهم حكاية ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشدتهم

اتيت الى مولاي افصد دمه * فلم ار وقتا يقتضي صحة الجسم
جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمي
فاعجبه مني السماع وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم
فقلت له يا سيد الكل في الورى * افضت علي الفضل لازلت في سلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والحلم

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر لي به ثم اخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يتغير ولا يتغير ما اظن الا ان المرض غيرك لانك لا تدري عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا

وَيُروى عن انس بن مالك انّه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسِ الفقير اذا ما كنت مقتدرًا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين يزين المنظر الشنم
وافش السلام اذا ما جئت في ملأ * والو الدين فكن عونًا لبرهم

لكن يا سيدي انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير قال الشاعر اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرًا ولا تعصه

وما تجد احدًا ادرى بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك على اقدامي اخدمك وما ضجرت منك فتضجر انت مني فقلت له يا هذا لقد اطلت علي واوجعت رأسي من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عني واظهرت له الغضب واردت ان اقوم وقد دنا مني الوقت الذي انا منتظره والوعد الذي انا طالبه وانا في كرب من هذا النحس وكثرة كلامه فقال يا مولاي انا ما اعتب عليك ابدًا وانا اتعجب منك الذي رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفي وامضي بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسي وقم عني قال فعند ذلك لما رآني غضبت اخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسي وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يا مولاي ان العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن قال الشاعر

تأنّ ولا تعجل لامر تريده * وكن راحمًا للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأني واظنك مستعجلًا وانت قاصد حاجة وانا اخشى ان تكون حاجة غير موافقة وامرًا غير صالح فاخبرني فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا

اسكت عني فقد ضيقت علي الدنيا وقد زهقت روحي منك فتقدم
واخذ الموسى وحلق شيئاً يسيراً ثم رماه وصار يهدد علي في الكلام الى
ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد
لا ادري كيف السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق رأسي بسرعة ودع
عنك كثرة الكلام فاني اريد ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع
هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون والله يا سيدي
ذكرتني جماعة ضيوفاً عندي ومرادي اصنع لهم طعاماً وما عندي شيء وانت
تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا واياك وتشرفني اليوم في محلي
ووليمتي احسن من وليمة اصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسي
ودعني في حالي فان الوقت ضاق . لا لي حاجة في الذهاب الى منزلك وانا
اجمع ما طلبه حتى البخور العود ومرادي ان الله يصرفه عني حتى امضي الى مطلوبي
فقال لي يا سيدي وانا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمامي وصليع الفامي
وسلطوح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد الحمال وحميد الزبال
وابو عكارش البلان وقنبر الخرقان ولكل واحد منهم قصة ان اردت احكيها
لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على الزمر وفي صفته قولك

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به املاً فقلت له * والشوق ينقص مني كلما زالا
اضرمت نارك في قلبي فجاوبني * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض يا سيدي معي الى اصحابي واترك اصحابك فانك عصفي الى ناس يكثرون
من الكلام فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام
وكذلك ضيوفي لا يتكلمون كلاماً كثيراً فاذا توجهت معي اليهم تأنس
بي وبهم في هذا اليوم في منزلي واني خائف عليك من الذين انت قاصدهم
ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع رأسك وانت قد صغرت روحك
من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامض انت
الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يا مولاي ان اتخلى عنك وادعك

تمضي وَحدَك فقلتُ له يا هذا ان الموضع الذي انا ماضٍ اليه لا يحتمل
احدًا يدخله غيري فقال لي يا مولاي اظنك اليوم في ميعاد واحدة من
احبابك واصحابك تريد الخلوة معها لاجل الحظ والخلاعة والانس
والمنادمة والا كنت تأخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك
على ما تريده وانا خائف ان تكون امرأة اجنبية مخادعة تحتال عليك
وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر احد ان يعمل
فيها شيأ ووالي بغداد جبار وربما يصدفك معها او يخبره احد بك
فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس ايش هذا الكلام الذي
تقابلني به وقد ملأتني غيظًا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح
علي حتى فرغ من حلق رأسي فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه واخادعه
وهو يقول لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له
اني انتظره الى ان يعود وامضي انا واياه فأخذ جميع ما اعطيته له
وخرج من عندي ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة
واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابي وسرت مسرعًا وجئت الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار
التي رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب
مفتوحًا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرني فطلعت
الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة
ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق ورأيت هذا المزين
المنحوس قاتله الله قاعدًا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا المنحوس بي حتى ساقه الله تعالى الى هلاك ستري ثم ان صاحب
الدار ضرب جارية من جواره فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح
العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربني فصاح وخزق ثيابه
ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه واسيداه

فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ترمضي الى داري والناس
خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدي قتل في بيت القاضي فجاؤا
صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان
القاضي قتل سيدي فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط
والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس والمزين يقول
واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه
وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين تقتل سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة
فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا الخبيث
المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي له حس
وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضي ومن ادخل سيدك في داري
بغير اذني فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل اليها وانت في صلاة الجمعة
بحكم الموعد الذي اوعدته به فلما جئت ورأيته ضربته وقتلته وما بقي
بفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من بيتك في هذه الساعة
فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا
ادخل انت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحس الشقي ودخل الدار
فلما رأيته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا اهرب فيه فلم اجد غير
صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا وقطعت الحس
وكتمت النفس فالتفت هذا النحس الشقي الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق
في المحل الذي كنت فيه فاتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلي وخرج به
مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب
فصرت انثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيده
على عواتقهم وصاروا يجرون بي في ازقة بغداد وهذا النحس المزين
يجري خلفي ويقول الحمد لله يا سيدي الذي خلصك من القتل وانا وراءك

لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب
وصار يشنع علىّ في الاسواق ويهتكني بالكلام الى ان ادخلني غلماني
في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب والغلمان
وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت
فقيها وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلال
وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
التعيس الحزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني
حتى شفاني الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لي من ذلك الكسر عرج
فهذا اول يوم خروجي من منزلي وقد لاقيتني ودعوتني الى وليمتك
فلما رأيت هذا الشقي جالسا عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل
وانما اسأل فضلكم ان تسمحوا لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا
المنحوس وهذه يا جماعة قصتي قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام
صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو بحمد الله الذي تحرى له فخلصته وانكسرت
رجله فان كسر رجله اولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل
لله تعالى فقال له الجماعة الحاضرون قاتلك الله الابعد قد هتكت الشاب
وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد ثم انهم نهروه وشتموه واخرجوه
من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا
النحس الحزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله * وفي الغالب ان كثرة الكلام
عند ارباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم
وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد في الثقالة والرذالة وعدم الذوق *
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما حكي
عن الفضل بن الربيع انه قال قال لي الرشيد يوما اطلب منك حجاما ساكتا
من الحجم فقلت له ان لي غلاما عاقلا اديبا ظريفا ذا سكينة ووقار
وله معرفة تامة فقال ابعثه الي فبعثته اليه واكدت عليه انه يلزم السكوت

مع الادب ولا ينطق بشيء وان بي يا احب احسن اهبة واكدت عليه
ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا مقبضا فقال يا فضل
ان لذلك الغلام شأنا وانا لا اراه ابدا بعد اليوم ثم اني سألت فراشا
مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما اتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين
لاخراج الدم فلما بدا بالحجامة قال يا امير المؤمنين اني اسئلك عن شئ فقال
له ما هو قال قدمت محمدا على المأمون والمأمون اسن منه فقال له اخبرك
بها اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسالك يا امير المؤمنين عن شئ آخر
فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكي فقال له اخبرك به اذا
فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسالك عن شئ آخر فقال له قل فقال
لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له جوابك عن ذلك
اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد
قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور ما اجبته
قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ
مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيدة فلما مثل
بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكي فقال

وكنا كزوجي قطا في مفازة * من الامن في عيش رخي وفي رغد
فافردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب والعويل وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة
وانا محتاج الى تجهيزها فامر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على
زبيدة وهي باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان ابا دلامة
مضى لسبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة
وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت ام دلامة فقالت له زبيدة
يا امير المؤمنين ما لي اراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت
الآن خرجت ام دلامة من عندي لتجهز ابي دلامة فضحك هو ايضا
وقال والآن خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام دلامة قال الفضل

فخرج علينا الرشيد مسفرًا مستبشرًا مستغرقًا في الضحك فعجبت منه
كيف دخل حزينًا وخرج مسرورًا فاستخبرته فاخبرني بما حصل فشفعت
حينئذ في الحجام فقبل شفاعتي واطلقه واستحضر ابا دلامة وقال له ما حملك
على هذا فقال له يا امير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل الى عطاء امير
المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعًا من ظرافة حيلتهما * وقد علمت
ان المزينين اقل الناس عقولًا وافسدهم رأيًا فلا ينبغي لعاقل ان
يطلعهم على اسراره ولا يشاورهم في امر من اموره فانهم لا يحفظون
الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم
واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيمًا عليمًا خبيرًا قد جرب
الامر فان المشاورة مطلوبة شرعًا * قال العلامة الباجي في تفسير
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه وهو غني عنها فقال تعالى وشاورهم في
الامر وهو تشريع للامة وقد اثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وامرهم
شورى بينهم * وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت امراؤكم خياركم
واغنياؤكم سمحاءكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها
واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض
خير لكم من ظهرها رواه الترمذي عن ابي هريرة وانشد ابو القاسم الحسيني قال انشدني
ابو عثمان اذا كنت في حاجة مرسلًا * فارسل حكيمًا ولا توصه
وان باب امر عليك التوى * فشاور حكيمًا ولا تعصه) ونص الحديث الى اهله * فان الامانة في نصه
اذا المرء اضمر خوف الاله تبين ذلك في شخصه (وانشد ابو القاسم الحسن قال انشد
ابو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا ابو سلمة المؤدب (شاور صديقك في الخفي المشكل *
واقبل نصيحة ناصح متفضل فالله قد اوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل)
وقال يحيى البرمكي ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول *
وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلًا يقول اذا كنت في حاجة مرسلا * فارسل حكيمًا ولا توصه
فقال قد اخطأ قائل هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه انت فكيف يعلم
ما في نفسك ثم انه قال اذا ارسلت في امر رسولًا * ففهمه وارسله اديبا

ولا تترك وصيته بشيء * وان هو كان ذا عقل (ربا) فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على ان لم يكن علم الوربا

ثم ان الناظم عرّض على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ح (ويجلس بجنبي ابن جروف وكل خره * وابن كل النضيف وضيف)

(وابن فسا التيران وابن حر الحس * وقلوط والزبله وابن كنيف)

ش قوله (ويجلس بجنبي) اى هؤلاء المشايخ يعني مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة وانا مكتحن لبدتي وشدا مستنيرا وانا كما الكلب المتقدم ذكره واتي الى مشايخ البلد المذكورين وجلسوا بجانبي وهم ثمانية رجال الاول (ابن جروف) الثاني ابن (كل خره) و الثالث (ابن كل الصك النضيف) اى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يخلي القفا مثل علم سدّ احمر البدو مثلا وقيل الصك النضيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شيء يمنع عنه الصك بالاقلاع ويرسله بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة نضافة الصك احمرار القفا وورد ما حكى ان ابا نواس نادم امير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فانعم عليه بجارية وامر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكّيه وكلما اراد لحلال زيديه من الصك فلما وصل الى منزله واراد منها الفعل نزلت في قفاه ركا وهكذا الى الصباح فلما اصبح اتى الخليفة وهو في غاية ما يكون من الالم لا يقدر ان يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا ابا نواس مع الجارية فقال له يا امير المؤمنين كانت طيبة الا ان مولانا عودها عادة قبيحة فضحك منه وانعم عليه بمال وغيره * وقوله (وضيف) هذا فعل امر على لغة اهل الرياقة في كونهم يثبتون حرف العلة في فعل الامر كقولهم في قم قوم بالواو وفي ضف ضيف بالياء وفي نك نيك بالياء والمعنى انه يقول له ضف الصك على الصك اى اجعله متتابعا لا ينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحدة فان للمضاف والمضاف اليه كالشيء الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة واتى به لتمام البيت (و) الرابع (ابن فسا التيران) سمي بذلك لان اباه كان انقطع مدة في دار لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء فاتخذ له محلا بين التيران يسمى طوالة وصار يفسي فيها

ليلاً ونهاراً فصار كلما شم احد رائحته يقول له هاهنا هنا فيقول اذا ما تراه فسمي بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحسن) سمى ابوه بذلك لكثرة تحسسه من الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعتها على الارض وصار يخرا فيها حتى ملأها وصار يلحس من حواليها فسمي بذلك (و) السادس (قلوط) مشتق من القلط على وزن الضرط والهلط يقال فلان غلط قلوطه بمعنى انه شبع من الرزق وبقي في الكفر عظيم الامر يجلس مع النصارى في ركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر والشد المشنبر (و) السابع من مشايخ البلد (الزبله) سمي بذلك لانه كان في صغره مشغولاً بلم الزبل من محل مرعى الغنم ومن السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سبباً لسعة دنياه وكان بينه وبين قلوط صداقة في البلد فكان قلوط دائماً فيها لايفارقها والزبلة تارة يسافر وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا في وسطها سواء بسواء والزبلة في طرفها وكانوا بها دون بعضهم بعضاً وبينهم محبة ومودة واتحاد غالباً ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط ارقى منها لكن ابن خرا الحسن اعظم واكبر من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا نادیت احداً منهم في البلد يقول لك اذهب الى خرا الحسن ويخرى في وجهك * ومن النوادر ان بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يا مولاي لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحسن وضع الخرا بلثا ولا تخل فيه ابداً (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيراً موصوفاً معروفاً يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديماً للقلوط وابن خرا الحسن لان ابن خرا الحسن كان محجوباً بابن كنيف في الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديماً لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون عنه كما قال بعضهم مواليا (وطواط عشق خفاش حبها محجوب * وبنا لها قصر حوائيت خلا من طوب * وحضر النقل والماكول والمشروب * ما النديم الا الذي المحبوب * ثم ان الناظم لما تمنى ان يجتمع عند هؤلاء الجماعة يحصل لهم السرور ويفرح وينشرح بهذه اللمة عنده قال

ص *(وافرح بالله وبشر خاطري ۞ وهذا مرادي يا ابن بنت عريف)*
ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره اي انه يرجو من الله ان يبلغه
مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلده وكبير مشير
ويكون له مقام في البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم
ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت اسماءهم باللفظ والذوق
ويلخص الفوائد الناظم يقول ان حصل لي هذا فهو غاية مطلوبي ومرادي من الدنيا
وتمام رغوبي من اللذات فاني قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا امر الله تعالى
بما طلبته يجيء رزقا وافرا على الله تعالى انه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصي والبر والفاجر
وانا على حد قول القائل (يا من طلب رزقا ونالوا ۞ رزقي رزق امراتي)
(قم في الدجى واسرح ذقنك ۞ لابد لك من خير آتي) او انه اختص بالطلب لنفسه وقال العقلاء المرأ
تاكل خرا والف دقن ولا دقني (ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ص *(واختم قصيدك بالصلاة على النبي ۞ نبي عربي مكي شريف عفيف)*
ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي الشفاء
لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة علي فانها تطفئ غضب الرحمن
وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة
وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملا في شرح
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ما روي عن جبريل
عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك
فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك
وقد روي ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
في ابتدائه وفي انتهائه الى آخره قال وروي عن ابي بكر رضي الله عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق للذنوب من الماء البارد وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة
العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة صلاة الله تعالى على اهل
الجنة فناهيك بها من منة قال في كشف الاسرار وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن

من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسنه العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيداً له بكونه بعد العصر والله اعلم (خاتمة) في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطراداً لمناسبة الكلام لبعضه اتفاقاً (قيل) تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (ويحكى) ان بعض الطلفاء كان يكثر من الشراب سراً وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك فما زال يتتبع اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذه فقال له هذا لبن فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت ولكن كان ابيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف (ويحكى) ان بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل بتكاحها فقالت له يوماً انا كلما يشتد غضبي عليك تأتيني بشفيع معك لا استطيع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام القاضي وكشف عن استه وادارها الى المجنون وقال وعليكم السلام قال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ما لهذا السلام الا هذا الرد (وحكي) ان الاصمعي قال كنت يوماً عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندي احد فلما ذهبت الى منزلي ارسل لي جارية بديعة الحسن والجمال انستني بكلامها وابهرتني عذوبة قراءتها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لساكن الشهوة التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى مالت نفسي اليها ورغبت في ركوبها وخلعت ثيابي وسألتها ان تخلع ثيابها فخلعتها وهي تتنفس تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب واحضرنا المآكل والمشارب واكلنا وشربنا وتعانقنا واردت ان اهم فاعتراني من الفتور وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وافسد علي ليلتي فتحيرت في امري وصرت لا ادري ماذا افعل فاكثرت من ملاعبتها حتى صار تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتوراً وارتخاء

وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذى لا حركة فيه فعظمت حسرتى
وسرت منها فى حياء وخجل فلما آيست منه قالت يا سيدى دع ايرك فما له فيه
حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لى نم على ظهرك حتى اغسله واكفنه فجلت
منها ولم اقدر اخالفها ونمت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته
بمنديل ثم قالت لى قم وصل عليه فقمت وانا فى غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح
وسرت من وقتى الى الرشيد فقال لى ما خبرك فقلت له يا امير المؤمنين حكايتى
غريبة واخبرته بما حصل لى معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لى نحن احوج
اليها منك لصغرها وفطانتها فاخذها منى وعوضنى جارية غيرها وعشرة الاف
درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوى
اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له يا ولدى حرك الاير حركة الاعراب
فانه فاعل بلا ارتياب ومد الى استك كالمد المتصل واجعل الهمز آلة لئلا ينفصل
واطال الكلام فى هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له
اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجر ويقول واعرب وخرج بكر هاربا
(وقيل) مرض رجل نحوى وكان بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد
جيرانه فقال له امض الى اهلى وقل لهم ان فلانا قد اصابه داء او وجع ركبتيه
وآذى خصيته واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى عبرته وصار
يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال الغلام يا سيدنا اقصر انا اقول لهم هلك
قدما ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال
فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا ترد على قول نعم
تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها
(وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغد نادى منادى
من سماء سقفه حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل) جاء رجل الى امرأة
بلحم فقال لها اطبخى بعضه فانه ينفع البطن واقلى بعضه فانه ينفع الظهر
واشوى بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب
والاولى اننا نشوى الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم

من الفتي او من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن
قال له النحوي اذبحته لعرض ام لمرض فقال لحتى تبلغ انا وعيالي منه
قال النحوي اكان ذكرا ذا خصيتين ام انثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا
ينطح الحائط برميه قال النحوي اكان يمج الماء بشدقيه ام بشفتيه
قال كان يدلي زلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي اكان يرعى الشيح
والبعيثران ام العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوي
احسنت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لو وقعت على قفا الابعد قطعته
قال النحوي ابدأت بالبسملة واظهرت الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول
بعضهم وقال بعضهم هي على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب انعل
ها بجلد حتى اقطعه على اكتاف هذا النحس الذي عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع
النحوي منه ذلك شتمه وهرب (وحكي) ان بعض الشعراء امتدح بعض
الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فاخذهما على كتفه وخرج
بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال اني مدحت مولانا الامير بقصيدة
من احسن القصائد فخلع علي خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك
وارسل له خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكي) عن الاصمعي انه قال
رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها اانت من اهل
مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها
ثم طفت بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت فيها لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت
ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت فادخل الحرم
قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة
ومعها ولد جميل ففسق الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه
فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا
فكنت ناظرا الى وجهه واما انت فكنت ناظرة الى وجهه فمعرفتك له ابلغ من معرفتي اياه
(ومات مجوسي) وعليه دين وترك ولدا له دار فقال بعض غرمائه امتيت لولدك

لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها سنه فقال لم لو بعت داري وقضيت دين ابي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار وانا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن اكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت

قاض يرى الحد في الزنا ولا * يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضي يحيى او ما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر احمد بن ابي نعيم الذي قال

اميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس
لا ارى الجور ينقضي وعلى الامة وال من آل عباس

فافحم المأمون وسكت خجلا (وارسل بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * تكون لسانا لى نقتي
نسمك عطر ماء السما * واورثني الويل في ركبتي
اذا لم تزرني انا مد نيف * فان الهو سهل عندي

ومما ينسب للحريري رحمه الله تعالى

صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك خادع واخوك بوائقه
ونافق فهذا آن النفاق ولا تقر * كساد فاحوال المنافق نافقه
وعرص وقد واظلم وبالفحش فافتخر * فما رفعت دنياك حرا ولا ثقه
وما فيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

ومثل ذلك قول الابوصيري الاديب عفا الله عنه

ستة في الهوى افعلهم * بعد الموت بهم تذكر
تحول وعرص وافسق * وغن وقامر واسكر

ونختم هذا الكتاب بابيات * من بحر الخرافات * فنقول

١١١٠ الف

تم كتاب المليس والتحريف * وما جرى في
جعلته جزءين باختصار * فجاء كالزبلة لى
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوى بدر
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل المبال
ابحاثه جاءت كما الحس الخرا * يا وجه الاصحاب حقيقتا الامرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة او قصة مشاهده
واصل ما الجاني لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكي الفخر
شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب

نحو دمع المطلوب * اعني الامام احمد السندوبي
لعرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالتحيص معذ الزلل
ولا تلمني فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبي الهاشمي احمدا * والآل والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * اولاح برق في دجا الاسحار

وكان طبع هذا الكتاب* المنظوم في سلك كتب المفاكهة بين الاصحاب* على ذمة المطبعة السعدية* الكائنة بثغر الاسكندرية تمثيلا على اصله المطبوع مع زيادة الدقة من مصححه الفاضل* النحرير الصالح الكامل* حضرة مولانا الشيخ محمد يحيى السعدي* فجاء بحمد الله يفوق في الصحة عن اصله* وناهيك [illegible] الرئيس وفضله* [illegible] رجب* [illegible] الهجرية* على صاحبها افضل الصلاة والتحية ما لاح [illegible] وفاح [illegible] مسك ختام